

www.rivwaya.ga

كوف 1

زائر فوق العادة

في مكان عجيب

لحظة من فضلك !

دعنا نتوقف قليلاً عن الركض هنا وهناك ، لقد خضنا المعركة الأخيرة في
حرب الرعب الطويلة وسقطنا في فخ العيب مرة والعناوين العجيبة مرة
لكننا تسبنا هذا الركن القديم الدافئ ، الزاخر بالحكايات المخيفة والقصص
دعنا نعتبره بيت العائلة الذي يجمعنا في بؤرة ضوء كهربائي حميم بالرغم من
زحف عتمة الأطراف ، لولا أن تلك العتمة كلما ازدادت كثافة سكتها الأرواح
العتيقة والخرافات وصفوف الكتب ، هي رغم كل شيء تفينا العواصف العاتية
بالخارج .

هلموا . اشربوا الشاي بعد العشاء الثقيل ، انهوا واجب المدرسة ، انظروا
هواتفكم وأوصدوا الأبواب . هات يدك في يدي ولنحك سويًا ، فلا يوجد
شيء نخاف منه سوى الخوف ذاته !

د. هاني حجازي

أدب الرعب.. أصله عربى

بفضل السينما تُسب الفضل في أسبقية أدب الرعب إلى الغرب ، لكنه بدأ شرقًا منذ عهد بعيد جدًا ، ربما منذ نقطة مجهولة في الزمن . وتقصّد كتاب ألف ليلة وليلة الحافل بقصص الجن والعمقاريات والمساخيط والملاعين والموتى والأحياء وضحايا تناسخ الأرواح والوحوش والمسوخ والشياطين ، وحكايات أخرى كثيرة غريبة في حد ذاتها ولا يمكن أن تنتمي للأدب الواقعي أو الخيال العلمي في مثل البساط السحري وطافية الإغفاء إلى جانب حوادث قائمة الأجواء سبقت الرعب القوطي وقصص محاكم التفتيش وكلها تنتمي إلى أفضل أنواع أدب الرعب على الإطلاق : الرعب لصجرد الرعب . . الرعب غير محدد الهدف وغير الحامل لإيديولوجيات مُعيّنة . ولم يكن بالمُدهش أن تنتقل قصص السندباد إلى علاء الدين ولص بغداد إلى السينما عدة مرات ثم إلى التليفزيون .

للأسف لم يُقدّر لهذا النوع من الأدب أن يأخذ مساحة جيدة من الكتابة بالعربية، اللهم إلا في العصر الحديث عندما راح يكتب أنيس منصور عن ضمن عماله المتنوعة كُتبًا عن الأرواح والأشباح والقوة الخفية ولا تعدّ فعلًا من أدب الرعب. ولم يعرف القارئ العربى من أدب الرعب سوى القصص المترجمة كلاسيكيات مثل دراكيولا وفرانكشتاين ود. جيكل وهستر هايد وروايات الجيب المتنوعة ، أشهرها السلسلة المسماة (ألفريد هتشكوك) . حتى هذه القصص التي من الاهتمام مرتبة ثانية بعد الروايات الرومانسية التي لاقت رواجًا كبيرًا ثم تراجعت إلى المرتبة الثالثة بعد احتلال القصص البوليسية الصدارة في

عناوين لأجائن كريستي وأرسين لوبين والقديس وإبرلي ستانلي جاردنر والبار
وسلاسل الألفاظ التي انتشرت كالوباء .

في فترة متأخرة - أوائل التسعينيات - ظهرت سلاسل الرعب من جديد
ومعها بدأ الاهتمام بترجمة قصص رعب خفيفة مثل سلسلة (Goosebumps)
التي تُرجمت تحت عنوان (صرخة الرعب) ولحققت بها أعمال عديدة مشابهة
وللاسف ظل أفضل الأعمال والأحداث منها لم يترجم لأسباب عديدة . وبالطبع
كانت القصص الغربية هي التي اهتمت بعملية التصنيف وبالتركيز على تبط
معينة : الفودو والزومبي - مصاصين الدماء - البيوت المسكونة - العصور
الفضائية . وفي كل نمط نجد رواية شهيرة مميزة.. أشهر روايات مصاصي الد
مثلاً هي (دراكيولا) ليرام ستوكر واستوحاها من أحداث حقيقية للأمير (فد
تيسو الوالاشي) الذي عُد بطلاً رومانياً لهزيمة الأتراك الذين اخترع من أجله
فنون التعذيب وكان يتناول عشاؤه وهو يشاهدهم يجلسون على الخازوق.
ببطء شديد

حتى جاءت قصة (ستوكر) عن موثق العقود (جوناثان هاركر) المدعو إلى
منزل الكونت حيث تبدأ الأحداث الغربية التي نعرفها جميعاً . وعندما يذكر
(دراكيولا) لابد من ذكر (فرانكنشتين) ، كما أننا نذكر (هتلر) و(موسوليني) في
في كل مناسبة . حتى إن السينما أحببت دوماً الجمع بين الشخصيتين في ك
مرة ، خصوصاً في الأفلام من الدرجة الثالثة أو التي لها طابع كوميدى . وه
شاهدنا إسماعيل ياسين وعبد الفتاح القصرى يواجهان الكونت دراكي
ود. فرانكنشتين في فيلم جميل اسمه (حرام عليك) مقتبس عن فيلم أجنبي
ذات الطابع.. لكن الفيلم العربي كان أكثر إمتاعاً وظريفًا بحق !

بينما خرج دراكيولا من كتب التاريخ وعالم الخرافة، جاء د. فرانكنشتين
 وليد عصر العلم والآلة ولعلها أكثر أهمية في محتواها الأدبي كرواية بالرغم من
 شطحات كثيرة، على سبيل المثال، د. فرانكنشتين يحاول البحث عن الوحش
 الذي خلقه بيديه لتدميره خشية من أن يبحث هذا المخلوق العدواني الغريب
 عن وسيلة لخلق أنثى معاملة له من ثم تتوالد ذرية جديدة من المسوخ كأنهما
 آدم وحواء عالم جديد بغضب، هنا يجب أن نتساءل: كيف تمكن العالم
 الجليل من خلق هذا الوحش الرهيب من قطع غيار بشرية وبالطاقة الكهربائية
 لكنه - ببساطة - لا يفكر في علاج مشكلته حتى دون أن تبدأ .. مثلاً: يصنع
 أنثى فرانكنشتين بلا رحم أصلاً ١١٢١ .. كتبت القصة (ماري شيلي) ونشرتها
 عام ١٨١٨ تتحدث فيها عن العالم المجنون (فيكتور فرانكنشتين) الذي ينجح في
 بعث الحياة في جسد ميت (هو في الواقع عبارة عن كتل متشابكة من عدة
 أجساد ميتة) لكنه فجأة يقرر التخلص منه لأنه بلا فائدة كما أنه قبيح جداً
 على

ركذا
 بقا. وعنه
 وإموس
 شخصيت
 ابع كوي
 ان الكول
 عن قلم

اسمه أحمد خالد توفيق

شتاء ١٩٩٣ ، الرحلة المعتادة مع الرفاق بعد المدرسة ، لأبد وأنتك تذكر هذا اليوم جيدًا ، بائع الجرائد الذي لم يفهم أبدًا لماذا تتبذل أساريك فجأة وترافق نشوة مجنونة في عينيك ، لكنه يتراجع عن التشكك في أمرك عندما تنفض كل ما في جيوبك من نقود وتنفض على تلك الكُتيبات الملونة المسحورة وما سرها ؟ لا شيء سوى شعار (روايات مصرية للجيب) على الغلاف الأزرق واسم د. لييل فاروق على الغلاف الخلفي . أدهم صبري يفتك بالأوغاد نور وفريقه يقهرون المعجزة ، بطاقة نديم فوزي الذهبية ، مجموعات زووم معارك فارس الأندلس ، ضاحكة عماد وعلا ، دقة القلب المنعشة وأنت تقرأ اسم (العدد القادم) ، هناك دائمًا الوعد بعدد قادم ، ورجل أسطوري مهم تخطي عن روتق الطب ببساطة ولم يهتم كثيرًا بمكانة ما يكتبه في الأوساط المتجهمّة ، وباختصار : سلّم نفسه لنا ، فلما أنفسنا له ! نعم ، يجب أن يُذكر اسمه بوضوح ، ومعه العظيم الراحل حمدي مصطفي ، قبل الحديث عن أهم البوب في عصر والوطن العربي بالكامل . فضل الرجل على ما لا حصر له من أرباب القلم الشبان ، بدءًا من طالب ثانوي حالم يقص صفحات كراسه لتحاول قطع روايات الجيب ويُجرب الكتابة ، مرورًا بثلاثة أرباع المؤلفين الذين نجح أسماؤهم في قائمة الأعلى مبيعًا ، وحتى أحمد مراد النشيط المجتهد ، يخفي لك التسيان ، لكن النكران قلة أصل ورعونة لا شك فيها !

في هذا العام ، بين كنزنا المبهج ، ومع صدور عدد الصيف (الزهرة السوداء) وجدنا هذا العنوان (أسطورة مصاص الدماء والرجل الذئبي) والمؤلف اسم

د. أحمد خالد توفيق. تبتاع الرواية لأنك تتحمس لكافة إصدارات المؤسسة العربية الحديثة بينما أصحابك تبدو عليهم ريبة مفهومة البواعث ، فهذه خيانة للكاهن الأكبر، كما أن تجاربنا المؤسسة مع الذين حاولوا تقليده أكدت مكانته الخطيرة. وتحت هذا الضوء قرئت أولى أعداد سلسلة ما وراء الطبيعة بحذر لا يخلو من تصيد للأخطاء، لابد وأنها لن تروقك ما دامت صفحاتها لا تحمل - من النظرة الأولى - نسق نبيل فاروق الشهير. لكن سرعان ما دغم العدد الثاني (أسطورة النداهة) موقف المؤلف الجديد . هذه نكهة جديدة ومذاق مختلف بلا يمكن تجاهله، بالرغم من ذلك تربص البعض للأعداد التالية : (وحش البحيرة، نازي لا بأس بها ولكن ما هذا الجو الإنجليزي البارد؟) (آكل البشر .. صمم .. جميلة ، وأما ما هو العدد القادم؟) .. أسطورة الموتى الأحياء ختمت هذا الموسم برصيد لونه معقول للرجل، وعندما صدرت له روايتا (رأس ميدوسا) و(حارس الكهف) في معرض الكتاب استحق عن جدارة أن تُفتش عن أبعاده بالاسم وتسال عن موعد جبا صدورها وتعتز باقتنائها مع رزمة الروايات التي حفظت معالمها وأدمنت راحة يدي أوراقها .

فيما بعد سوف يقدم سلسلته الثانية (فانتازيا) ويطلتها هي عير عبد الرحمن التي قرأت كل شيء لكنها تسته فاتاها المرشد بجنة الخيال، تلتها سلسلة (سافاري) وثعية خاصة لقرائه من الأطباء اليائسين في بلدنا السعيد ، وتناثرت مقالاته وقصصه هنا وهناك . ما موضوعها؟ مانديلا، مسألة طيبة، فيلم قديم، كلام عن طنطا، لا يهم، إنك تقرؤها لأنها بقلعه ولا يعنك في كثير أو قليل رأي العالم في كون ما بين يديك غير عميق لمجرد أن الشكل والألوان موحية بذلك وما دامت الطباعة غير فاخرة والغلاف ليس سعيًا بما يكفي ،

والله

وطبقاً لآنها لا تتكلم عن غياب الشبق المكبوت فوق تعاريج اللحظة (والآن
 انطوى من فضلك ؟) ، والرجل عبقري فعلاً ، من سواء وجد لأديه مكاناً يجرى
 صانع المتعة الجبار نبيل فاروق ؟ عالم النشر الآن يحفل بعشرات العلويين
 لكتاب شباب ، بعضهم موهوب والبقية ستذهب حباء وكلهم تجري في عرو
 ما يكتبون جينات أسلوب أحمد خالد توفيق وطريقة تفكيره وسفرته
 نقيه ومن العالم ، هل يجرؤ أحدهم أن يضع عينه في عينيك ويتعذر
 أن ما يكتبه أصيل الابتكار والمضامين ؟ بصحته هنا وهناك ، والمدفني
 كلمات بعينها فزخرف العبارات فتجعلها أكثر رشاقة ، ومنهم من قضي
 بلون الكوبيا يحاول الفرار من فخ التكرار وحذف كل ما يشير إلى الاختلاف
 لكن الذي منحك الشعة لتستمر بعده ما زال يمدّها بالوقود ، والذي وضع
 أسسك المثلين ترك علامته المميزة ، حتى لو أردت محوها فلن تستطيع
 عقدين كاملين والمطابع أخذت من كاتبنا القذ مفتاح الشفرة لكنها لم تفعها
 فظنوا أنه يكفي أن يكون جو الرواية مرغباً مع لمسة فكاهية حتى تروج
 لكن القراء ليسوا حمقى ولم يتابعوا عصر اللفت لمجرد أنك ظريف وسع
 بنفسك وكبت عليه عمل نعل ، خرجت التجارب مبتسرة فاشلة ، بالرقم
 أن المسألة هي البساطة يعينها (لا يهم أن تبدو ، المهم أن تكون) ، الرجل
 كثيراً (ولديه بالمناسبة ركن خاص في مكتبة عقله لكتب مثيرة وثرية لثقة
 الشخصية لن تعرف حتى كيف تعدد عناوينها) ، ومارس الكتابة والتجريب
 لنفسه خطة شاملة واضحة المعالم ، ابتكرت طرائقها ونقلت جوهر
 الغربي في المعنى والمعنى يتمكن غير مسبوق ، والأهم منذ ذلك كله
 طبيعية وأرشيف أسطوري في تلافيف مخه يسعفه بالأفكار والطرائق في

يا أخي أنت لا تتعب نفسك في قراءة أدب الرعب الأجنبي بلغته، ولا
أنت تمرن قلمك في كرمه أخرى، أو تراجع مسودتك مرارًا، وأخيرًا تنقل بعض
الاعمال من فيلم أمريكي وتحشر طائفة من الدعابات السمجة لا تضحك
لها سواك، تحت عنوان كابوسي وغلاف مخيف غير مبتكر، وتصديق نفاق أصحابك
في حفل توقيع متواضع، ثم تظن أنني صاحب ما تكتبه وأضعك في مكانة
واحدة مع كاتب بقامة د. أحمد خالد توفيق. هيهات!

وأنت تقرأ هذا الكلام الآن، تنتهي رحلة عمر طويل راغبنا فيه العجوز
قضى الخالد، الدكتور رفعت إسماعيل، أستاذ أمراض الدم المتقاعد وبطل سلسلة
روايات ما وراء الطبيعة، الذي أخذنا في جلسة تحضير أرواح نؤمن بها
مغناطيسيًا بحذوة وبراعة حتى صارت ملامحه محفورة في كل وجدان، ونظرت
للأشياء والأشخاص نظرية نعيش بمقتضاها، وأسلوب حياته طبيعة ثانية لدى
جيل كامل. تحقق لسالم وسلمى القادمان من عالمهما الآخر وقصتهما الأولى
(أرض أخرى) ذات التكنيك الخاص، أخطر حتى مما يفهمه السادة النقاد،
أصابته لعة الفرعون، وأوى في داره الكاهن الأخير، عاد معنا لذكريات البيت
المسكون في صباه، وكاد يحترق باللهب الأزرق، عرفنا على رجل الثلوج
والنيات المفترس وحساء العفيرة، وجد قصاصات الغرباء ودخل عالم يو
وقك أسرار التاروت، قابل عدو الشمس والمينوتور وعفريت المستنقعات،
قص علينا حكاية إيجور الرهيبة والجاثوم والتوهمين، رأينا فرانكشتاين ورجل
بيكين والعمياء، سمعنا النبوءة والكلمات السبع والرقم المشئوم في جانب
النجوم، دخلنا العقيرة وأرض المغول والمتحف الأسود وبقنا في بيت الأشباح
ونادانا نادي الغيلان، عثرنا على الشيء والعلامات الدامية في صندوق بندورا،

وأبنا الظلال والطوطم والقناة الزرقاء (التي لم تظهر أبدًا) وفي النهاية
 حامل الضياء على أنغام أغنية الموت بعد أن ترك لنا " حلقة الرعب " مقفلة
 أجمل روايته وأكثرها إتقانًا . وفي العدد الأخير من السلسلة (أسطورة السلسل
 يستريح رفعت إسماعيل ، العجوز الفاجر الساخر ، نيراس كل شاب ذاق المر
 أياما البخطبة المعقوفة ، وحلم كل فتاة موهبة ضاقت ذوقًا بسخرات انسي
 يتوقف قلبه على وعد بالظهور من آن لآخر في أعداد خاصة ، حسب
 المؤلف - الذي نحترمه - منعا للإملا ، وحسب مأساة النشر المؤسفة
 التخطيط هو السمة السائدة ، والنجاح عشوائي بدافع الارتجال وإعجاب الق
 الوهمي من أصدقاء كل كاتب ، ومشروع روايات مصرية للجيب - أقوى وأهم
 حركة نشر عربية - نشأ باهتمام فردي وظل يكافح أمام متغيرات كثيرة .
 ينتقل رفعت إسماعيل إلى مستقره الأخير لكن حزن ملايين القراء على
 حقيقى وأكثر صدقًا من البكاء المزيف في سرادقات الأدباء والفنانين ورجل
 الدولة ، وأخيرًا يتم عبارته الخالدة لعب حياته (ماجى) : « وحتى نخل
 النجوم .. وحتى تأتى لى هناك .. سوف نظل معًا إلى الأبد ولن يفرقنا شيء »
 ونحن نرثيه بكلمات مؤلفه : « وداعًا أيها الغريب ، كانت إقامتك قصيرة
 لكنها كانت رائعة ، عسى أن تجد جنتك التي فتشت عنها كثيرًا »

تليباثي ١

كلهم في أفغانستان يقبضون عليك ويلقون بك في الزنزانة لأي سبب .
 لهذا اتبعوا الصحفي الفرنسي (آلان جيللو) ٤٨ سنة ، عام ١٩٨٧ بأنه يتجسس
 لحساب الحزب الشيوعي فزجوا به في زنزانة ضيقة باردة قائمة رطبة كالفير ،
 بلا أثاث أو معالم حياة ، وكالعادة فالرجل يرى يعمل لحسابه الشخصي ..
 ينطلق إلى البؤس الملتئبة في العالم .. يلتقط الصور ويسجل بقلمه الوقائع ثم
 يبيع التحقيقات الميدانية للصحف بمعرفة .

لكن الحظ السيئ جعل رحلته إلى أفغانستان تتفق مع نشاط للمجاهدين
 الأفغان ضد عناصر شيوعية فأنتهى به الأمر إلى السجن دون محاكمة ودون
 تحقيق . وبالرغم من إنكاره فهو مطالب بالتوقيع على أوراق تثبت ولاءه للكتلة
 الشيوعية وبأنه جاسوس يستحق الإعدام .. هذه الطلبات التي لم يتحسس لها
 طبعا ١

أربعة أشهر قضاه في ظروف نذرك بقصة (البئر والبندول) ليو ، فالتهديد
 مستمر في قبره الرطب ، التهديد بالقتل إذا لم يوافق على التوقيع على الأوراق
 التي تسهل مهمة إعدامه ! والحنين لبلاده ولزوجته التي اعتبرته في حكم
 المفقود لاعتة الحماقة التي دفعت به إلى هذا البلد الكئيب . ما له هو والحرب
 الأهلية في أفغانستان ١٩

وبينما ضاق عليه الخناق هفت نفسه أكثر إلى ذكرى زوجته (فويلا) التي
 طالما داعبته بقولها أنه يستطيع الاتصال بالأرواح على سبيل التسلية إذا وجد

نفسه في ظروف حملة قاتمة! وكانت بالفعل تشير إلى ساعة يدها واعمالها
إذا اتفن التركيز في النظر إليها لتمكّن من السمو بروحه والاتصال العفوي
بعالم الأشباح .

مست ثريه تجربة على سبيل المثال: راحت تؤرجح الساعة يمينا ويسار
وتأمل وتظاهر بالجذبة والتعمق حتى بدت عليها علامات الجهد بالنظر
وراحت تقول : أنت كنت تعرف قلانة!.. لقد خدعتني مع صديقتي في
كذا .. إلخ . راح يضحك من الدعابة الساخرة وهو يتطلع ريقه سرا ! تذكر
هذا الآن وجو الزنزانة القابض يشجع الذهن على الارتحال إلى كافة المناطق
الغريبة والثابتة من العقل . وبدأ الصحفي الفرنسي المسجون محاولة الاتصال
الروحاني بزوجته عن طريق توارد الخواطر ..

ابتعد بعقله تمامًا عن جو الزنزانة الخائف وتفاصيلها المقيتة ونسى كل
الظروف التي تحيط به ونظف أعماقه من كل مشاعر الغضب والخوف التي
ملأته في السهور السابقة . غرق في التركيز الشديد متخليًا عن أي شعور آخر
مزعج ومضى يتأمل نقطة بعينها لمدة ساعات طويلة حتى بدأ نظره يزداد
ورأسه يدوخ ويضرب بالصداع وبسخونة تسري في جميع أنحاء جسده . راح
زوجته (نوبلا) بعين الخيال وهي تقترب منه كأنها تشاق إليه، وسمع عائلته
ذات مرة : « يمكن للإنسان أن يتصل بالأرواح إذا استطاع أن يصل إلى درجة من
التركيز الشديد في نقطة معينة، ساعة يده مثلا، هذا حقيقي لا جدال فيه »
بالطبع كان يسمع منها هذا الكلام ولا يصدقها، مزحة أخرى أو خرافة، ولكن
قامت زوجته الجميلة بالتركيز العميق وتثبيت نظرتها إلى ساعة يدها لمدة

طويلة تقترب من ساعة كاملة وهي في وضعية جمود وسكون شامل. وفي
النهاية نطقت قائلة : «لقد قابلت فلانة في اليوم كذا. وحاولت خيانتى معها
في يوم كذا» وبدأت تروى له التفاصيل المخجلة قبل وبعد زواجه منها وهو
وراجع مدهول ! والآن يتذكر هذه التفاصيل وهو في زنزائنه ويحاول بدوره
بالإتصال بزوجه . بالعقل وحده . ويتوارد الخواطر . أو ما يسمونه التليباثي .
فإنجاهل كافة الظروف المحيطة به . نسي إحداثيات الزمان والمكان وتخلي عن
لغة كافة مشاعره . وتنظر إلى نقطة بعينها وبدأ يتعمق فيها لمدة ساعة . ثم ساعتين
لثا وعدة ساعات . حتى أوشك رأسه على التصدع وبدأت حرارة جسده ترتفع .
وإذ في منتصف ليل اليوم التالي ، أعاد الكرة . نفس التجربة الغريبة المؤلمة ،
وحدثت نفس النتائج المزعجة . الصداع الشديد وارتفاع حرارة الجسم كله .

أعاد التجربة أكثر من خمس مرات في خمس ليال متتالية . التركيز الشديد
جعله يشعر أنه قد جُنَّ خاصة وأن جسمه بالكامل قد شُلَّ وتوقفت حتى يده
عن وعشئها وكأن قوة خفية تقيد حركته . لكن يده اليمنى بدأت تتحرك ببطء
وتكتب على الأرض . بصعوبة شديدة حاول أن يميز ما نقشته أصابعه على تراب
أرضية الزنزانة . ورأى هذا السؤال مكتوباً : (من أنت؟) وقيل أن يفكر في الإجابة
وعما إذا كان هذا السؤال أصلاً يوجه أحدهم له أم هو الذي يسأل الغيب ،
وحده يده اليسرى تمتد لتكتب الإجابة : (أنا ألان جيللوا) ثم كتب بنفس اليد
اليسرى وبشكل لا إرادي بالكامل السؤال الجديد : (ومن أنت؟) فكانت الإجابة :
(أنا نوبلا) . ثم بدأ الحوار عن طريق الكتابة على تراب أرضية الزنزانة يحكى
قصة أسره في هذا السجن الأفغانى بتهمة التجسس وحتى محاولته لإرسال

هاتف روحاني التي أفاق منها وهو بين اليقظة والنعاس وظن أنه يخبرهم ، لكنه رأى الكتابة على الأرض ..

الحوار الكامل المتبادل بين ما خطته يده اليمنى وما كتبه يده اليسرى وقيل أن يسأل عن معنى ما حدث وعن جدواه بدأ يسمع أصواتا تبصر له أذنيه . صوت هادئ مطمئن يقترح عليه إجابات يقولها للمحققين عند يسألونه حتى يفلت من قبضة الأمر . هنا خطر له أن القائمين على زلزاله وراء هذه الألعاب والغرض منها أن يصل إلى حافة الجنون وأن يخلع وتضطرب حالته النفسية فيندفع لقول إجابات توصل به إلى الهاوية وإلى حل المشقة لذا حاول أن يطرد هذه الأصوات عن عقله لكنه أخفق وظلت تهمهم في رأسه وتنظن حتى أشرق عليه الصباح . وعادته في المساء . وفي الصباح التالي وهكذا !

وكانت النتيجة الطبيعية أن أصيب بحالة لعينة من الوسواس القهري، لراح يده يضرب رأسه بيديه ويضربها في جدران الزلزلة وفي الأرض وبدأ يشعر بالرعب من منظر الطعام وظن أنهم دسوا فيه المخدرات حتى يصاب بهذه الهلوسة السمعية والبصرية وأن يصاب بالجنون المطبق فقرر الإضراب عن الطعام نهائياً . وظل بالجوع والظما عشرة أيام ، لكن الأصوات العاصفة لم تكف عن عطاوته ، لكنها الآن تطمئنه وتؤكد له أن البراءة حتمية وكذلك عودته لأرض الوطن . لكن هذا لم يجعله يرتاح ، بل زاد هياجه وحاول الانتحار عدة مرات كلها فاشلة . كان يحاول أن يركض بعنف ليرتطم برأسه في جدار الزلزلة ، ولم كل مرة كان يشعر بوجود حاجز شفاف مطاطي يقف حاجلاً بينه وبين الجدار

وفي النهاية أيقن ألا جدوى من المعاندة . فتوقف عن محاولات الانتحار
 البائسة كما توقف عن الاعتراض وبدأ يستسلم للأصوات خفية المصدر ويستمع
 إليها باهتمام ويحفظ الإجابات التي تلقنها له ، وخلال أيام عرف كل الإجابات
 على المناسبة أمام كل سؤال حسب ما تعلمه الأرواح الهائمة في الزنزانة . وأعلن يوم
 من المحاكمات رسميًا في العاصمة الأفغانية كابول ومثل (الآن) أمام القضاء يحكى
 تلك حكايته تمامًا كما تعلم من الخواطر التي زارته . وتخفف الحكم من الإعدام
 نقلًا مؤقتًا إلى السجن لمدة عشر سنوات . وخلال الشهر التاسع من مدة سجنه زاره
 إلى السفير الفرنسي في محبسه وبدأ في الاتفاق على مراسلات بريدية بيته وبين
 زوجه عرف منها أنها كانت تدخل حالة من التخاطر لتخاطبه كل ليلة من خلال
 جدران أخلعها ، حتى تدخل ميتران ، الرئيس الفرنسي لدى السلطات الأفغانية وتقرر
 الإفراج عنه وترحيله إلى موطنه . وعندما عاد الآن إلى بلاده راح يحكى قصته
 العجيبة في كل مكان لدرجة استدعت السلطات للكشف عن حالته العقلية ،
 فتم وضعه في مصحة للمتابعة والملاحظة ، وفي النهاية تقرر أن حالته العقلية
 سليمة وأنه غير مجنون . لكن (الآن) قد كف عن الثروة الفاضحة وأصبح متهمًا
 بشدة بدراسة كل وسائل الاتصال بالعالم الآخر .

ساحرتان

من ظهرت هذه القصة في العالم أول مرة ؟ ربما في كتاب (الكلاب) . ثعلها تنمى للقرن الثاني بعد الميلاد . في كل الأحوال ، هذا الرجل وصديقه يسقبان في رحلة نحو قرص الشمس الدامي . كأنهما عداد حسن ولاتن حكمة في غمام ذكرى شجيرة ا نسالويا هي المقصد ، وما تزال تبعه عن كيلومترات ، ونسيم الليل البارد يبدأ في المناوشات . أغصان الشجر ، ومن الحيوانات والطيور قد اختفت وما من صوت سوى همس الريح بين العذراء والأوراق الجافة . الرجل بشجع صديقه على مواصلة السير ، فإذا لم يبالوا وجهينهما ، فعلى الأقل وجدا المكان الذي يمكنهما أن يأويا إليه الليلة . ينه رفيقه متوجس ويشعر أن الغابة هي ألف عين تراقبهما . ولحسن الحظ كان هذا الأمر دافعا للاستمرار .. وبسرعة !

غابت الشمس وازدادت برودة الجو وحدة الريح ولا يلوح في الأفق أثر لأدمس . احتشدت السحب في السماء وبدأت الأشجار العالية كأنها غيقت وحيل لأحدهما ، واسمه (أريستونوس) ، أنه رأى شيئا يتحرك ، فحاول أن يمعن النظر قدر استطاعته في هذا الظلام الدامس .

أين ذهب من كان يتحرك هنا الآن ؟ شبح ؟ لا .. هما شبحان في الواقع يظهر ظل الثاني بعد الأول ويختفي كلاهما . بالطبع صار المسير صعبا وكلاهما يلتصق بالآخر على جانب صف الأشجار ، وهو يتلفت إلى الجانبين في كل لحظة يتأكد من أن نظراته لا تخونه .

لا ، إنه متأكد من وجود الشبحين . كلاهما ملتصق بالآخر ، كما هو ملتصق بصديقه . بل وبهرولان بنفس السرعة وعلى نفس المسافة منهما ، هذا شبح

عموما ، وقد حاول أن يقول ذلك لرفيقه لكن الكلمات تحجرت على شفتيه ، ومنعته أنفاسه المتلاحقة ، وقرر أنه لا داعي لإرعاب صديقه وأن يركز جهده في الركض ، لعله مخدوع رغم كل شيء . نعم ، لم لا ؟ لقد اختفى الشبحان بين سوق الأشجار .

بل يعودان !! وفي هذه المرة ظهرا في هيئة أكثر وضوحًا . . إنهما لامرأتين طاعتين في السن .

لاح أمامهما من بعيد ما يشبه الضياء .
أبطأ المسير ، وظن (أريستوتيلوس) أنها فرصة لالتقاط الأنفاس وإخبار صديقه بما رآه ، ثم يتمكن من الكلام ، فقط راح يشير إلى جهة الأشجار حيث رأى زوج الأشباح ، فتحولت عينا الصديق إلى حيث يشير لكنه لم ير شيئًا لعل هذا يؤكد أنه موهوم ، ربما ، خداع البصر وارد في أجواء فاتعة كهذه ، ومع هذا الجسد المجهد والعين قليلة البصر . نعم ، كل شيء وارد . لا ريب أن الخيالات قد لعبت برأسه ، لا وقت لهذا الكلام الفارغ الآن عمومًا ، فلنركز يا كأنها رفيقى على مصدر الضوء في نهاية الطريق ..

ما هذا ؟

إله نزل ، جميل جميل !

أسرعا الخطا ينهان المصافة التي تفصل بينهما وبين باب النزول الذي انقذهما من الضياع في الغاية المظلمة ، لقد استجاب الله لصلواتهما .

اقتربا من المنزل أكثر وطرفا الباب . سمعا الصوت من الداخل يسأل عن هويتهم . إتنا مسافران نريد الطعام والعبية . ففتح لهما الباب عملاق ضخم البدن تأملهما لحظة ثم أقبح لهما طريق الدخول . تقدمتا ببطء يجيلان النظر

في البقعة الواسعة. توجد طاولات ومقاعد خشبية وستائر خشنة. نزل للم
 جدًا لكن لم تكن لديهما حرية الاختيار. سقطا متهاكين على أقرب الحائط
 طامًا لعشاء بلهقة من صاحب المنزل الضخم الذي ابتعد ليجيب مطلبهما
 وعندما بدأ يتفحصان الصعداء، عاود أريستونبوس سيرة الشبهين، ومن جدي
 هز صاحبه رأسه زفيرًا. هذا خيال. إذا كنا قد قررنا من الأحراش بمعجزة، فكيف
 تأتي المعجزة أن تكونا في الغاية وقد أوشك الظلام أن يهبط؟ وكيف تمكن
 متابعة خطواتنا ونحن نعدو تخريبًا؟ ولماذا لم تكشفنا عن هويتكما؟ لماذا لم
 تاحقنا إلى المنزل؟ وأين هم الآن؟ جاءهما الطعام ليقطع على أريستونبوس
 سبل أسئلة صديقه المنطقية التي أخرسته. وبالرغم من ضالة إمكانيات المنزل،
 كان العشاء علمًا شهيًا لتناولته بنهم وعيا من النبذ حتى الثمالة. وحينما فرغ
 سأل صاحب المنزل أن يدلّهما على الغرفة التي سينامان بها. تناولتا شعير
 ووضع الدرج، فصعدا خلفه، درجات السلم الخشبي تصدر صريرًا مزعجًا تحت
 ثقل خطواتهما، قبل أن يتبعاه في رواق قصير إلى حجرة تليق بالصراخين،
 الحجرة فيها فراشين وطاولة صغيرة عليها حوض صغير وبعض الأكواب فيها
 ماء، ربما بغرض غسل اليدين والوجه، ومقعدين، وضع الرجل إحدى الشعير
 على حافة الطاولة، هل تأمران بشيء آخر؟ لا؟ حسنًا! تركهما وأوجد الباب
 خلفه بقوة تليق بجسده العملاق. على الفور أطلقا أحدهما نور الشمعة بنفخة
 من فيه وألقى جسده على الفراش ككلب ميت. لكن أريستونبوس جافاه النوم
 ومضى يتقلب في فراشه رغم التعب وهو يتذكر الشبهين ويتساءل من جيل
 هل كانا حقيقة أم خداع بصر؟ راح يتقلب في محاولات فاشلة لاستجادة
 النوم، ولما يأس أن يغمض له جفن، استسلم للتفكير، خصوصًا وأن ضوء القمر
 ساعده على البقاء منتبهًا.

مرت دقائق أو ساعات . لا يعرف . لقد فقد مع خواطره الإحساس بالزمن
وعندما بدأ الإرهاق يأخذ تلايبه ، شعر بحركات غير طبيعية قوية ، هل
يوجد دخيل في الغرفة ؟ لم ير شيئا . ولم يعد يسمع شيئا . عاد يمدح توكيز
حواشه من جديد ليكشف مصدر الحركة الخفية ، ولكن بلا جدوى ، ما زالت
الموجودات ساكنة والـ .. مهلا ، هل انفرج الباب قليلا ؟ إن الناقد تواجهه
في الباب مباشرة وسوف يسقط شعاع القمر على الداخل أيا يكن . ما زالت فتحة
في الباب تزداد انفتاحا . يالله ، ما هذا ؟ يحسن النظر أكثر فيرى يدا نحيلة
تتمسك بمستطيلة الأظافر ، كف عجوز معروفة قبيحة ، أصابع امرأة عجوز
تفتح الباب ببطء وحذر تمر في مكانه من الرعب والفرع يتأمل الباب الذي
يتم بفتح بالتدريج دون أن يحرك ساكنا .

لا تفتأ يا إلهي الرحيم ، ما هذه العجوز البشعة ؟ إنها امرأة عجوز رثة الثياب ،
مزينة بعبية المنظر ، ملابسا مهلهلة كالأسنان ، كأنها عروقة من امرأة أضخم منها
عراة بنيانا وعلى رأسها شال من الصوف يغطي شعرها ، فلا تبرز منه سوى خصلات
بيضاء تناثرت على جبينها المتجمد . وعلى شعاع النور المنكسر رأى الأنثى
العجوف كمنقار العصفور والحدقتين السوداوين اللامعتين ، والشففتين البارفتين
حول فم بلا أسنان .

واقفت العجوز في المدخل ونظت بصرها بين الفراشين ثم إنها أشارت بيدها
ولحقتها امرأه عجوز أخرى كأنها توأم لها، نفس الشكل والصفات، طبقاً عرف
فيهما أريستونوس العجوزين اللتان رأهما من قبل في الغابة. لم يكن وجهاً
ما إذن؟ ولكن كيف تتبعتهما العجوزان من الغابة إلى الحانة؟ ولماذا؟ ما الذي
لا يفريهما في عابري سبيل أفقر من الحشرات؟ هل ينهض من الفراش في الحال
فيواجهيهما ويبدد بظردهما؟ لا لماذا لا يصبر قليلاً ويرى ماذا هما فاعلتان؟

شاهدتهما تقفان دقائق تاملان المكان ثم تفصل إحداهما عن الأخرى
وتتقرب من فراشه هو تحديدًا . أغمض عينيه فورًا وحبس أنفاسه ليس للمخ
من الرعب ولكن بسبب رائحتها النتنة . لفحت صفحة وجهه أنفاس حارة
كانها من خوف الجحيم . ما الذي تريده هذه العجوز ؟ لابد أن يفتح عينه
ويواجه الموقف قبل قوات الأوان وقبل أن يموت مشلولًا من الفزع في لحي
وبالفعل فتح عينه مرة واحدة بأقصى اتساع لهما ورأى عيني المرأة العجوز
تحدقان فيه مباشرة !!

تبس جسده بالكامل فصار كالتمثال وغطاه عرق بارد يتصبب من كل
مكان في جسده ، ورأى العجوز تمد يدها النحيلة المعروفة تلمس بها جبهته
المحمومة التي تتقصد قطرات العرق . عيناها تحدقان في عينيه مباشرة
حاول أن يديرهما بعيدًا عنها لكنه فشل ، حاول أن يدير رأسه بعيدًا عن السطح
القيحي، لكنه أخفق ، حاول أن يفرج شفاهه ليصرخ مستنجدًا بصديقه الذي
لكن فمه ظل مفتوحًا ولا صوت يخرج ! جف ريشه ولم ينبس بحرف ، يد
مضت المرأة العجوز قُدك جبهته يرفق دون أن تبعد عنه ناظريها . حتى تركه
أخيرًا وذهبت إلى رفيقتها التي كانت تنتظر بالقرب منها .

الآن استطاع أن يدير يديه عينيهِ ويتابعها ببصره . أشعة ضوء القمر ملأت
الحجرة وساعدته . هل يستطيع أيضًا أن ينهض من فراشه ويتحرك ؟ حاول
بسطع . رأى العجوزان تتجهان ببطء وثقة نحو فراش رفيقه الناعم . وتوقف
عنده إحداهما، على الأغلب هي نفس العجوز التي لعبت بأصابعها في جيبي
منذ دقائق وهو نحتها كالمشلول . كررت نفس الفعل الغريبة القبيحة .

كفها إلى جبهة النائم ومسته. تحسسته مراراً دون سبب مفهوم ، ثم إنها ابتعدت بعد قليل وأشارت إلى رفيقتها التي أخرجت من طياتها ما لاح له كأنه حُق مصنوع من الجلد !! ما معنى هذا بالضبط ؟ فتحتة كأنها تجهزه لاستقبال سائل ما !! يا الله ! كانت المرأة الأخرى تخرج من عبها نصلاً حاداً. سن الخنجر لم يلمع في ضوء القمر ، نفثه الفرع فتمكن من الاعتدال قليلاً في فراشه، لكن المرأة لمحتة فالتفت إليه بسرعة البرق فتهاوى من جديد يخطيه العرق !

عادت العجوز إلى الضحية الغافلة .

رفعت الخنجر فوق الصدر ، وهي تتمتم بتعاويذ سحرية ثم هبطت به بكل قوة لتغوصها لينغرس حتى نصله في قلب الناعس .

صرخ أريستونبوس من أعماق قلبه أو هكذا ظن . لم يصرخ . بل صرخ بداخلة . وأغلق جفنيه بقوة لكنه ظل يسمع . سمع صوت قطرات سائل لزج يسقط في كيس جلدي .

كيف يصد أذنيه حتى لا يسمع ؟ مرت دقائق كالدهر حتى انقطع الصوت بها . هبّاد الصمت . ما هذا ؟ ما الذي كانت تتمتم به العجوز ؟ هل هي ساحرة ؟ بل هما ساحرتان ؟ وما الذي ملأ به الكيس الجلدي ؟

يا له من سؤال أحرق دم .. طبخاً !!

وذاك سؤال أهم : هل تكتفیان بدم رفيقه ؟ سوف يعرف حالاً .

أرهف السمع فلم يسمع أي إشارة لرحيلهما . طال الوقت عليه في القلق أصابعه ففتح عينيه ليراهما في موقفيهما عند رأس فراش رفيقه .. المرحوم !

تأملانه ؟ لا . إنها مستحسنة في نشاط ما لا يفقهه ، خاصة ولداً
ظهيرها . فلما ينظريه والخرع يشل كيانه . وتحركت واحدة
تخرج شيئاً من طيات ثيابها . انتظر - مرة أخرى - أن يظهر هذا الشيء ، فوجد
عنه الشعر ليتبين هوئيه . أي شيء - بعد الخنجر وكيس جمع الدم يا نوري !
ها هو .. ما هذا ؟ إنها مجرد إسفنجة ! إسفنجة عادية ناولتها لرفيقها

ناولتها شيئاً آخر . هذا الشيء ثقيل وكان ينبض منذ قليل .
إنه قلب صديقه ! قلب صديقه فعلاً . ينبض وينز الدم . قلب صديقه
شيء آخر . لا يزال يقطر دماً ، لا يزال ينبض في قبضة العجوز . وهذا الخنجر
المرأة الشطاة قطعة من لحاش مهترى قدر . قلبتها بين أصابعها ثم بلّغته
ناف فيها القلب النابض النازف ، ثم إنها حملت وعاء الدم وبدأت تقول بلبانها
عجبة !

- احذار أيتها الإسفنجة ، يا بنت البحر ، حذار كيف تعبرين النهر !
ما هذا الكلام العجيب واللهجة المخيفة ؟ ما معنى كل هذا ؟ لا وقت لك
استدارت العراةان . في اتجاهه ! المرأة ما زالت تمسك بالخنجر العلوي
صديقه في يدها . تتقدم منه بثبات مخيف ؟ فقدت الوعي في الحال .

كم مر عليه من الوقت وهو على هذه الحال ؟ لا يعلم ؟ هل مات ؟
لا ، لقد أبقتته أشعة الشمس ، تذهب وجهه وتخرجه من شبات طوي
فتح عينيه في خلال وزيع . في أي كوكب هو ؟ أي شيء حدث بالضبط ؟

ترتدأولاته صوت عالي النبرة يهتف في مرج ظاهر :
- مرحي ، لقد استيقظت متأخراً ، الحمد لله أتى تركتك تظفر بك
من النوم . لقد كان الإجهاد الذي أصابنا أمس كفيلاً بأن يقتل الفيلان .

هلم ، لم تبعد سوى أميال كي نصل إلى (تسالويا) »

ما هذا ؟ أي جنون ؟ مكث في فراشه يستمع لهذا الكلام الفارغ وهو في غاية الذهول . ثم عاودته ذكريات الليلة الماضية بمنتهى العنف . قفز صارخاً لدرجة جعلت رفيقه يعتقد حاجبيه مندهشاً :

« ماذا ذاك ؟ »

مضى يتأمل وجه صديقه . إنه بصحة جيدة وبكامل حيويته . لا يمكن أن يكون هذا وجه رجل مقتول ، انتزع قلبه وصفت دماؤه .. ولكن ألا يعنى هذا أنه كان يهذى ؟ وكل ما حدث بالأمس ؟ حلاوس ؟ أحلام مزعجة ليس إلا ؟ كوابيس ؟ بالتأكيد ، فلا تفسير آخر لذلك . مهما كانت له علامات الحقائق نوا الواقعية الحية . هل يقص رؤياه على رفيقه ؟ لا ، ما الداعي ؟ إنه فقط سيهزأ به ويسخر منه طيب ، ماذا حدث له ؟ إن آخر ما يذكره هو قدوم المرأتان را في اتجاهه ، إحداهما تشهر خنجرها وفي يدها الأخرى الكيس الجلدي الذي من صار وعاء الدم .

بحركة تلقائية وضع يده على صدره يتحسس موضع قلبه . إنه في مكانه . وينبض كالعادة . كان كابوساً مزعجاً . هز رأسه ينفض الخيالات البغيضة وقام يغسل من الأنية إذ يصب صاحبه الماء قبل أن يهبطا درجات السلم لتناول الإفطار ثم نفع صاحب النزل ماله والرحيل .

وعندما خرجا لتور النهار الدافئ ، وجدا اليوم مناسباً لمواصلة الرحلة . في مواقع كانت أشعة الشمس المبهجة تُبدد أية بقايا لأشباح الساحرات الوهمية . اتخذ الرفيقان طريق رحلتهم في نشاط ، بل راح الرفيق يُدندن وهما يجتازان هذه أجذوع الأشجار حتى اتجلت عن سهول خضراء يائنة تريض وسطها المدينة

المنشودة تحيط بها الحدائق من كل جانب ويجري أمامها نهر لأمع نهر
الجمال بحث في نفسيهما الحماس للركض المسافة القصيرة الباقية .

اخترقا الساحات المزروعة وأحواض الزهر حتى وصلا إلى النهر . كان عليه
اجتيازه كي يصل إلى المدينة . كانت مهمة سهلة بالقياس إلى باقي الولاة
الشفافة . مياه النهر شفافة ترى قاعها الحجري ، تقدم فيها أريستونبوس
رفيقه في موجات مياه باردة رائقة صافية تُغري بالشرب .

وبالفعل انحنى يجرع منهما بكفه عندما .. عندما تذكر فجأة : « حذرا !
الإسفنجة ! » فالتفت وراءه في لمح البصر ليجد صديقه يعب الماء كاطل
المجنون .

صرخ فيه :

« توقف يا أحمق ! »

لكن الألوان قد فات وانكفا صديقه على وجهه في ماء النهر . هم بمساعده
لكنه عندما رفعه رأى تلك الندبة الغائرة في صدره وقد بدأ جرحها ينشغل
إسفنجة مسحورة في موضع القلب !

لقد مات الرفيق . بكل تأكيد فارق الحياة .

لم يكن حلقا إذا . لم يكن ما رآه مجرد كابوس لعين ! ماذا فعلت الساحرة
برفيقه ؟ بل ماذا فعلت الساحرتان به ؟

راح يتحسس جسده يظمن على كافة أعضائه . إنه سليم . أو هكذا

حتى عرف أن الساحرتين شوهناء . عندما جاء المساء !

أفلام الرعب يا سادة !

السبب في المكانة المتواضعة لأفلام الرعب بين النقاد والجمهور هو العهد الطويل الذي استهان فيه أصحاب هذه النوعية من الأفلام بقيمتها الفنية وجودها بشكل عام . مخرج فيلم الرعب ومُشاهده يعترفان فيما يشبه الضجل بأنهما يتابعان الأمر لأنهما يجبانه، وكان تبرير القيام به يوجب البحث عن سبب مقنع سوى الفن نفسه، النقطة التالية هي أن الأفلام البارزة في بدايات سينما الرعب بدلاً من أن تتسلل إلى أغوار النفس البشرية وتحلل الكوابيس قامت باستحضار المسوخ الخضراء والعيون المفقوعة والدم ، ومناقشتها النفسية تقريباً ظلت محصورة في عمليات تحضير الأرواح ثم جلسات إخراج الأرواح الشريرة من أجساد البشر ومن البيوت، هذه العنائة التي أعطاها بعض المخرج وليم قريديكين شعبية كبيرة وحفلت أفلامه بالساحرات والعفاريت بالثغرات وتعريف الشخصيات والميول العدوانية والعدمية الجنسية ، وهكذا أدى الفكر الاستحواذي المُستغل (Exploitative) للسينما الأمريكية إلى تجسيد الحدث الرعب لا لتحليل الكابوس وإنما لخلق من خلال قوى الاستحواذ (Sophistication) التي طغت على الهيكل العام لأخلاق القرن العشرين ، فأصبح ما نشاهده على الشاشة من سواد يُكثف ما بداخلنا من قنوط متراكم من ويلات الحرب مجسماً الهلع الدفين من فكرة الموت تحت الانقراض . جاك السخاخ الذي يستل مجموعة خناجره في ضباب الأزقة الضيقة هو كل مجرم حرب ، الزيارات الليلية لعصاصي الدماء هي بروفة لزيارة عزرائيل للبلدان الخائفة ، تشوهات الوجوه وكسور الجماجم والصوخ المستنسخة في المعامل

والألفية هي المعادل البصري لمحاولة المكتومة وأن قري الفرع الذي يتجوز
مجرداً على الشاة مهما يكن من أمر، فهو يربحك مؤقتاً، على الأثر المتأخر
الافتتاح والأحوال تحدث للآخرين وأنت في النهاية آمن .

أنت تذهب إلى السينما وتفتح التلفاز بكامل إرادتك الحرة، لا يخرجك
الوحش من الشاشة ليطارذك في المنزل أو الشارع ، كما أن صكة القرار
(الك المفسر) كانت تلتهم من يدخل عالمها فقط ولن تصعد الشبلي
لتعض أحدهم خارج نطاق قوانين الطبيعة . انتبه المخرج الكبير فيليني
الوجه الذي يعتريه الفرع في النفوس ، دون الحاجة إلى صوغ أو ألياج، في
كايبريا بظلة فيلعه (ليالي كايبريا) لها طبيعة نبيلة وإيجابية وتقدم نفسها
يدفع مهما كان مستواه الأخلاقي ، تبحث عن السعادة مع أنها امرأة سالطة
ترغب في التغيير ولكن قدر لها أن تلعب دور الخاسر الدائم في هذه اللعبة
في نهاية الفيلم تقرب من الأمنية أكثر مما يمكنها التقرب، لأن الزواج الوليد
جعلها تشعر أنها أكثر جمالا، ومن أجل أن تذهب مع العريس المتظرع
منزلها الصغير الأثير ، وكل ما تملكه من زمن التضحية بأعلى ما تملك بالإثارة
إلى مدخرات المصرف ثم تكتشف أن الرجل الذي ظنت أنه لا يحب سواها
يريد إلا الاستيلاء على ثروتها .

ينلطح وجهها بالدموع والأصباغ في مشهد مرعب فعلا يمثل الرعب
بشاعة الإنسان لا الشبح . لا يؤمن فيليني أن هناك أوغادا بل بشراً فقط
فالأخيار قد يتصرفون كأوغاد ، والأوغاد قد يكونون ضحايا الظروف ، لأنه
يكون أحدهم شيطاناً أسود القلب ويمكن أن يؤثر فيه مواء قطرة صغيرة

حاشي بطل فيلمه (حياة حلوة) بطلا وينتهي كأسوأ وغد يمكن أن يقتل أطفاله ،
 حادثة أزعجت كثيرا من الناس بما فيها المنتجون والنقاد الذين اعتقدوا ذلك
 غلوا عنه ، مع أن الحادثة مستعدة من واقع الحياة والمنشور في الصحف .
 فيلبنى أفلامه جادة لكنه مولع بالأسباح ، وعاش يجرى مئات الأحاديث الخيالية
 مع والده الذي يمقته وبعد أعوام على موته ، حاول وهو يبحث في الظواهر
 الخارقة من أجل فيلم (جوليت والأسباح) أن يتصل بالأب الميت من خلال ما
 يشبه تحضير أرواح فنى ، لهذا رأى أكثر من شاهد أفلامه أنها مخيفة بالرغم من
 أنها لا تنمى رسميا لسينما الرعب . لكن الرعب موجود في عين الناظر ، إنه
 ينبع طريقة في النظر إلى الأشياء ، «أعتقد أنه لو قمعنا أحدها في الحيوانات التي
 ندبحها لتغذى بها، لبدت عملية الأكل فظة ومرعبة ، لا أريد شخصا أن أعرف
 كيف تنفق الفراريج » يقول فيلبنى : «ومن المؤكد أنني لا أجرؤ على فك رقبة
 واحد ولا أحب أن أتخيل مصكة تلهث طلبا للهواء وسرطانات البحر تغلي حية ،
 هذا فظيع جدا وإننى لأتساءل عما تحس به الفواكه والخضر » .

التيارات الأساسية لأفلام الرعب :

تعتمد أفلام الرعب على عنصرين أساسيين : ضعف أو درجة لا استعداد
 الضحية ، والحيوية الخوارقية لمصدر التهديد ، لا توجد قدرات خارقة للطبيعة
 في فيلم (مايكو) لكن البطل معزز بقوة باطنية من طاقة الاضطرابات والوساوس
 والاستغناء عن التعامل الاجتماعي الطبيعي ، لكن الشائع هو أن يكون مصدر
 تلك القوة الهلع جبار لا يموت مثل مسخ فرانكنشتاين أو الزومبي الموتى الأحياء أو ابن
 بل شيطان في روايات ملف المستقبل وكلها تساعد في إنتاج أجزاء تالية للفيلم
 الظروف أو العمل ، وقد سيتر هيتشكوك بين مفاجآت الأفلام العادية وبين حالة الترقب
 طاعة صهيونية

التي يصنعها في أفلامه والتي تعتمد على التصاعد التدريجي للرعب الكمبر
في الوضع الراهن دون مستجدات والمعروف للجمهور لكنه يتجاوز إدراك
الشخصية في الفيلم (بطلة سايكو لا تعرف أن صاحب الفندق هو السام
أبطال فيلم الطيور لا يعرفون شراسة هذا الكائن الوديع، الرجل الفيل يبيع
البطل طيلة الوقت) وكانت الروايات المعاصرة لهيتشكوك كلها تعتمد على بلوغ
الرعب القوطي البريطاني الذي يدور في فلك فكرة واحدة: امرأة شابة بريئة
تستكشف منزلاً غامضاً، لوسي في دراكيولا مثلاً، والقارئ يعرف ما يفعله
المنزّل من أهوال لكن الفتاة غافلة. تطورت هذه المواقف فيما بعد حتى
تحولت إلى مجموعة الشباب الذين يستكشفون منطقة نائية أو بقعة سباحة
ليخرج لهم كائن ما يلتهمهم الواحد تلو الآخر. هذا دمج بين اثنين من أهم
تيمات الرعب: الضحية الغافلة والمنزل المسكون مع كل خطوة في العمق
المظلمة في بيت الأهوال نتعاطف مع البطل وننسى حماقته وعند كل باب
يصدر صرخة ترتجف قبله ولا نسال أنفسنا: كل هذا القصر الفخم ولا يجرده
بعض الشحم لعلاج مفاصل الباب ؟

هذه الكلاسيكات تتجاهل مستويات السخرية من عبثية الموقف التي
تكفي فيه أحياناً مكالمة هاتف أو الرحيل فوراً، لحساب تدعيم حب الاستكشاف
وغريزة الفضول في نفس البطل والمشاهد، وقد لجأ مؤلف مسلسل أفلام
إكس إلى تصوير إحدى حلقاته بالكامل باللونين الأبيض والأسود في فضاء
منعزلة كأنك تشاهد أحد أفلام هيتشكوك بالرغم من أن اسم الحلقة
(برومثيوس ما بعد الحداثة) لكن التفاصيل كلها تنتمي إلى رعب الثلاثينيات
عالم مجنون ومحاولات تهجين الوحوش مع البشر، مسخ يزور البيوت ويحرق

المقابر، إلخ . الظلام مرعب والظلال مرعبة أكثر، إنها تثير الخيال ، ما الذي يخفى فيها ويمكن أن يخرج فى أى لحظة؟ سفاح ، نصف امرأة، وحش ذو ألياب؟ رغبة لا شعورية فى تجربة الموت قبل أن نموت فعلاً . لحظة التطهير بعملية انتحار رمزي .

طفل روزمارى

ثيمة الانطواء موجودة ولها عالمها الخاص . خير ما يمثلها فيلم (طفل روزمارى) الذى كتبه وأخرجه المخرج الكبير رومان بولانسكى عن رواية لايلا ليفين . ثيمة السخرية من كل شىء، موجودة فى دعاءات الفيلم كما تلمس فى تلك الروح فى كافة مغامرات العجوز رفعت إسماعيل فى سلسلة روايات ما بين راء الطبيعة ، لكن هذه الزوجة الشابة تعيش فى عزلة وينمو داخلها الشك فى كل يوم حيال الرضيع الذى تحمله: سوف يأخذونه منها فور ولادته ليشرّبون دمه فى مراسم للسحر تعرف أنها تمارس فى الشقة المجاورة. روز مارى وود هاوس (المثلة ميا فارو) تلعب أيضًا أحد تيمات شخصيات الرعب الأساسية: المزعوب الجاهل الذى يسير فى اتجاه خطأ. لأن الحقيقة كانت ألعن من كل ما تخيله كما سوف تعرف بعد قليل. بولانسكى يجعلنا نتوحد ببراعة مع روزمارى ، نحن نمقت الطقوس السحرية ومن يقومون بها وعلاقتنا بهم مزيج من التوجس والتفوق . الفيلم يبدأ بنظرة بانورامية (بان فيو) لشوارع مانهاتن . الرعب يسكن المدينة ولكن أين ؟ تتطور اللقطة إلى ميل لأسفل بزاوية قائمة إلى الشارع أمام المنزل الذى يعرض فيه السمسار إحدى شقيقه على روز مارى وزوجها جاي وود هاوس (الممثل جون كاسافيتيس) ما الذى يمكن أن يحدث بين هاتين شقة عصرية فى إحدى أكبر مدن العالم المتحضرة؟ هذه ليست قلعة

قوطية ولا بيت أشباح . بالرغم من ذلك يجدان أن الجيران مجموعة شاذة من
هواة السحر ، لكن الزوجان روزماري لا يهتمان ، فهذه مدينة كبيرة والقرية
يزيد عن كونه أحد الميول الشاذة الخفيفة . فضلًا عن وجود مبنى التوليد
كاستيفيث الزوجين الكهلين الودودين في الشقة المجاورة لهما . كذلك
طبيب التوليد دكتور سايرشتاين (الصمثل رالف بيلامي) الذي يتضح أنه من
أعضاء فرقة السحرة ! لكنه يتابعها وهي لا تعرف موضوعه وينصحها بتل
أعشاب مفيدة ، وما الفائدة؟ تلقيح الرضيع ليصبح ابن الشيطان الذي يعب
هواة السحر ! تغلق على نفسها الباب بعد ما عرفت أن لكتهم يتسللون إليها
باب سري . يخبرونها أن وليدها قد مات . لا تصدق وتبحث عنه لعدة
النهاية ، وحتى عندما تعرفه بأصله الشيطاني تهز عريكته بحثًا لأنها لم
كل شيء . وهذا يشرح صدور زمرة السحرة في نهاية ساخرة وهم يطعن
المسيح المنتظر . بولانسكي ركز أكثر على مؤامرة الجيران بينما تعتمد ريف
البقيين على العدو الكامن في الداخل . الجنين الإبليسى !

ليلة الموتى الأحياء

في أواخر الستينيات كتب جون راسو سيناريو وخوار فيلمه الشهير إلى
الموتى الأحياء) الذي تلقفه المخرج المرعب المولع بالجنث (جورج روبنسون
وحقق الفيلم نجاحًا كبيرًا بالرغم من الإنتاج المتواضع وتنبه صنّاع السينما
حقيقة أن للإنتاج المحدود للشركات الخاصة في مجال الرعب تأثير محدود
لأن الديكور الفقير والإضاءة الشحيحة هي أساس الكوابيس وهي متوفرة في
كل مكان . الفيلم من أوائل الأعمال التي قدمت الزومبي على الشاشة .
يخرجون من القبور بعدوانية صريحة تجاه الأحياء الذين يلتزمون جانب

المنزلى . كما قدم رومبرو كل ما تأثر به فى سينما هتشكوك : الحيوانات
المحظنة ، الموت تحت الدش ، القوى الجماعية التى تطرق الباب ليلاً كهجمات
الطيور التكتلية ، شواهد القبور وسحب تظلل القهر .

الفيلم يبدأ فى مقبرة . أخ وأخته يزوران قبر والدهما عندما يضع رجل
مخيف يده على البنت . يدافع عنها الأخ فيموت فى المعركة وتفر . تهرع
إلى سيارتها لكن المفتاح ضاع . إنها محبوسة بالداخل والرجل الغريب يطرق
الزجاج . السيارة هنا كالمنزل أو الفندق تحت التهديد فى كل هذه الأفلام .
ملجأ واء معرض لخطر محقق . الفتاة تنجح فى الهرب إلى منزل قريب فى
حرب بسلغانيا وهناك نقابل (بن) الذى تلاحقه جماعة الزومبي ، وفى القبو
المزبد من الهاربين . كل هؤلاء بالداخل والهول بالخارج كأننا عددا للعصر
الحجرى ، ينطبق على الوضع قول (برستد) : «إننا لا نزال فى مستهل عصر
تكوين أخلاقنا وإننا ما زلنا على أبواب مملكتنا الشاسعة المترامية الأطراف التى
لم نرد مجالها بعد . وإنه بيننا وبين الوصول إلى حدود تلك المملكة أهوال
ومصائب شاقة ربما استغرق التغلب عليها مئات الآلاف من السنين» .

وهكذا تكون النتيجة الحتمية للصراع بين الميت والحى هى الانتحار عن
طريق الانقلاب على موازين الحياة والأخلاق . نجد فى القبو الزوجين كوبر
وإبنتهما التى تعوت ورجل وامرأة شابين . بعد قليل نعرش على صاحبة المنزل
فى الطابق العلوى . تحللت وتعفنت . ويلاحظون أن الميت الحى وحده غير
قادر على الهجوم الفعال بل إذا هجموا فى جماعة . كما أنهم يخشون النار
بشدة وهذا ينجح فى تخويف الواحد منهم وليس المجموع . لكن الأفراد

في محبتهم يتناهبهم الذعر وينتشر كالعدوى . يثوثرون ويتشاجرون ويحل
بن (الممثل داوتى جونز) قيادة الجميع مع باربارا (جووديث أوديا) لتفريق
من فتحة خفية تحت حماية قذائف متفجرة صنعوها بأنفسهم ومحاولة بل
الشاحنة بالجازولين بينما يشتد الحصار . حتى يحدث هجوم أكلى لحوم البشر
ويتحول الطفل إلى واحد منهم ويقتل أمه وتجد باربارا أخوها بين الموتى
الأحياء الذين يشفقون في اقتحام القبو . أما نهاية الفيلم فساخرة مؤسفة ، في
أن الشرطة تصل للمنزل وعندما يظهر بن من فتحة القبو يعتبرونه من الموتى
الأحياء فيطلقون عليه النار في الحال ، والمشهد الختامى للمأمور ورجله وم
ينزعون الزومبي وبينهم بن بالخطاطيف الحديدية ويلقون بهم في العربة
هذا الفيلم لا يظهر ولا ينفيك ، ولا ينتصر فيه البطل ، بل يستمر كغيره
الرعب الغاشى الخارج من القبر .

عروس فرانكنشتاين

يرى فلينى أن أحلامنا وكوابيسنا هي ذات أحلام الناس الذين عاشوا في
آلاف السنين وكوابيسهم . وأن المخاوف التي نتمتع بها في منازلنا هي في
الأساس ذات المخاوف التي عاينها سكان الكهوف . وقد استعمل لفظة إنعكاس
لأن هناك في اعتقاده متعة للخوف . وإذا كان الأمر خلاف ذلك ، قلنا بل
الناس على امتطاء قطار الملاهي الأفعوانى ، الخوف يصنع الحياة بعدة وأنهم
طالما أخذنا منها جرعات صغيرة ، والشجاعة القصوى هي التي يبلغها الإنسان
حين يقهر خوفه . والذين يخشون شيئاً هم المجانين أو الجنود المبرزين
وهؤلاء ليسوا مسئولين ولا مؤثقلين ، ويجب عزلهم بحيث لا يهددون حياة
من الناس بالأخطار . وعلى ذلك لا تنشأ الحكمة الفنية في فيلم الرعب

طريقة محفوظة من مصدر الرعب في الفيلم : لأن أساسيات الصورة المؤثرة في هذه الأفلام يمكن تنفيذها بشكل أو ثوماتيكي ، بعض المقابر والراديب والظلال مثلاً ، دون الحاجة إلى قنيات خاصة ، بل على الفنان العاهر أن يتحاشى عنصر الصعقة أو الصدمة المحضة الذي لا يدوم طويلاً ، الصعقة المطلوبة يجب أن تظهر ضمن إحدى مفاجآت الفيلم : قاتل يشب من زقاق ، أنياب غول تنمو ، جثة تستيقظ إلخ . وكلها تفاصيل في الفيلم لا يجب أن يعتمد عليها تأثيره المرعب ، بل يجب أن ترتبط فكرة الفيلم بمخاوفنا غير الواقعية ويكوأيس الطفولة ، بغير تجسيد صريح ، والتجريد العقلي فاشل في هذا النوع من الأفلام .

لهذا السبب فاق نجاح فيلم (عروس فرانكنشتاين) نظيره (فرانكنشتاين) وهي النسخة الأصلية التي صنعت قبل أربع سنوات سابقة على العروس (1935) بالرغم من وجود تشابه بين الصفات النوعية الكلاسيكية الموجودة في كلا الفيلمين ، لكن (عروس فرانكنشتاين) يمثل بالنسبة للمشاهد الحديث ظلًا من كوميديا غامضة جعل الرعب أعمق . الأقسام الساخرة توازي رهبة العون في رحاب الجو القوطي (تصوير جون سيسكول) ضمن مشاهد قائمة بغثيا الضباب كتبها جون بالدرستون ووليام هيرليان بالاعتماد على نص رواية ماري شيلي . وهنا يأتي الدكتور برايتورياس (الحصل أرنست تيسيجر) بطاقة حيوية لأفلام العلم المخبول د. هنري فرانكنشتاين (كولين كلايف) فيفيض على الموقف المزبد من الجنون وهو يعلم بعالم من المصوغ والآلهة . فيعرض على د. فرانكنشتاين المعتزل العودة للعمل لتطوير المخلوقات البشرية ولكن يشجعه يخطف خطيبته بمعاونة المسخ ، أما المشروع العظيم

والفكرة الخلافة هي خلق خليفة للمسيح، قريبة للوحش لبداية خلق جنس كامل من الممسوخين، وهي أيضًا فرصة هائلة لنرى حجم الخيال لدى الدكتور برايتوريوس وشخصيته ممتزجًا بروح الصرح المجنون: إنه يعبر معقولة الوضع كله، لكن الحلم الكبير شيء ولا مع: عالم شامل من الممسوخ والممسوخ، فنحن نتمنى للموت والكراهية، وليس أدل على عزتنا والغرور أرواحنا من الأرواح العالمة بظلال الفزع في كل حين !

الشجرة النائمة

مدفوعًا بياسه، ووجوده الذي يتلاعب به الأسي، لا يجد جاسم نفسه، وهو يعض في رحلة أمل نحو شجرة الحياة الأسطورية، وكل قاصديها مافون بها، وما يحيط بها جارف لا يعترف بالزمن والغناء، فتستعيد الحياة معاد وتصحو السعادة التي تسربت من بين أصابع جاسم ونورة، ويعيشان زواج من جديد. هذا هو مضمون فيلم (الشجرة النائمة) حسب رؤية مخرجه محمد راشد بوعلى في مقابلة معه مع CNN: «هدفني كان أن أقدم قصة تلمح أحاسيس الجمهور وتفكيره، وحياته، وتقدم فكرة عن بعض العادات والتقاليد والتراث البحريني. الفيلم يمثل قصة حقيقية وواقعية استمدتها من حياة الشخصية، وأضفت عليها العادات والتقاليد من الموروث البحريني».

ما بين الرؤية والكلام الصريح سوف تلاحظ بسهولة المشكلة التي يقع عليها الفيلم: غياب النيمة، وبالأحرى، تشتت المخرج بين طريقة تناول موضوعه بالمعنى الفيزيائي والروحي والواقعي والمجازي. شجرة الحياة موجودة على أرض الواقع وعمرها يزيد على أربعة قرون ويغد إليها السياح من كل مكان.

وفي الفيلم يزورها (جاسم) مصادفة، وربما على كراهة منه، ولا يكثر كثيرًا بما يقال عن معجزات الشجرة، ويسخر من الطقوس والعمادات التي يتطوع بها بعض الزائرون، ثم إنه يستلقي على جذعها في حالة كسل كالتى تعترى له من دار على ساقيه كثيرًا في الغابة، وفجأة تهاجمه رؤيا لابنته جالسة على أحد أغصان الشجرة. يرى ابنته المريضة وقد كبرت وبصحة جيدة، يبدو عليه الهجوم والاستغراب عندما يفهم من سنته ويبادر بسؤال أحد الحجاج في سيارة العودة: «لماذا جئت إلى هنا؟» ويتوقع أن يسمع ما يروى إيمانه الضعيف المتزعزع بقدرة الشجرة، لكن أمه يخيب في الحال مع الإجابة: «جئنا لمشاهدة الشجرة التى لا تموت، هذه هي المعجزة!» تسقط رأسه في تعاسة وتأمل. وهنا تحديداً لا نفهم ما الذى يرغب كاتب الفيلم أن يقوله لنا. (جاسم) لا يتلقى لحنًا صورة إعجازية تتحدى سخريته من الأسطورة، فما المقصود بالرؤية العابرة؟ حيثما وما معنى حالة الصمت التى افتاتته كأن الحكمة قد هبطت عليه فجأة من قمة شجرة اللغز؟ إنه لم يتعلق بالأمل بالمعنى الحماسى الإيمانى ولا وجد ما قدم لنا يغير من رؤيته التهكمية وهو من البداية يزور الشجرة مجبرًا.

إذا كانت الرمزية هنا تتعرض لمفهوم الإيمان، على حد قول السينمائي سعد الدين: «الفيلم رحلة صوفية موسيقية بصرية فيها عمق شخصيتين، زوج وزوجة، أصاب حياتهما الجفاف بسبب مرض أولادهما»، ألا يجدر بالمخرج أن يوضح لنا سبب المقارفة التى تجعل (الشجرة) تكافئ الكافر بها بلهام منامى أشبه برؤية رآها بوذا تحت شجرة النين؟ وماذا عن منات الزوار المؤمنين بالمعجزة، معجزة الخلود إن لم تكن القدرة على الشفاء؟ ومما يزيد الأمر غرابة أن التعامل البصرى للموضوع فى الفيلم لا يرسى المشاهد على

يرى ، فهو يرى الجموع تتوافد وتمارس الشعائر الخاصة للتبرك بالشجرة كلما
ضرب راحل الأولياء أو صخرة في القاتيكان ، لدرجة أن رجال الأمن والعهد
المسئولة تتدخل حتى لا تعود الفوضى ، ثم يرى الشجرة مهجورة كأنها تنظر
أحد الرهبان أو الزهاد يرش عليها بعض الماء كمن يزور مقبرة ! إذا كان المخرج
يقصد أن يضع كلاً من الصورتين أمامنا لغرض جديد (العله تناقض السرور
البشري) فلماذا حسم المسألة ؟ إنه لم يترك لنا سوى ترجمة واحدة : في
الكسول ، الذي لا يحمل في قلبه ذرة ثقة بالشجرة ، تكافئه بسرعة ، نؤ
برؤيا صادقة ، تتحقق فيما بعد بشفاء ابنته . لا يمكن استيعاب ذلك بسهولة ،
لا بالمنطق الأدبي ولا الغرائبي . جدير بالذكر ملاحظة تلك النزعة البنيوية
لعلاقة الإنسان بالطبيعة ، بينما أشاهد العرض الأول لفيلم (الشجرة النافذة) في
يترامن عرض الأفلام الجديدة في مهرجان القاهرة السينمائي ٢٠١٥ ومهرجان
أجيال الذي استضافت الدوحة فعاليات في ديسمبر من العام نفسه وقت كتابة
هذه السطور وعرضت فيه (الحمل) الإثيوبي وهو قصة الصبي الذي نموت له
بسبب الجفاف ويهاجر والده للعمل فلا يبقى له من صديق سوى حمل صغير
وديع ، وفيلم (الجمال السماوي) من روسيا - منغوليا ، حيث الأسرة تضرب
جمال صغير لكن أمه تنور وتهرب ، وأخيراً فيلم (طوطم الذئب) من الصين عن
قبيلة منغولية تعيش الذئاب لكن الثورة الشيوعية تبذل كل شيء ،
نعود لشجرتنا ، راقى أن تخرج صورة سينمائية من البحرين بهذه الخرافة
والنضوج ، لكنها لبنة جيدة وحجر أساس متين لا أكثر من ذلك ، وليست حجة
توصيف الناقد زياد عبد الله بأنه أهم تجربة روائية خليجية طويلة (تستمر
الزمان والعكان وفق المعطى الثقافي العربي والخليجي ، وآليات السرد العربية

في سياق صوفي لا يكون الفلاش باك عودة بالزمن بل كسرًا لحواجز الزمن أو ما يخرج الحي من الميت (الحقيقة أنه لا توجد رؤية صوفية في الفيلم ، سواء بالمعنى المنهجي المعتاد أو بتوجه خاص من الكاتب والمخرج ، لا وجود حتى لإيمان افتراضي تجريدي نلتقط منه طرف الخيط لتسامح مع معطيات هذا الإنتاج . مع ذلك تتخذ الأحداث مسارها المرئي والمسموع في إطار تشكيل سينوغرافي خالم ، بلغة المسرح ، يرسم ملامح البطل وحياة أسرته الصغيرة وعالمه الذي لا يتميز عن الآخرين في كثير سوى مشكلة ابنته التي تنفص على الأسرة حياتيا ، وتتداعى تيارات الأعماق في هيئة توتر موسيقي وإيقاع متسارع . أحيانا فتنتطلق هواجس الحيرة ، وربما هي التي تجسدت في هيئة رؤيا المنام جزء تحت الشجرة . وكان يمكن استغلال هذه التوجه من ناحية مخرج الفيلم في خلق خصوصية رومانسية تترك بصمات لامعة ورؤيا واضحة أكثر إما من خلال ثورة الإنسان عموقا على خلل وجوده وظلم الأحداث وعشوائية نصيبه منها كل حسب وجهة نظره . أو من خلال تسليمه للقدر بشكل مطلق بدافع إيمان الهي أو قنوط موروث كأنه نعمة في سيمفونية عملاقة ، لكن الذي حدث على الشاشة في مجموع المشاهد هو حالة متوترة تعلقت بين إمكانيات الوعي العابر للجدل وبين ظلال الخموض الرمادية ، حتى السؤال : لماذا هذا الرجل بالذات ؟ ، كان سيفقد أكثر جاذبية وعمقا إذا كان صانع الفيلم يسأله ويقدم محاولة للجواب ، أما أن يتساءل المشاهد فلا يفقه الإجابة ، فهي بالطبع نقطة تراجع لمستوى العمل الفني . ولعل أصدق توضيح لفيلم (الشجرة الناعمة) جاء على لسان مؤلفه الأستاذ فريد رمضان : « الفيلم يتناول موضوع الحياة والموت ، اليقظة والنوم ، انتظار المعجزة أو انتظار الأجل المحتم أمام حالة مرضية

بعالى منها زوجان تتجسد في وجود بنت مصابة بمرض يوصف طبيًا بأنه الشر
الدماعى . الفيلم يطرح هذه التيمات من خلال وجود شجرة الحياة اللطيفة
بالحياة وسط الصحراء ووجود بنت مصابة بمرض الشلل الدماعى تنمو وتكبر
شبه عينة أو فى غيبوبة ، وكذلك من خلال علاقة الزوجين وهما يراهما إلهما
وينتظران حدوث المعجزة بشغافها .

نعم ، هذا صحيح ، لا فلسفة عميقة هنالك ولا خلقية صوفية للأحداث ، هذا
مؤلف محترم يعرف ماذا يريد وكتبه بلا ادعاء أو تزيف ، لكن الرؤية الإخراجية
شئنا أم أبينا إن لم تكن واعية تمامًا فسوف تتسلل ولو بطرق الإيهام من خلال
عدة أشیاع رمادية تشوش الصورة . وللأسف لا يمكن طبع تصريح المؤلف
ونشره على أفيش الفيلم أو نشر البداية ! وسوف يبدو الفيلم جميلًا فى عز
هؤلاء الذين لا يبحثون عما وراء وراء ، ولا يبالغون فى عمليات التأويل ، فقط
يقفون فى هدوء وتأمل ، كما فى رواية محفوظ (حديث الصباح والمساءلة)
وفيلم أبو سيف (السفامات) وسوناتات شكسبير الأخيرة ، أمام حكمة الخلق
الجليلة فى تعاقب الحياة والموت ، النور والظل ، الخشوع والكبرياء .



قرأت لك : ثلاثة

(الرواية : ثلاثة ، المؤلفة : سارة لوتز ، الناشر : حاس ماركت ببيريكا ، تاريخ الطبعة الأولى : ٢٨ أبريل ٢٠١٥) .

أربعة طائرات تسقط تباعاً، في أوكيجاهار اليابانية ، وكيب تاون في جنوب أفريقيا ، وفلوريدا قرب الساحل البرتغالي ، وبالقرب من المملكة المتحدة . ومن كل طائرة ينجو طفل واحد . هيرو ، وجيس ، ويوبى ، المجموع ثلاثة . وبالنسبة لعدد الطائرات ثمة ما يحفز على التفكير في طفل رابع، لاحظ أن كل طائرة سقطت في قارة مختلفة! رواية (ثلاثة) للكاتبة سارة لوتز تبدأ بفصل طائر تعلمت فيه على يد ستيفن كنج من الناحية الأسلوبية، الخوص ببطء في عالم الإنسان الروعى : السيدة (إميليا) أمريكية مفرطة السمعة، ماثتها تملئ لها سرعة من ثم تحرق شوقاً لدخول حمام الطائرة التى تقلها من اليابان إلى أرض الوطن، لكن الطائر العجاق يهتز في الهواء مما ينز بالويل، تعرف أنها على وشك أن تموت، فتبعث برسالة صوتية من هانفها المحمول لزوجها عندما تدرك أن الناجى الوحيد هو الطفل (هيرو) - (الطفل) ! على أن شاشات التلفاز والميديا العالمية تتعاطى المسألة من منظور أنها عملية إرهابية حقاً ، هذا ما يشير إلى التوقيت المتزامن وتماثل الحوادث ، بالرغم من أن التحقيق المبدئى نفى هذا المعتقد ، هى مجرد حوادث طبيعية، قضاء وقدر راح ضحيته هؤلاء الأبرياء ، وبالتالي ما كان من أجهزة الإعلام إلا أن تدبر الدقة ناحية المسألة الإنسانية التى ألمت بأسر الضحايا عن طريق استضافتهم للثلاثة معهم بخصوص علاقتهم بالراحلين ولشر بعض الصور لاستعطاف قلوب المشاهدين . وفى هذه المرحلة تُسرد الكاتبة روايتها بأسلوب أقرب للقصة

الصحفية ، فتخلى عن أسلوب كتج المسهب وتستعير طريقة داني براون من
الطرق الجانبية المختصرة ، ويبدو الأمر منطقياً جداً عندما تنصدي لبطون
المشهد الصحفية (إليزابيث مارتينز) المتحمسة لمواصلة التحقيق المستعصر
لا لإمطة الثام عن أسرار الجريمة المحتملة ولكن للإفادة من العنا
المتحصلة في إتمام تأليف كتابها (الخميس الأسود) الذي يتناول تميز
نهاية العالم في ٢٠١٢ / ٢ / ١ ، الفكرة التي يروج لها رجل الدين (لين) ويؤمن
بها لدرجة الجنون ، لا بد من أن الطفل الرابع قد نجا وهكذا تكتمل نبوءة
فرسان الرؤيا الأربعة المذكورة في رؤيا يوحنا اللاهوتي بالكتاب المقدس .
ويتناثر كلام عن تدخل مخلوقات فضائية في الأحداث الكبرى التي تحدث في
سطح الأرض . أما الأطفال فقد بدوا غريبى الأطوار ، ولا يعرف أحد فلما
سبب المعاملة عنفرطة الحفاوة التي أحاطتهم من ذويهم ورجال الصحافة ،
أم هو أثر التجربة العنيفة التي مروا بها أو .. أو هو شيء آخر ، كعس أعلهم
مثلاً المؤلفه اعتمدت اللغة السينمائية في كتابه روايتها فأسقرت في وصف
المشاهد وهي صفة راجت بين أهل الأدب مؤخراً عندما تكون عيونهم ملعة
أساتما على السينما وعلى تناول أعمالهم دراميا قور الانتهاء منها . وهكذا عرف
يحب الرواية أصحاب الخيال المرتبط بالأفلام والذين اعتادوا على الإنجاس
بالكتابات المشهدية ، وفي ختام الرواية نقرأ هذا المشهد : يسمع على البعد
الصوت الصمير للطائرة المروحية ، وهي تقترب ، كم يحب ذلك الجزء من
اللعبة . حينما يرفعونه عبر الهواء إلى هيليوكوبتر ، في هذه اللحظة يتم
بمساعدة الدنيا مهما حدث ، ولكنه قرر أن يلعب اللعبة في العرة المثلث
بشكل مختلف ، فهو يعرف .. وهو الذي سيلعب .

رصاصه فضية

رواية سلسلة

تأليف : ستيفن كنج

ترجمة وإعداد : د. هانى حجاج

الجزء الأول

١ - تاركرز ميلز

فوق يسكان ما فى السماء بزغ القمر مكتملاً مكتملاً، لكن هنا فى (تاركرز ميلز) خنقت عاصفة ثلجية سماء يناير بالثلج، واندفعت الريح بعنف إلى أحد الشارع الرئيسى فاستسلمت لها كاسحات الثلج البرتقالية فى البلدة مُعلنة عجزها بلا مقاومة، وكان (آرنى ويستروم) : عامل إشارة السكة الحديدية على كبر تحويلة جى إى ودبليو إم ، قد احتجز فى كوخه ذو الأضواء والعلامات على بعد قرن لعدة أميال من البلدة ، وقد تجفدت عريقته المعدنية التى تعمل بالجازولين عينا والمخصصة للمشى على القضبان. إنه ينتظر العاصفة هناك ويتسلى بلعب بها، ولأنه (موليير الرجل الأخير) بأوراق لعب مشحمة منسوخة كانت هدية مجانية مع يوا تخم الدراجة ، وفى الخارج تعوى الريح وتحول إلى الصراخ ، فينظر (ويستروم) فى

يستمع توتر ثم يعود إلى اللعب. إنها الريح رغم كل شيء أ

لكن الريح لا تخدش الأبواب ، ولا تعوى كى يُسمح لها بالدخول أ
ينهض من مكانه ، رجلاً فارغ الطول، نحيلاً، يرتدى سترة صوفية وزى
الذى يحمل قصفات (نيو إنجلاند) تضيقه الانعكاسات البرتقالية من مصباح
الكبروسين المعلق على الحائط.

بعود الخدش من جديد. هذا كلب أحدهم - فُكّر - وقد ضل الطريق ويتردد
من يسمح له بالدخول. هذا كل ما في الأمر .. لكنه برغم هذا يتردد. ليس من
الإنسانية تركه هكذا في البرد الخارج ، (ليس الجو أدقاً بالدخل على كره حالي
وبالرغم من وجود المدفأة التي تعمل بالبطارية ، استطاع أن يبري السجدة
الباردة التي كوّنتها أنفاسه) لكنه ما زال في حيرة . ثمة إصبع بارد من الحول
يعتص تحت قلبه ، كان هذا موسمًا سيئًا في (ناركرز ميلز) هذا العام ، ولكن
هناك علامات شؤم كثيرة على الأرض ، والد (آرني) أصيب في دمه ، ولم يصب
ما يشعر به الآن .

قيل أن يُقرر ما يجب عمله حيال هذا الزائر ، يتعالى الأنين المنخفض إلى
زمجرة . هناك صوت ارتطام كأنما شيء ثقيل يشك بضرب الباب .. يتراجع ..
يضرب الباب من جديد .. يرتجف الباب في إطاره وتهب نسمة باردة ثجبة
من أعلاه .

يُحدّق (آرني ويستروم) فيما حوله بحثًا عن شيء يدعم به الباب ، لكن
قبل أن يمد يده إلى المقعد الذي يجلس عليه ، ضرب الشيء العزيم الباب
بقوة غير معقولة ، مهيضًا إياه من أعلاه إلى أسفله . يتماسك الباب لحظة
بهتز رأسًا .. يحتر رأسه فيه وهو يركل ويضرب بخطمه المتقلص على شكل
زمجرة ، وعيناه الصفراوان تتوهجان . هل كان هذا أكبر ذنب رآه (آرني) في
حياته ؟ زمجرته تشبه كلام البشر إلى درجة مرعبة !

يتهاوى الباب أخيرًا ، يتعظم ، يستسلم . وفي لحظة سيكون الشيء
بالداخل . وأيقن أن حبل حياته قد نصرم وانقضت أيامه .

في ركن الغرفة كان هناك مثقاب بين أدوات أخرى .. النقطة (آرني) وأمسكه
بينما الذئب يشق طريقة بالداخل ويقع .. عيناه الصفراوان تتوهجان مرمي

الرجل المحاصر في الركن . أذناه مسطحتان للوراء . لسانه يتدلى . ومن خلفه يدخل الجليد من الباب الذي تهشم في منتصفه . يشب وهو يزجر ، بينما (آرنى) يطوح المثقاب . مرة . في الخارج نلتصع أضواء المصباح الخافتة على الثلج عبر الباب المهشم . تعوى الرياح وتعوى . ثم يبدأ الصراخ !

شيء غير آدمى قد جاء إلى تاركورز فيلر لا يراه أحد . مثله مثل القمر الساطع فوق الغيوم من أعلى .. إنه المذءوب .. ولا يوجد تفسير واحد لوصوله الآن أكثر من أسباب حدوث السرطان أو قدوم مجنون تكمن فكرة القتل في ذهنه أو إعصار قاتل .. مكانه هنا .. وقته الآن ..

في هذه البلدة الصغيرة في ولاية (مين) التي ما زال الناس يؤمنون الكنيسة فيها ليتناولوا الصيغيات في المناسبات الأسبوعية . وما زال أولاد وبنات صغار في المدارس يحضرون ثفاخا لمعلماتهم . ما زالت الجريدة الأسبوعية تهتم باجتماعات المُسَبَّين ..

الأسبوع التالي ستكون هناك أخبار من نوع أكثر قناعة .. في الخارج بدأت تثار أقدامه تمثلي بالثلج . وبدأ عويل الريح مهتاجاً منتشياً . كل شيء هو الشتاء الأسود والجليد القائم . لا شيء إلهي أو منير في هذا الصوت عديم الرحمة ! لقد بدأت دورة المذءوب ..

2 - سبيللا راندولف

الحب .. فُكِّرَتْ فيه (سبيللا راندولف) وهي رافدة في قراشيا العذرى الضيق . بينما من نافذتها يدخل الضوء البارد الأزرق للقمر المكتحل في يوم القديس (فالتين) . الحب .. الحب .. الحب .. هذا العام تلقت (سبيللا

رائدولف) التي تذهب إلى نادى الحياكة في (تاركرز ميلز) عشرين بقعة بريدية بمناسبة عيد الحب . واحدة من (بول نيومان) وواحدة من (جون ترافولتا) . وحتى من ايس من فريق (كيسا) فريق (دافورد) وواحدة من (جون ترافولتا) . أبقنها مفتوحة في الغرفة أمامها بضميتها نور القمر الأزرق المألوف . لقد أرسلتها لنفسها هذا العام . كما تفعل كل عام . إن الحب قبل في ضوء الشفق . أو كالقبلة الأخيرة ، القبلة الحقيقية في نهايات العمر الرومانسية .. الحب كالزهور عند الفجر .

لكنهم يسخرون منها في (تاركرز ميلز) .. نعم .. يمكنك أن تراهن لم هذا .. الأطفال يسخرون منها (ولو ضمنوا أنهم يعيدون عتيا ، وأن الكونستابل (نيري) ايس قريباً ، وربما غنوا : «بدينة بدينة ، اثنان في أربعة» بأصواتهم الرقيقة العذبة الأوبرالية) .. لكنها تعرف كل شيء عن الحب .. وعن القصر .. إنها بدينة أكثر من اللازم وفرصتها ضئيلة ، لكنها في هذه الليلة بنتا القصر يغمر غرفتها بهذا اللون الأزرق غير النافذة المغطاة بالجليد ، فأتيا بعضهن الحب ما زال ممكناً .. الحب ورائحة الصيف الآتى .. سوف يكون الحب مثل وجهه رجل ، خشن ويسب الحكمة ..

فجأة سمعت خدفاً على زجاج النافذة .. تنهض من على الوسادة مرتجئة على كوعها ، وتسقط الملاة الصغيرة من فوق صدرها الصغير .. إن شئاً مشوهاً يحجب ضوء القصر .. لا قدرى ما هو لكنه رجولى .. قالت لها إنها تحلم .. وفي أحلامها سوف تسمح له بالدخول .. إنهم يستخدمون هذا المفهوم بشكل خاطئ ، لكن الحلم نظيف ، الحلم حقيقى ولا شيء فيه . تنهض شاعرة أن هذا كله حلم ، إن هذا الجالس خلف النافذة رجل نعله رجل تمر به في الشارع كل يوم تقريباً . (الحب .. الحب .. إنه يشبه القائمة

دائماً ..) لكن إذ تمرر يدها المكتنزة على زجاج النافذة الباردة ، ترى أن هذا ليس رجلاً على الإطلاق ، هذا الذي بالخارج حيوان ، ذئب أشعث عملاق ، مداليه على عتبة النافذة ، ومؤخرته مدفونة في الثلج الذي يغطي الجهة الغربية من بيتها ، هنا على ضواحي البلدة .

لكن هذا يوم قالتين ، ينبغي أن يأتي الحب .. لابد أن عيشها تخدعاتها .. هذا ليس حيواناً .. إنه رجل .. رجل وسيم لدرجة وحشية ! (وحشى .. نعم ، الحب وحشى !) جاءت هذه الليلة المقمرة ، وجاء هذا الزائر ليأخذها .

ترفع النافذة فتشعر برياح الليل تطير ثياب فوجها الزرقاء الخفيفة خلفها بخبرها أن هذا ليس حليماً ..

لا يوجد رجل هناك ، وتذكر بما يشبه خيبة الأمل أنه لم يكن هناك رجل قط .. تتراجع للوراء وهي تهتز خائفة بينما يثب الذئب العملاق إلى غرفتها .. بنقض فراءه فتطير سحابة حلوة كالسلم من ندف الثلج في الظلام .. (لكن الحب .. الحب مثل .. مثل الصرخة) تأخرت كثيراً جداً حتى تذكر عامل الإشارة (الذي ويستروم) الذي مرّقه ذئب مفتوس في كوخ السكة الحديدية فقط من شهر واحد .. تذكرت هذا متأخراً جداً ..

يتقدم الذئب منها وعيناه الصفراوان قلمعان بشهوة باردة .. تتراجع (ستيللا والدولف) إلى الوراء بيّظه حتى تصطدم قدماهما المكتنزان بفراشها العذري الصغير فتسقط عليه .

يضي ضوء القمر على فراء الوحش بريقاً فضياً .. وعلى المنضدة ترتجف البطاقات للحظة في الهواء البارد الذي دخل من النافذة .. إحداها طارت ودارت في الهواء حول نفسها عدة مرات قبل أن تستقر في كسل على الأرض ..

يضع الذئب يديه المخلبتين على الفراش ، واحدة على كل جانب منها .
يمكنها ان تشم أنفاسه ، حارة لكنها ليست كريهة تمامًا .. عيناه المملوءتان
تحدقان فيها ..

«الحب» ، همست وهي تخلق عيناتها ، بينما انقض عليها ..

الحب يشبه الموت .

3 - وساد الظلام

كانت آخر عاصفة جليدية حقيقية - التي بدأت تقام مع عبوط الليل -
قد ألقت الأغصان المهشمة في كل شوارع تاركرز ميلز بأصوات تشبه طقن
المدافع من الشقوق الموجودة في الأخشاب المتعفنة ، «الطبيعة الأم تقلم
أخشابها» هكذا يقول (ميلت ستورمفولر) أمين مكتبة البلدة لزوجته وهو يحض
القهوة .. إنه رجل نحيل ، ضيق الجبهة ، أزرق العينين ، وقد استطاع بساقيه
والأليته أن يبقى زوجته الجميلة الهادئة في سجن من الخوف التي عثر على
راقت لميلت جعلته هذه فكررها : نعم .. الطبيعة الأم تقلم أخشابها .. فجاء
تنقطع الأنوار وتضيئ (دونا لي ستورمفولر) زوجته في رعب . بل أنها تسكب
قهوتها .. «ستظفين هذا» ، يقولها زوجها في برود .. «ستنظفيه الآن» ..

«حاضر يا حبيبي . حالاً» وفي الظلام تبحث عن عنشة أطباق تجفف
بها القهوة ، فتصطدم ساقها بمسند الأقدام .. تسقط على الأرض صارخة -
ويضحك زوجها في الظلام عن أعماق قلبه .. إنه يجد رعب زوجته مسلياً أكثر
من أي شيء آخر . عدا - بالطبع - النكات التي يقرأها في ريديس دايجست
من نوع : دعايات الملابس الرسمية ، ونماذج من الحياة في أمريكا ، لها
تحتته إلى أقصى حد !

كما قلّمت أما الطبيعة بعض أخشابها ، يبدو أنها قلّمت كذلك بعض خطوط الكهرباء بمحطة تاركرز ميلز في ليلة (مارس) العاصية هذه .. لقد غطى الثلج خطوط الضغط العالي وازداد ثقلاً .. حتى سقطت على الأرض مثل عش من الأقاعي ، وراحت تملأ وتبصق الشرارات الزرقاء ؛ فساد الظلام كل تاركرز ميلز . وكان العاصفة قد استكفت وشعرت بالرضا ، بدأت تهدأ قليلاً ، لكن البرد الشديد ، هبطت درجة الحرارة من ٢٢ إلى ١٦ وتجمّدت حقول الفس في أرض الرجل العجوز على شكل تماثيل عجيبة لها سطح أبيض برّاق ، لكن البيوت ظلت مظلمة .. ويلمع الثلج الذي يغطي الشارع الرئيسي كعظام ميتة .. ولم يكن أحد من عمال الكهرباء قادراً على الوصول إلى مكان الخلل بسبب الطرق الزلقة .. تتباعد السحب كاشفة عن وجه البدر .

فيما بعد لم يستطع أحد تحديد من أين جاء الصوت ، لقد بدا كأنما هو آت من لا مكان وكل مكان ؛ كضوء القمر الذي لوّن أسطح البيوت ، آت من لا مكان ولا وكل مكان مع رياح مارس مثله مثل صوت بوق محارب من الفايكنج .. تسمعه بها (دونا لي) بينما زوجها الشرير يغفو جوارها .. يسمعه الكونستابل (فيري) إذ لا يقف في نافذة غرفة نوم في شارع (الوريل) .. يسمعه (أولي باركر) ناظر المدرسة اليتيم ، أستاذ قواعد اللغة عديم الجدوى .. يسمعه كثيرون ومن بينهم صبي عاجز على مقعد متحرك بهجلات ..

لا أحد يراه .. كما لا يعرف أحد اسم المتسكع الذي وجده عامل الطريق في الصباح ، حين وصل أخيراً إلى البلدة لإصلاح كابلات الكهرباء .. كان مضطرباً بالثلج ووجهه يصرخ صرخة صامتة وقد تمرّق قميصه .. كان المتسكع وسط ردة بركة متجمدة من دمه ، وبداء ما زالتا ممدودتين في حركة من يبعد الهول عن أجسده ، وقد تراكم الجليد بين الأصابع ، وحول جنته كانت آثار مطالب .

آثار أقدام ذئب !

4 - ربيع رضا الرب

فى منتصف الشهر استعالت آخر ثوبات العاصفة الثلجية إلى ضلالت من
الطر ، ولثة شىء مذهش يحدث فى تاركز ميلز : لقد عادت الخضرة .. لقد
رجل الجليد فى مزرعة أبقار ماني ثلبنجهام ، وذاب الجليد فى ألسنة العنقا
الصماء (الغابة المائلة) .. يبدو أن الحيلة الرائعة القديمة ستنجح هذه المرة
من جديد : لقد عاد الربيع !

احتفل القوم بالمناسبة بشكل محدود برغم الظل الذى خيم على البلدة
قامت الجدة (هيج) بخبز بعض قطائر التفاح ووضعنها على إفريز نافذة
المطبخ حتى تبرد .. وفى الكنيسة المعمدانية قرأ الموقر (ستر لوي) بعض
أناشيد سليمان وألقى موعظة عنوانها (ربيع رضا الرب) .. وفى الحانة يحتفل
أكبر سكير فى البلدة ، (كريس رايتسون) بالمناسبة بطريقته الخاصة ، يرفقه
صاحب الحانة (بيل روبرتسون) وهو يمشى حترنحا فى ضوء قمر أبريل الضئيل
غير الحقيقى ويقول للساقية :

«لو كان للذئب فريسة أخرى الليلة، فأعتقد أنها (كريس)» .

تقول الساقية وهى تهز كتفها :

«لا تقل هذا !»

اسمها (إليز فورنير) ، عمرها أربعة وعشرون عامًا ، تذهب للكنيسة
المعمدانية وتتلو معهم الأنشيد لأنها مغرمة بالموقر (لوي) .. لكنها تنوء ثقل
البلدة فى الصيف .. لا غرام ولا غيره ! إن موضوع الذئب هذا قد بدأ يجر
رعبها فعلا .. بدأت تعتقد أن البشيش ربما يكون أفضل فى بورتنى ملوث
والذئاب الوحيدة هناك تلبس ثياب البحارة !

إن البالي في (تاركرز ميلز) حين يكون القمر مكثراً ، غير مريحة .. أما
 النهار فيكون أفضل وتحلق الطائرات الورقية عصر كل يوم في عتال السماء ..
 ونال (برادى كينكيد) - البالغ من العمر أحد عشر عامًا - فسراً في عيد ميلاده ..
 وقد فقد كل إحساس له بالزمن وهو يرقب الطائرة تعلو وتهبط في السماء
 الزرقاء ، ويرتجف خيطها في يده كأنها كائن حي .. لقد نسي أن عليه العودة
 إلى البيت للعشاء .. نسي أن كل الطيارات الورقية الأخرى قد رحلوا الواحد تلو
 الآخر .. وقد حلوى كل منهم طائرة تحت إبطه ، طائرته المصنوعة من الورق أو
 الألومنيوم أو التي على شكل خيمة أو صندوق ..

نسي تمامًا أنه صار وحيداً .. دائماً ما يكون رحيل الضوء ، وغزو اللون
 الأزرق هما ما يخبره بأنه تأخر ، وبأنه قد توغل بعيداً .. وعندها يرى القمر
 يرتفع على حافة الحديقة .. للمرة الأولى هذا قمر دافئ .. منتفخ يرتقالي
 اللون وليس أبيض شاحباً ، لكن (برادى) لا يلاحظ هذا ، فقط يعرف أنه بقي
 طويلاً وأن أباه سيلومه على الأرجح . وأن الظلام قادم .

في المدرسة سخر من خرافات أصدقائه عن المذءوب الذي قالوا إنه قتل
 المتسكع الشهر الماضي .. وقتل (ستيللا راندولف) في الشهر الذي قبله ..
 وقتل (أرنى ويستروم) في الشهر الذي قبله .. لكنه لا يضحك الآن ، وإذا تحول
 القمر غبطة أبريل إلى ستار دموي ، تبدو له القصص حقيقية أكثر من اللازم .
 بدأ يلف الخيط بأسرع ما يستطيع ، جاذباً النسر بعينه الحمراء من
 السماء المظلمة . يجذبه بسرعة بينما يصوت النسيم فجأة ، ونتيجة لهذا تهوى
 الطائرة وراء المنصة في الهواء الطلق .. يتقدم نحوها وهو يلف الخيط كلما
 تقدم . ناظراً في عصابة إلى وراء . وفجأة بدأ الخيط يهتز في يديه للأمام

والخلف . ذكره هذا بخيط الصيد حين يمسك بسمكة كبيرة في مجرى نهر
لاركوز . ينظر إلى الخيط في ثوبه مقلداً .

فجأة يدوي زئير مربع في سماء الليل ويصرخ (برادى كيناسيد) الآن هم
يصدق . حسناً ، يصدق . لكن تأخر الوقت جداً ، وقد ذاب صباحه وسط البحر
الذى بدأ يتعالى إلى أن صار عواء .

الذهب يركض نحوه . يركض على قدميه . فرائده المثلثات يرتفالى الحزن في
ليب القعر وعينه عصباناً أخضران بواقان . وفي إحدى اليدين - الجوز
التيان تبدوان آدميتين ، وقد حلت المخالب مكان الأصابع - يرى طائرته امر
تشبه النسر . إنها تهتز في جنون .

يستدير (برادى) للهرب ، لكن ذراعين جافتين تحيطان به . وبشم ثبات
سناً هو مزيج من الدم والقرقة . ويحدونه في اليوم التالي ملتصقين بالفضاء
التذكاري للحرب ، بلا رأس وبلا أحشاء . وطائرة النسر في إحدى يديه .
تراقص الطائرة كأنما تبتغي الصعود إلى السماء . بينما فريق البحث يهبط
أدراجاً مدعوراً شاعراً بالغثيان . والطائرة في يده تراقص لأن النسيم قد صعد
تراقص كأنما هي تعرف أن هذا يوم مناسب للطائرات الورقية .

5 - الوحش يمشي بينما

عشية (أحد العود للوطن) في الكنيسة المعمدانية ، حلم الموقر الخرس
لوى بحلم مربع ، صحا منه يرتجف غارقاً في العرق ، ناظراً عبر نوافذ
الكاهن . عبر الطريق كان يستطيع أن يبصر كنيسة . ضوء القمر يدخل من
نوافذ غرفة النوم في شعاع فضي ثابت . يخطر له أنه للحظة سبى المذنب
الذى يتحدث عنه الجميع ، ثم يغمض عينيه ويستغفر الله على تصديقه هذه
الخرافات . يختم صلواته بصلاة واحدة : حيا في الله ، آمين .

لكن الحلم .

في هذا الحلم كان في الغد ، وكان يعظ في احتفال (العودة للدار) ، فقط
السياتر يطلقون عليه ذلك . وبدلاً من أن يرى مقاعد خالية أو مليئة كما يحدث
بأيام الأحاد ، كان كل مقعد مليئاً . في هذا الحلم رأى نفسه يعظ بقوة نارية لم
يعتد أن يعظ بها . اليوم لصت لسانه قوة هائلة وأدرك أنه إنما يلقي أعظم
موعظة ألقاها في حياته . وكان موضوعها هو التالي : (الوحش يمشى بيننا) .
كان يدور حول هذه النقطة شاعراً أن كلماته صارت شعرية ، وأن صوته يزداد
قوة .

إن الوحش - كما قال لهم - في كل مكان . الشيطان يمكن أن يوجد في أي
موضع ولو حتى في رقصة في المدرسة الثانوية . يشتري عليه سجاثر مارلبورو
في المتجر وقداحة بيوتان كبيرة . يقف أمام صيدلية برايتون ويلتهم فطيرة عند
الساعة الخامسة إلا ربع . ربما كان الوحش جالساً جوارك في قاعة الكونشيرتو .
ربما يأكل فطيرة في مطعم (دردش وامضغ) في الشارع الرئيس .
الآن صار صوته همساً . لقد استحوذ عليهم تماماً . احتسروا من الوحش .
ربما لنسم وقال إنه جارك . ألسانه حادة ويمكنك أن ترى تقلب عينيه . إنه
الوحش . وهو هنا في تاركرز ميلز بالذات . لكن فجأة ينهار وتتخلى عنه طلاقة
لسانه . لأن شيئاً مريباً يحدث هناك في كنيسة .

إن المستمعين يتحولون إلى مذبذبين ، كلهم ، الثلاثة مستمع : فيكتور
ظلاً ، بولي ، رجل البرلمان الأبيض البدين المنتفخ ، وفجأة يستحيل جلده إلى اللون
والنبي ويتجعد ويظهر عليه الشعر . فيوليت ماكنزي ، معلمة البيانو ، جسمها
نقطة مبردة العانس النحيل يمتلئ فجأة . منخارها يتسطح ويطول . مدرس العلوم البدين
على كتف لريهان يزداد بدانة . وخصلات شعره قوية كالزنبك تثب من صدره .

كما يشب الياء من الأريكة القديمة ! شفتاه السمينتان تتراجعان كلشبح
أشبح غليظة كمفاتيح البيانو !

بتراجع الموقف (لوى) عن منبر الوعظ في خوف ، بينما لسود النور
ويصرخ الرجل :

« الوحش ! إنه في كل مكان ! كل مكان . الوحش يمشي بيننا ،
لكن صوته لم يعد صوته . لقد تحول إلى نوع من العواء بلا مقاطع . وي
تنظر ليديه رأى أنها تحولتا إلى مخالب . هذا مجرد حلم . كذا فكر وهو ي
لفرائه فقط حلم . الحمد لله .

لكنه حين فتح الكنيسة في صباح الأحد ، صباح يوم (أحد العودة للوطن) ،
لم يكن ما رآه حلقًا . هذا جسد (كلايد كورليس) الذي تولى التنظيف في
أعوام . هذا جسده وقد فرغ من الأحشاء معلقًا من قدميه ومكنت بفرده
لم يكن هذا حلقًا ، فقط تمنى الموقف (لوى) لو كان كذلك . يفتح فيه صر
بأعلى صوته ، لقد جاء الربيع ثانية . وفي هذا العام جاء الوحش معه !

6 - دردش واضمح

في أقصر ليالي العام ، يقف (ألبي نوبلر) صاحب (دردش واضمح)
العقبي الوحيد في تاركرز هيلز ، يلمع المنصة المصنوعة من الفولاذ ،
رفع كفي قميصه حتى كوعيه ، كاشفًا عن ساعديه العضليين الموشحين
التي في هذه اللحظات خال تمامًا ، وهو ينهي عمله فيقف بعض الوقت
ينظر إلى الشارع ويتذكر لقاء الحب الأول في ليلة صيف . كان هذا
هاكيون) ، إنها الآن (آرلين بيسي) ، زوجة أحد أنجح محامي بانجور
كانت ليلة رائعة في مقعد السيارة الخلفي ، وكم كان عطر الليلة معطًا

لم يفتح الباب الذي يقود إلى الصيف ، ويسمح بدخول مد هادئ من ضوء القمر . إنه يعتقد أن المقهى خالي لأن الوحش يمشي في ضوء القمر ، لكن (ألفي) لم يكن خائفًا ولا قلقًا . لأن وزنه اثنان وعشرون رطلاً ، وأكثر هذا الوزن بضلات بمنازة اكتسبها من البحرية . لم يقلق لأنه يعرف أن الزبائن سيأتون في الصباح طلبًا للبيض والبطاطس المحمرة والقهوة كالمعتاد . يقول لنفسه : ربما أغلق مبكرًا هذه الليلة . ولربما ابتاع بيرة ولعل الوقت مناسبًا للذهاب لاجل الحفلة التالية في السينما . سينما سيارات ، يونيو . سماء داكنة وقمر مكتمل . كروبي يوم مناسب لتذكر غزوات الماضي .

ينجأ آلة القهوة عندما يفتح الباب خلفه . يستدير .

هولاء - « هيه ! كيف حالك ؟ »

الطبيب يسأل لأن الحميل زبون لديه يرغب أنه لا يراه بعد العاشرة صباحًا أبدًا . يهز رأسه لأن زبون رأسه ويتبادل الرجلان عبارات ودودًا . يسأل (ألفي) بينما الرجل يجلس نتج منه إلى أحد المقاعد العالية المواجهة للكاؤنتر :

حسن ما - « قهوة ؟ »

- « نعم ، من فضلك »

حسن . حسن . ما زال الوقت كافيًا لتلحاق بهذه الحفلة . يستدير إلى آلة القهوة . لا يشعر بأنه على ما يرام هذه الليلة . عريض ربما . مرهق ربما . لكن من الغدولة الوقت ما زال مبكرًا على النوم .

من الموتر هنا تزيل الصدمة بقية أفكاره . ويفتح (ألفي) فمه في غباء . إن آلة القهوة خلفه من المعادن المقاوم للصدأ وهي أسطوانة كالمرآة تلمع مثل أي شيء في هذا المكان هذا المقهى . وفي سطحها العاكس المقوس يرى شيئًا لا يصدق كما أنه مخيف . إن زبونه الذي يراه كل يوم ، والذي يراه الجميع كل يوم في (ناركرز هليز) ،

يتغير . وجهه يلتوى . يذوب . يتسع . قميص الزبون القطني ينتفخ وينسد .
فجأة تتمزق الغيطة ، وكل ما يتذكره (ألفى) أن هذا المشهد كان في مجلس
يحب ابن أخته (راي) أن يراه : الرجل الأخضر .

لقد صار وجه الزبون الباسم الرقيق شيئاً حيوانياً : عيناه البنيتان صارتا لحي
صارتا خضراء ذهبية مخيفة . يصرخ الزبون لكن صرخته تهشم وتضيع . سقط
مثل مصعد وتحول إلى عواء غاضب غريب . وينقطع الصراخ كمصعد ينطفئ
إنه الشيء . الوحش . المذءوب . أيًا ما كان يقف أمام الكاونتر ويزار .

يستدير (ألفى) فيصدم ردفه دورق القهوة . يسقط هذا على الأرض ويتردى
القهوة الساخنة في كل مكان وتغرق كاحليه . يصرخ ألمًا وخوفًا . نعم ، إنه
خائف . لقد نسي وزنه الثقيل وعضلات البحرية المذهلة . نسي ابن أخته
(راي) . نسي كل شيء إلا الوحش ! يقف هنا مثل وحش في أحد أفلام الرعب
القديمة . وحش خرج من الشاشة فجأة . يثب على (ألفى) ويحاول ألغى
تفاديه . لكنه يمزلق فوق بقايا الدورق المهشم ويسقط على شمع الأضواء
الأحمر ، مزيد من العواء وفيضان من الزفير الدافئ ثم ألم أحمر ، إذاً
أنياب الوحش في عضلة ظهر الرجل . يغرق الدم الأرضية والكاونتر .

يتراجع (ألفى) واقفًا على قدميه وظهوره ينزف بقوة ، ويحاول الصراخ
بينما ضوء القمر الدافئ ، ضوء قمر الصيف يسبح من النافذة .
ينفض الوحش ثأفيه .

وضوء القمر آخر ما يراه (ألفى) .

عفريته هانم أمريكاني

لولا أن صنّاع الأفلام التي نعتبرها في عُرف السينما مغامرة إنتاجية يحملون
 من الشغف ما يساوي ما يملؤهم من الأمل لما تنوعت السينما العالمية وارتقت
 إلى عدة مستويات . عندما غامر أحدهم بإخراج (أليس في بلاد السحائب)
 تيموه بالخيال ، لكن لولا حماسه (حتى وإن فشل فعلاً كما تنبأ الشامتون)
 لما ظهر (ساحر أوز) العالمي ، وما لمعت الشاشات فيما بعد بأبطال مجلات
 لورال الكوميكس التي لا يدمنها سوى فتى منطو يغطى وجهه النمش ، لولا إيمانهم
 بصوت هذا الصبي لما كان هناك سوبرمان أو مجموعة أفترجرس حتى يبدأ
 السادة في مناهاتن بدعم خط مارفل الإنتاجي لتقديم أفلام البوكس أوفيس في
 كل عام ، مروراً بسلسلة باتمان وابن الجحيم وكابتن أمريكا حامل اللواء العصري
 سيلد ولعبوا يلعبون على المضمون الآن بمنطق جزائري راعي راقصات الأرض
 وبلطجية الجيالة ، ولكن يعد أن جعلوا ما يريدون ويتحمسون له مضموناً !!
 هذا أحد القروى الرئيسية بين التاجر والفنان وفكر المؤسسة . العبقري يلتقط
 من هذا وفائدة من ذاك ويلعب لصالحه على المدى البعيد ، هذه هي
 أصول اللعبة من شارلي شابلن إلى سبيلبيرج .

الأفلام التي تتناول حياة كاتب والآلية الإبداعية للكتابة يسير أصحابها على
 حد موسى ، فبالرغم من شغف أرباب القلم بالموضوع ، ينصرف القطاع
 الأكبر من المشاهدين عنها ، تمامًا كما يحدث مع الأفلام التي تتناول عوالم
 شديدة الخصوصية ، كحياة أسطورة الشطرنج بوبي فيشر (التضحية ببندق)
 للدرجة أن عنوان الفيلم نفسه لا يمكن أن يفهم مغزاه إلا لاعب خادق ! لكن

الفضل يعود لفيلم متواضع الإنتاج منذ عدة سنوات بعنوان (البحث عن نور)
 فيشر)، وهكذا كانت أفلام الكتابة والكتاب عاترة الحظ في أغلب الأحيان
 (أبرس، عيس بوثر، كاتب... كاتب...) حتى إن المخرج بعد إلى نفس الموضوع مع خط حكاية آخر (فيلم «طريق مختصر» يحيله إلى فانازيد و...)
 وكليات، يتحول إلى رومانسية تاريخية في زمن الحرب)، لكن هذا العنصر
 والإيمان بالآخر (ومنح الفرص) لما التقط الخيط الكاتب العظيم
 كنج وصارت الأفلام المأخوذة عن رواياته التي تتحدث عن حياة الروائي
 (ميرزى) و(النصف المظلم) و(إشراق) من ضمن أعلى الأفلام مشاهدة في
 الأعوام ١ والآن نشاهد فيلم الكتابة زوى كازان، حفيذة المخرج الكبير
 كازان، الجديد (روبي سباركس) ويتناول فكرة مذهلة وعميقة جدًا
 الأتني المثال والمُلهمة وهم أحرق للكتاب الذكور، ومن الغباء أن نجد
 من نحب نحت ضوء نماذج مثالية خاصة لا تمت للواقع بصلة. الأمر
 العادة ترى العالم بعيون المؤلف الرجل الذي يعتقد أنها خلية دالة وجنية
 ومراقة وجاهرة لمتعته ٢٤ ساعة وسبعة أيام كل أسبوع ١ خطأ. خطأ
 الفيلم يقدم لنا الكاتب (كالفين واير فيلدر) - الممثل بول دانو - المقيم
 لوس أنجلوس وتستعد دار النشر التي تتولى طباعة كتبه للاحتفال
 الطبعة العاشرة من روايته اليتيمة، بالرغم من هذا إنه غير سعيد
 به أن يكون، بل يعاني من إحباط وتعاسة عميقة، كيف لا وقصة جد
 مهددة بالضباب. كالفين رجل حالم متردد وفصامي وكان يتلقى علاجًا
 يُخلصه من خصال الانطواء والعيول المرضية التي يعيها بشكل عام
 كلبًا لا حيا في الحيوانات الأليفة وإنما ليألف إليه الأنظار، إنه خجل

كالفين ، المؤلف ، يفرح لإخبار شقيقته الذي اعتاد توبانه ووساوسه
وينشكك فيه هذا الأخير حتى بعد أن يرى (روبي) ويلمسه ، لكن كالفين
فيما يشبه ألعاب التحدى يحاول إثبات صدق حكاياته الغريبة لشقيقته (أدى)
وينطلق كالفين - لإثبات سلامة عقله - إلى الآلة الكاتبة ويكتب في المظهر
الطازج أن روبى قادرة على التحدث بالفرنسية ، وفي الحال تتوقف الطير
الجميلة عن الكلام بالإنجليزية التقليدية وتحدث الفرنسية بطلاقة ! يبرهن
هارى رأسه منعجبا ويؤكد على كالفين أن يأخذ حذره من النساء ، بالرغم من
أن المؤلف ياتمن أخيه على السر وينعهده ألا يخبر أحدا بأصل النكتة ،
يعود ليحذره : حتى لو كانت المرأة من صنع يديك وأفكارك ، فهي كائن يطمح
لا يمكن أن تثق به وبمقدورها أن تتغير من النشيط في لمح البصر .
كان المؤلف في قصة (منسق كلمات للرب) البديعة يستيقظ كبحر يعمق
تفاصيل أسرته بكبسة زر ، يضغط على delete فتختفى زوجته المشاكسة
فإن كالفين لا يتعرض لبنت أفكاره بأي إساءة لفظية أو تحرش جسدي طفيف
لكنه طفل أنانى صنع أمه بأنامله ويرغب في الاستحواذ على كامل اهتمامها
هكذا يتحكم في عواطفها ودقائق نفسياتها بحركات بسيطة على آلة الكتابة
بالرغم من أنه كان في البداية يقتصر في تعامله على أمور شكية لا تعالج
الصفات التي تعرف عليها في الحلم الأول ، لكن العنت الذكوري يتبدل
تصرفاته لا إراديا حتى يجعلها كدمية الماريونيت معلقة بخيوط في كفه .
(روبي) تشعر بالضجر ، إنها ترغب في بعض التنفس والاستقلال
الرغبة في شيء من الخصوصية تثير قلقه ، فمعنى هذا أنها قد تتركه ،
هل يحق له أن يقلق وبمقدوره أن يجعلها أكثر نساء العالم إخلاصا

ثم كلمان بسطرها على الصفحة البيضاء ١٩ روبي تمشى وتتكلم كأي إنسان ،
 وتقدم نفسها لمعارفه على أنها صديقتها التي تعيش معه ، فتزداد ثقة كالقين
 بنفسه حتى تصل إلى الغرور ويعتورها شيء من الصلف الذكوري فبدأ يعطيها
 غرام الأوامر بعدما كان قد وعد بأن يترك لها حرية التصرف ، إنه يحاول أن يجعلها
 نسخة ثانية منه أكثر مثالية لدرجة أنه عندما يصحبها لمنزل عائلته يبقى هو
 في مقعده حبيب الانطواء الطبيعي وتنعم هي بالصحة والمرح ! هي تثرت
 به ، به سعيد وهو يقرأ وحده ، فشعر بالغيرة منها وتنتقل إليها روح الكآبة بالتعبية
 لانه ويخشى هو الوقت يحدق في الورقة البيضاء مغمور بالوحدة وتتوتر العلاقة
 فهي تنهض وعندما يخشى أن يتحول صنع يديه إلى كارثة ، يكتب بنفسه أنها تشعر
 بالجم بالجم بالجم بالجم ، وفي الحقيقة تكون سعادة مفتعلة يشعر بها ، فيغير سطر
 ن كرم به النهاية أكثر من مرة وفي كل مرة تكون النتيجة ألعن . هناك طريق آخر يجب
 استكشافه في مطوية الفيلم : هو إعادة الاهتمام بفعل الزمن في العلاقات ،
 وليس فقط الحالة النفسية والأمزجة الشخصية ، بالشكل الذي تدعونا إليه
 نظرية «جيوم» بكل ما تنطوي عليه من صرامة التأويل المتعلق بـ (الزمن
 الثوري) . من هذا المنظور يجب أن يفهم زمن أي علاقة باعتباره زمناً تقتضيه
 كافة العمليات العقلية وريعا الجسدية المنجزة حينما تمارس فعالية تعبيرية
 معنية . على الرغم من أن المنطق بديهي ، فإننا نادراً ما نناقشه : الطبيعي
 أن ما له معنى هو المستمر والمهياً للجدل والتعديل وما عداه يسقط في هوة
 محيطة لها معنى . والفكرة هي أن نفترض وجود كتلة كلية ربما بحجم العالم الملموس
 من جانبنا تمثل معالي الكلمات والمواقف والنصوص . ونسأل : أين تذهب
 الأشياء الحقيقية القديمة المعنى ؟ إلا إذا كنت نفترض أصلاً أنه لا وجود إلا

لما له معنى اطلاقاً هذه الفرضية سوف تفترض بدورها أن تكتل الأقسام، هبة
 المعنى وشغلها لحيز من التفكير يجعلها ذات معنى لكن دعنا من هذا الآن
 لأنه يجعل الأمور أكثر دك من أننا بسهولة يمكن أن نقول أن اجتماعها في
 كل خفي هو ما له معنى ولا يعنى هذا أنها (ذات) معنى ا يبدو أن التعليل
 المتعلقة بما يمكن أن تحصل عليه مسألة معنى المعاني قد تعلق العنصرين
 بالحالات السينمائية خاصة ، في حين أن اهتمام المختصين بهذه المسألة من
 الفنون الأخرى ، أقل . الصورة والخلفية الموسيقية للحوار يمكن التعبير عنها
 في كلمات (يجب) أن تكون مفهومة في ترابطها ، أما النص المكتوب في
 هذه المرحلة نفسها . على الرغم من ذلك ، إن استخدام التصنيفات التعريفية
 في الموسيقى أو في الرسم أو غير ذلك يثبت أن انتشار هذه التصنيفات في
 الفنون غير اللفظية ليس أقل من انتشارها في مجال الأدب . ولا يمكن ذلك
 تفسير الاختلاف من خلال الاعتماد على خصوصية الوسيط اللفظي : ولكن
 مسألة وضع التعريفات دائماً على الفنون كافة وعلى رأسها فن كتابة النص
 السينمائية . على الرغم من أنه في كل فن بصرى يعبر عن نص مكتوب لألفاظ
 بوعياً تعبيرات متعددة . في الواقع ، التميزات النوعية (المتعلقة بالجنس
 والغاية والأسلوب) موجودة في كل أحاديثنا عن الممارسات الثقافية : في كل
 لحظة يحدث أن نميز لحن معين عن آخر ، ومقام موسيقي عن غيره ، ونظم
 طبيعي عن طبيعة عينة أو عن لوحة تاريخية، ولوحة تكهيبية عن كاريكاتير
 ودراسة فلسفية عن خطبة وعظبة أو مرجع رياضيات عن كتيب في الخطوط
 واعتراف عن مجادلة أو عن رواية، وكلمة روحية عن دعاية، وكلمة حب
 تهديد عن وعد أو وعيد . من هنا يأتي هذا السؤال: هل التصنيف هو تعبير
 أول للمعاني ؟

أخرج الفيلم الزوجين دايون وفاريس بعد نجاح فيلمهما السابق (الآنسة شروق الصغيرة) في إبراز المقصود بيسر على الشاشة، وخصوصاً باللجوء لنغمات فرنسية وثيقة لهولدن بلاستيك، وسيلفى فارغان، وبيرتراند ديريك هارپوت مع نغم كونتراباص حزين من آي لآخر حالما تنزوى (روبي) عندما تفتح على فهم طبيعة العلاقة بينها وبين مبدعيها. لا توجد لدينا أعمال فنية تتناول أزمة الكاتب عالم أو الفنان عموقاً إلا بمنظور سطحي سخيف، فهو مبهرج أحرق يلعب الدور ذاته أو الفنان المتهرج (راسى قشوع في «بطل من ورق» عندما كان الأبطال نائم التانى ليضحك المتهرج) أو هو بطل خارق جداً مثل سيناء محمد فؤاد في (رحلة حب) فهو مطرب وملحن ورام وشجاع ورومانسى، بل إنه يقول نكاتها في غاية الظرف في الجنازات ! أو تكون البداية واعدة ثم تتفكك ولا بد المفاهيم كالعادة لإرضاء الطبقات الدنيا في المنظومة، فيلم «درب الفنانين» في النظر مثلاً، لا يوجد فيه سوى مشاهد أولى، أفان تتر، تلخص مأساة فنان شاب يافئ كاشف «محمد صبحي» تتحمس له ابنة مدير المعهد وزميلته الجميلة «وفاء» نهر كاسالم، لكن العناوين تحمل أسماء أخرى وتتحول فكرة يوسف فرنسيس إلى (الآنسة فيلم حوارى آخر، يهرج فيه أحمد بدير، ويتلوى صبحي، وفي النهاية تنتصر إن الفنانيت البلد معالى زايد ويعيشا معاً فوق الفرن ومحل الطعمية، ولا يبقى أى يقى من الناس، من موضوع فرنسيس أو نظارة وفاء سالم أو الهدف الذى اجتمع من كعبية من صنع الفيلم، وأخيراً أرجو أن يتعلم أهل الفن الكرام عندنا من الموازنة بين كيب فنان التعمق في دراسة سر الصنعة والإيمان الحقيقي (والصحيح) بما يرجونه دعاية، ولما للأجيال القادمة من الفنانين والمشهديين وناس البلد.

ذباب

(قصة قصيرة)

أيها القاري الكريم .. يبدو أنك سيد مهذب ذو ذوق ، مثلما اعتقدتني
كذلك .. ويخيل إلي أيضًا أن دارك نظيفة مثل داري .. حسنًا .. لقد كنت
أيضًا صبورًا متفهمًا .. لأنني لم أجد أحدًا بين القوم من لديه القدرة على فهم
هذه النزعة الروحية المرهقة ..

إنني لن أعترف بحقيقة مروعة .. ولا أطمع في استبعادك لأحداث مشيرة
لكني فقط سأحاول أن أتحدث عن شيء ما .. شيء سقيم .. لزج .. مثالي
تخرج .. شيء جعل لحياتي مذاقًا كريهًا ..

ولأنني أعرف ما لديك من صدق البصيرة والدراية النفسية وحسن الحظ
فإنني مؤمن من أنك قد عرفت ما هو .. !

الذباب ..

لكم أعقت هذا الكائن الوحش البالغ القسوة .. إنني لا أبالغ يا سيد ..
فما من مخلوق ينقضه الذباب ويجعله شغله الشاغل سوى ..

إذا جلست أمام التلفاز أو قررت أن أقرأ قليلًا ، فإذا بهم يأتون من حيث لا
أدرى لإفساد لحظات الهدوء القليلة هذه .. أهش يدي .. فيبتعد .. لم يبق
ليحوم حول وجهي وفوق أنفي وعلى يدي ذاتها .. الحجرة طويلة عريضة
لكنه يصر على الهجوم علي ..

لا أستطيع تفسير هذا التصرف الغريب من ناحيته.. لكن المؤكد أنه قد
أراد حياى إلى جحيم ..

أسمعك تقولها : الذباب يضايقنا جميعًا ، فلماذا تحسب نفسك متفردًا بهذا ؟
صدقنى .. عندما أجلس بين جمع من الناس ؛ أكون أنا المستهدف الأساسى
إن لم يكن الوحيد - لهم - أعنى الذباب وليس الناس طبعًا - تقف إحداهن
على طرف أنفى والأخرى تنزده على قفاز وثالثة تتمشى على جفنى وتحاول
دخول عبنى .. ورابعة تنفض على من سقف الحجرة لتلقى بنفسها فى قمى ،
أو كما كان يفعل طياري الكاميكاكاز الانتحاريين فى الجيش اليابانى أبان الحرب
العالمية الثانية عندما كانوا ينقضون بطائرات الزيركو فى قلب الهدف فتتلاشى
البراج الأمريكية من على وجه الأرض .. وبالطبع صار هذا واضحًا لكل من كانوا
حوله متى وقفوا ..

تفيل أنك تيشى الهواء حولك كالمجانين ، وتنفع كقاطرة بخارية ، وتهرش
كلاجرب ، وتبصق الذباب من فمك وتحاول إخراجك من أذنيك ..

بالطبع لم يكن الموقف يستحق الاهتمام ، وكان من الممكن أن يمر
بالإسقاط .. لكنهم - بمنتهى اللطف - سخرُوا كما حلا لهم .. وقالوا شيئًا عن
محمل العمل (بالطبع تعرفون تلك الدعابة القديمة الممثلة عن يرميل العمل
الذى يجذب الـ ..) وحتى لا يتكرر موقف مماثل أكون فيه الأحقق الوحيد بين
العالمين ، فقد اعتزلت الجميع ، وقيعت فى دارى .. فتفرغت لهم تمامًا ..
هل تسأل : ماذا فعلت حيال ذلك ، يمكنك أن .. ؟

يمكنك أن تتظف دارك .. فعلتها .. وكل يوم أفعليها .. حتى لم يعد لدي
من عمل سوى هذا ! يمكنك شراء مبيد قوى للحشرات الطائرة .. فعلتها
وإذا تخلصت بزيارتي يمكنك أن تشاهد مجموعة الكاملة لجميع أنواع
المبيدات .. علب خضراء وحمراء وصفراء ومساحيق الرش وأخرى للتغصير
كما أنني قد اتبعت كل قواعد الوقاية من الذباب .. غطيت النوافذ والفتحات
بالأسلاك ذات الشبوب الرفيعة جدًا .. وضعت ناموسية على الفراش .. سكرت
للذباب .. صواعق للذباب .. دهانات جلدية .. أبخرة .. كل شيء .. كل شيء ..
حتى أنني قد قررت أخيرًا شراء بندقية صيد ووضعتها إلى جوارى على
سبيل الاحتياط ! أسمعك تهمس بعبارة نفوح منها سخرية بينة : « أنه يتدبر
مع ذباب وجهه ! » لن أغضب منك .. فمن قال أنني لست كذلك ! ..
بدأت الحرب بيننا ولا رجعة فيها .. فلك الحق إذن مع تعديل بسيط في
أحارب ذباب وجهي ! .. !
ولك الحق أيضًا إذا قلت أنني أبالغ نوعًا ما ..



هذا مشهد لا يجب أن يفوتك : قررت النوم ، لأنه قد صار من الصعب
تعلم أن أعارس أي نشاط ما في الآونة الأخيرة ، وقد أعددت الدفاع للناموس
أغلق الأبواب والنوافذ واستخدمت قميصي في هش الذباب عبر نافذة النافذة
ثم أحكمت إغلاقه هو الآخر . وهكذا تراني كجندى مخلص غارق في عمله
لأننا كنا في يوليو إمعانًا للتعذيب ، أطلق المبيدات في كل مكان .. كنت
البداية بالطبع أتأذى من رائحته الكيماوية وبالتدريج أدمنتها حتى صارني كمن

على الألوان الزاهية .. حلمت إننى ذبابة .. أنتقل كالنحلة بين رحيق دهر
المياه .. وأحدهم قد وضع يده على كفى معلناً أنها فرصة عظيمة لا تفاجأ
لشديد الحظ ولا تيسر إلا بالمال والوساطة .. وأصبحت ذبابة غابة في العنان
وأصبح لزنى مفعول السحر ، فانهالت على العروض الصغيرة لأعمل محال
فاقد فنى .. عضو بمجلس الشعب .. زوجة لعريس أنطه .. نجم سينما
كاتب ا ورايتنى محاطاً بالفتيات أوقع لهن على الأوتوجراف .. كيف لم يلحق
أننى ذبابة بالرغم من أن لدى ثلاثة أزواج من الأرجل المشعرة القصيرة وثلاث
فقرات صدرية وأربع بطنية .. والاحظ كبار رجال الدولة أجزاء فى العينة
للص والشفة المشقوقة وقناة طعام باللسان وقناة لعاب فقرروا على الفور
الموافقة على تعيينى طبيباً أو رئيس حى أو مسئولاً .. ولأنه من الصعب تزيين
الذباب فقد نجحت فى القرار من محاولات اغتيالى ووقعت على جلد من
الفضلات والقمامة والصحف والقرارات والأفلام والعقاقير وكتب التاريخ والأدب
العلنية والحمى المعوية والكوليرا .

انتهى (سامى) الصيدلى من تضميد جرح رأسى . وانبرى أحد أصدقائى
الجالسين يقول وهو يهش ذبابتين تحومان حول رأسى : « يبدو أن لعنة
نوع ما قد أصابتك .. هذا هو التفسير الوحيد »
نصف ضحكة ساخرة يترقبها بسرعة لأكرر ما قال : « لعنة ؟ لا اعتد أن لعنة
أجدادى كان من حفارى قبور الفراعنة »

وقال متظرف آخر: « إذن هي لعبة يهودية لتدميرك .. حرب مخابرات .. »
قلت لأخره: « نظرية المؤامرة موضة قديمة .. كلام يقال في كل شيء
وعن أي شيء وقابل للتصديق في أي وقت .. وهذا الذباب ميكانيكي طبعاً
ينحرك بالتحكم عن بعد بغرض التجسس أو التفجير أو هو مهجن بمعالجة
جينية تجعله يستهدفني من بين ملايين . ظريف جداً ! »

حاول (سامي) تيدتي: « إننا نمزح وحسب ، لقد صرت حاد الطباع هذه
الأيام .. الأخرى أنك قد أصبحت مثل .. مثل ذبابة مشاكسة ! »

وراق التعبير لأحدهم فعلق بدوره: « من عاشر القوم أربعين يوماً صار
منهم ! »

رفقته ينظرات سفاكة ، وأبعدت ذبابة وقفت على حافة صوان أذني ..



حاولت في الأيام التالية أن أكون مضيقاً مهذباً لكعبات الذباب التي تزورني
يوماً ، فتخلصت من الناموسية ومضارب الذباب وكففت عن رش المبيدات ،
إلا أن العلاقة بيننا لا زالت مشحونة بالثوتر .. مضايقة من جانبهم وحنق بالغ
من جانبي .. وواتنتي يوماً خواطر غريبة بعد أن عدلت عن قتل تجمع للذباب
بواسطة صحيفة مطوية تخيلت فيها أن هذه الكائنات صغيرة يعق ، وتستحق
الشفقة ولربما كانت تضايقنا دون أن نعرف ذلك . ألا تنقل فيروسات مثل
الأنفلونزا والتهاب الكبد وطفيليات الدوسنتاريا على شعرها وبطنها دون أن تدرك
العلامة التي تسبب فيها ؟ .. لكنني عدلت عن فكرة معادلة الصلح هذه .. هل

جئت حقًا ؟ بالتأكيد لدى خبراء علم النفس تعبيرًا لاتينيًا من عشرة حروف يناسب وضعي هذا .. ورايت في الأيام الأخيرة لهذا الأسبوع الهول ذاته بشئ في كميات عجيبة من الذباب من كافة الأشكال والأحجام ..

بدأت الحرب ! .. وساعدني (علاء) ابن شقيقى - وهو طالب بكلية العلوم على فهم أشياء كثيرة في هذا الكتاب وبفضله تعرفت على ذبابة الرمل وذبابة الغميرة والتي تسمى ذات الجناحين المقص والمسطور على الجناح المفرد. واتباعًا لنصائحه حاولت ألا أعرض جروحي لهجمات الذباب (هل جئت ! ليس لدى أكثر من كلمة : ربما) . هكذا ترى حقيقة العلاقة الشائكة المتشعبة العلية بالشك وسوء الفية بينى وبين الذباب . أعرف أن بعضكم لن يصدق حروء مما قلت والبعض الآخر سوف يؤمن به ويل ويتوقع أننى ربما قد فعلت أكثر من ذلك !

وقد فعلت أكثر من ذلك ، لقد تلاعبت الأفكار الغريبة برأسى المنبك . والطريق ممهد الآن لإصابى بالجنون . أعذرتى فلقد شاب شعرى من قبل ما رايت ..

العهم ، بتحريض منى استطاع (علاء) أن يحضر لى كرتونة مليئة بزجاجات عسكية اللون .. أقرأ فى عيونكم سؤالًا سأحاول - مؤقتًا - الفرار منه .. لكن قضيت الليالى فى مزج السوائل وتحضير المحاليل ورشها هنا وهناك .. كنت للرائحة أضرار جسيمة .. احمر أنفى ويمكننى أن أقول أن حجمه قد قل

وكان السائل نفسه تأثيرة السين على الجلد .. والتهاب شديد على الذراعين
 وراح الشعر ينمو بغزارة في بعض المناطق ، مع هرش مستمر في كل مكان -
 أرجو من القارئ اقتراض حسن النوايا . صرت سجيناً مع الذباب والمبيد بعد
 أن أغلقت النوافذ والأبواب واعتزلت الخلق .. فقدت شهيتي للطعام ، فازددت
 نحولاً ، وبرزت أوردة ذراعي ! وأحسب أنها قد تشكلت في خطوط متوازية
 ومتقاطعة ..

واستمر استعمال السائل الذي كان له تأثير حارق على شفتي حتى أشعر
 أنها تنشق وعلى وجهي ظهرت قروح على شكل حرف (S) مثل يرقات ذباب
 الحظيرة وعلى صدري قروح أخرى على شكل الفصلة ، ويقع أخرى برميلية
 الشكل وأسطوانية وأشكال تشبه الموز لوناً وشكلاً ! الأفضل من كل هذا ، أن
 حركتي صارت أكثر خفة كأنني .. كأنني أطير .. وبدأ لون البطن يتحول إلى
 الرمادي .. بقع سوداء في كل مكان .. ولا زال الشعر ينمو بغزارة .. وجدت أن
 الحياة بجناحين وثلاثة أزواج من الأرجل أكثر سهولة .. ولأنني قد صرت واحداً
 منهم .. فلم يعد أيهم يضايقني مرة أخرى !



حذار من الشفقة

بداية فيلم (اليتيمة) كابوسية مقبضة. تكتشف الأم أن إدماتها الضمر جعلها
تفقد جنتها ، ولكن تتخفف من عذاب الضمير وتقتنع زوجها بتبني طفل
من ملجأ أيتام روس حتى تعطى ما لديها من حب مفقود للطفل الذي ولد
ميتا ، ويقع الاختيار على فتاة صغيرة عجيبة ، شديدة الذكاء ، وذات ميول فنية
ظاهرة ، ولها قدرة غير عادية على جذب الآخرين واستمالة الغير .

إنها الطفلة (إستر) التي تبحث عن الأمان بدورها في أحضان أسرة جديدة.
فيحدث تفاهم متبادل سرعان ما يزول في البيت عندما تبدو على الطفلة مظاهر
مريبة تلاحظها الأم ، بينما يقف الأب بجوار البنت دون أي اعتراض يذكر .

كما جرت العادة .. (إستر) غير قادرة على الانسجام مع زملائها الجدد في
الدراسة ، وهي لا تستطيع التواصل مع أخيها الصغير ، بالرغم من قدرتها على
التأثير على الابنة الخرساء وتأخذ الأمور منحني كابوسي عندما تأتي الراهبة
السوداء التي كانت مسئولة عن الطفلة (إستر) في الملجأ لتتفقد شئونها وتقرى
ماذا تم في أمرها وأيضًا تعطى أهلها الجدد فكرة عما خفي عنهم من أحوالها

يعترى (إستر) الخوف والاضطراب . ثمة سر لا تريد أن ينكشف ، رغم أنها
كتمانته تندفع إلى إجراءات وقائية وتدير مقاومة خطيرة بمساعدة أختها الخرساء
للتخلص من الراهبة بقتلها بشكل شديد الشناعة ! ولا تكون هذه هي التجربة
الأولى ، وأيضًا بمساعدة الطفلة الخرساء تحت التهديد كي لا تطلق المصير
إذا كشفت السر ، أما الضحية الجديدة فهي الأم التي تستعيد بطيئة نفوذها

وتصرح لها بشكوكها في (إستر) طفلتها المتينة لكن الأمور تجري لصالح الطفلة الغريبة ، فتبرئ الطيبة (إستر) وتلقى اللوم على الأم !

أما أخوها (دانيال) فيشك في سلوكها فيكون عقابه سريع جدًا : إنها تستدرجه وتحرقه حيًا ! حتى تنفرغ لتدبير خططها ضد الأم المتشككة التي سرعان ما تنهار وتعود للإدمان وتسرف في شرب الخمر فتأكد شكوك الطيبة النفسية في قواها العقلية وتنصح بحجزها في مصحة عقلية . فتكون هذه فرصة الأم للاستغياح هناك عن الماضي الغامض لإستر التي تستغل فرصة غياب هذا الأم وخلو البيت لإغواء الأب !

وبالتحري السريع تكتشف الأم عدة حقائق .. هذه الطفلة الغامضة لم تكن في ملجأ للأيتام ؛ بل في مستشفى المجانين ! أيضًا ليست طفلة ذات أحد عشر عامًا ، بل شابة تجاوزت الثالثة والثلاثين ، أما سبب علامتها الطفولية فهو داء بالغدة الدرقية أحدث نوعًا من الخلل الهرموني ، والعائلة التي كانت تعيش معها من قبل قد قتلت كل أفرادها وحرقوا منازلهم !

الأم تخرج من المستشفى غارقة في اليأس ، إنها ترغب في العودة سريعًا للدار لتحذر زوجها الغافل من حقيقة الطفلة / الشابة الدموية ، لتكتشف أن الألوان قد فلتت ، إذ إن الطفلة بعد أن رقص الأب المذهول محاولاتها للإغوائه تقتله بوحشية وتهم الآن بقتل أختها الخرساء .

وتدور المعركة النهائية بين الأم المكلومة والطفلة القاتلة في جو مريب
مرعب في الجليد . . ثم ينتهي الفيلم الذي يشير بأصابع الاتهام إلى المعسكر
الشيوعي والحزب الاشتراكي وإلى الأسرة الأمريكية وعجز الطب الغني
والمستشفيات العقلية وقصور ملاجئ الأيتام ونساء المجتمع ككل وسدس
الخمر ، لصالح براءة الطفلة التي ماتت بالتدريج ضحية لكل هؤلاء !!

الفيلم من إخراج جومي كول سيرا ، كتب السيناريو ديفيد جونسون عن
قصة أليك ماسي ، والبطولة لفيرا فارميغا (كيت) ، بيتر سارسجارد (جون) ،
إيزابيلا فورمان (إستر) ، جيمي بينيت (دانييل) ، وحدير بالذكر أن شركة وايز
برازيس قامت بتحرير إعلان الفيلم لحذف عبارة (من الصعب أن تحب الطفل
الذي تبتلاه كأنه ابنك) بعد وصول أطنان من الشكاوى ، لكن العبارة بقيت
داخل الفيلم رغم ذلك !

أسطورة الوادى الناعس

مترجمة عن قصة لوانشطن إيرفنج

« وجدت بين أوراق مهاجر هولندي من المهاجرين الأوائل إلى (نيويورك) ، كانت أرض مفعمة بالمرضى بأحلام اليقظة قبل أن تغمض عين ، وفي القلعة الشاهقة التي تشق السحب المتكاثفة في سماء الصيف ، يصدر أحد الغلجان الرحبة التي تنتشر على امتداد الضفة الشرقية لـ (هدسون) ، حيث تتسع حافة النهر خائفة مساحة متسعة أطلق عليها البحارة الهولنديون القدماء (تابان زى) والذين كانوا دومًا يقللون من سرعة قواربهم الشراعية عندها ملتصين بركة (القديس فيكولا) ، نشأت مدينة تجارية صغيرة ، ميناء ريفي صغير يدعى (جرينبيرج) اصطلح على تسميته (تارى تاون) ، أو مدينة التلكو كما أطلقت عليه سيدات المنازل في المدن المجاورة حيث اعتاد أزواجهن التلكو فيها لبعض الوقت والعريضة بالحانة في أيام المتاجرة ، وعلى بعد ميلين من تلك المدينة يوجد جوف صغير بين التلال المرتفعة يمكنك اعتباره من أكثر الأماكن هدوءًا في العالم ، يمر عبره جدول صغير ، ولا يبدد هذا الهدوء المقيم سوى عثير السوى أو نقيق تقار الخشب .

عُرف هذا الوادى الصغير باسم (سليبي هولو) أو (الوادى الناعس) حيث يقول البعض أن هذا المكان قد سُحر خلال الأيام الأولى للاستيطان الهولندي فيه والبعض الآخر يرجح أن ساحر هندي ماهر هو سيد عشيرته قد حمل كهنته إلى هناك قبل اكتشاف البلدة على يد (هنريك هيدسون) ، وبسبب ذلك ظل المكان واقفًا تحت تأثير بعض القوى السحرية التي تسيطر على إدراك

الأصحاء من سكان البلدة فتجعلهم يهيمون في أحلام يقظة مستمرة وخواب غريبة ورؤى متعددة لمشاهد عجيبة ويسمعون موسيقى وأصوات تتردد في الهواء، ويقص كل من في المدن المجاورة عنهم العديد من القصص والحكايات العجيبة التي تحدث عن البقاع المسكونة بالأرواح وخزعبلات العسك.

ولعل أشهر تلك الحكايات التي ترددت هي قصة شبح لفارس يلا رأس يحط صهوة جواد قيل أنه شبح لمرزقة ألماني طارت رأسه بفعل قذيفة مدفع في إحدى المعارك الحربية خلال حرب الشوار ، اعتاد أهل البلدة رؤيته يجرى في كابة هذا الليل بسرعة فائقة وكأنما أسلم جناحيه للريح ، ويعزو العنبريون ذلك إلى أن جثة هذا الفارس قد تم حرقها في فناء الكنيسة الذي يظاهرة كل ليلة بحثاً عن رأسه المفقود في مكان وقوع الحادث ، ويعتدو سريعاً ليقود إلى فناء الكنيسة قبل بزوغ الفجر ، أطلق عليه سكان المنطقة (فارس الولد) (الناعس القاعد الرأس) .

واللافت للنظر أن تلك النزعة التنبئية والأوهام لا تصيب فقط أبناء البلدة الأصليين ولكنها تلحق بكل من يستقر هناك لبعض الوقت ، والذين يؤكدون أنهم يقعون تحت تأثير تلك القوى السحرية بمجرد دخولهم إلى تلك المنطقة واستنشاقهم الهواء المسحور تبدأ مخيلتهم في النمو ويعرفون في أحلام اليقظة بين أحضان تلك الطبيعة الخلابة، عند ما يقرب من نحو الثلاثين عاماً الشهور بيت (إيتش أبوود كرين) القادم من ولاية (كونكيت) التي كانت تحرص على إمداد الاتحاد بمديري المدارس لتعليم الأبناء والمحطابين الجيدين لأعمال الغلبة، قدم (إيتش أبوود) إلى (الوادي الناعس) لتعليم الأبناء ، كان (إيتش أبوود) ذو هيئة تشبه الديك المعدني القابع فوق رقبة مغزلية تلال على اتجاه الريح لها

١٥ الحقول حيث كان طويل القامة نحيف جدًا بأكتاف ضيقة وأذرعته تمتد إلى
 ٢٠ خارج أكتافه وأقدامه الطويلة التي تشبه المجارف ورأسه الصغير المنبسط من
 ٢٥ أعلى وأذنيه الطويلتان وعينه الزجاجيتان الخضراوان وأنفه المدبب الطويل ،
 ٣٠ تراه يمشى في يوم عاصف بملايكة المتسعة التي يغوص جسده بداخلها
 ٣٥ تحببه فزاعة هاربة من حقل ذرة . وكان مبنى المدرسة مكون من غرفة كبيرة ،
 ٤٠ نازلة مبنى بإهمال وثوابه غير مكتملة الزجاج ، مرفوع ببقايا الدفائر القديمة ، كان
 ٤٥ المكان سهلًا جدًا لأي لص قد يفكر في سرقة عند دخوله بينما قد يتعرض
 ٥٠ لعض العراقيل عند الخروج ، وكان مبنى المدرسة يقوم وحيدًا أسفل تل من
 ٥٥ الأشجار تؤنس ساقية تركض قريبة منه تنمو على إحدى جوانبها شجرة بتولا
 ٦٠ عملاقة ، يهدير صوت التلاميذ في ترداد دروسهم كصوت صادر عن خلية نحل
 ٦٥ في يوم صيفي خامل ، يقطع أحيانًا صوت المعلم منبهاً أو موجهًا وكأنما يفود
 ٧٠ بعضًا من قنائد البحر الهولندية العنيدة لطريق معروف ، أو الصوت المزعج
 ٧٥ لشجرة البتولا ، كان (إيش أبوود) رجلًا واعيًا يرى في تعليمه لأبناء الوادي
 ٨٠ الناس قيام بالواجب ، يمارس دوره بمنتهى الحكمة فكان يساعد الضعفاء
 ٨٥ منهم ويزيل عن كاهلهم الأعباء الثقيلة التي يسندونها للأقوياء من بينهم ، كان
 ٩٠ دومًا يجنب الصبية الخوف من العصا ، فهو يؤمن بالمثل القائل (تبقى العصا
 ٩٥ وتفسد الطفل) ويسعى لتحقيق الثواب والعقاب بإقراط العقاب على التلميذ
 ١٠٠ العبد ، الذي يثير غيظه ويجعله كقنفذ البحر الهولندي الذي ينفخ وينمو
 ١٠٥ تحت شجرة البتولا ، ولا يعاقب طالب إلا بعد إيعاز من أهله ، ويعزى ما قد
 ١١٠ يلحق بهم من ألم إلى أنهم سوف يشكروه في يوم من الأيام على الفرصة التي
 ١١٥ منحها لهم للحياة بشكل أفضل ولو ليوم واحد .

حين تنتهي ساعات الدراسة، يشارك (إيتش ابوود) الصبية الكبار في لهمهم وفي عصر يوم العطلة يرافق الصغار منهم إلى بيوتهم بحجة إبعالهم ، ينأى يهدف بذلك إلى الإبقاء على علاقات جيدة مع أولياء الأمور وخصوصاً من لهم أخوات جميلات وأميات رائعات في الأعمال المنزلية لإشباع شهوته الشهية للطعام ، حيث إن ما يحصل عليه من أجر في المدرسة ضئيل للغاية يكفي بالكاد لشراء الخبز اليومي ، فعلى الرغم من ضالة حجمه إلا أنه كان يتبع بشهية مفتوحة للطعام كشهية أفعى الأناكوندا ، كان يعيش على التفرغ بين بيوت تلاميذه يمكث في كل منها لبعض الوقت حاملاً معه منديل قطنى كونه صرة تضم كل ممتلكاته في تلك الحياة . بعيداً عن الوقار المفرط الذى كان يبدو به في المدرسة ، كان (إيتش ابوود) يتعاون مع الفلاحين في إعداد العلف وإصلاح الزرائب ورعى البقر إلى المرعى ، مما جعله يلهم الرضا في عيون الجميع وخصوصاً الأمهات لمساعدته لأطفالهن ، فكان يجلس مع الأطفال ويداعبهم ويهز مهد الرضيع عنهم يقدمه في سعادة لساعات . بالإضافة إلى ذلك كان (إيتش ابوود) المطرب المفضل لأهل البلدة ، يجنى بعض العملات المعدنية اللامعة حين يشود كورال الصغار في القدام ، كان (إيتش ابوود) يزاول كل تلك المهن دون التفكير في عمل واحد مرهق يكفل له حياة سهلة وأكثر راحة . وكان (إيتش ابوود) يحظى ببعض الأهمية في دائرة نساء البلدة ، بشخصيته المحترمة الأنيقة وما يمتلكه من عظمة وكبرياء الأغنياء ، كان في أيام الأحاد يجمع العنب لفتيات البلدة من العروش الموحشة المعلقة حول الأشجار في ساحة الكنيسة ، وكان يقصص عليهم ما تحويه العريال المكتوبة على شواهد القبور ، ويتجول مع مجموعة منهن على ضفاف بركة

البحر المجاورة للكنيسة ، بينما تدبر عنه الخجولات منهون بسذاجتهن الريفية ،
 يحسده الجميع على أناقته وشهرته ، كان بمثابة جريدة يومية متنقلة تنقل
 الأخبار من بيت إلى بيت ، كان محترماً من قبل الرجال والنساء لسعة معرفته
 وقراءاته المتنوعة ، كان خليطاً فريداً من الدهاء والسذاجة ، فكان ملأً بتاريخ
 ساحرات نيو إنجلد ، مغرماً بالحكايات غير الاعتيادية ، فكانت قمة متعته حين
 ينتهي اليوم الدراسي يتمدد على الحشائش الخضراء العتاجة للساقي ليقرا
 في (عهد ساحرات نيو إنجلد) دون خوف أو ريبة حتى يسقط الخفق ، ليبدأ
 في رحلة عودته إلى بيته الريفي المريح البناء ، ترافقه أصوات الطبيعة ونقيق
 الضفادع تحت الشجرة ، وصياح اليوم الكئيب ، الذي يرفرف فيهيج أخيلته ، فلا
 يترك في هذا الجو الكئيب سوى ترنيم الإنجيل ، وأهالي الوادي الناعس الذين
 اعتادوا الجلوس أمام منازلهم في المساء ، يقطع صمتهم صفير (إيتش وود)
 وهو يرتل المزامير على طول الطريق المظلم . كان كذلك يؤنس وحشته في
 ليالي الشتاء الطويلة بالجلوس مع العجائز الهولنديات المؤتسات بنار الموقد
 التي يحصن فيها التفاح المشوي المرشوق في أسياخ ، يستمع لحكاياتهن
 العجيبة عن الأسياح والعفاريت ، والجسور والمنازل المسكونة بها ، وخصوصاً
 قصة الفارس الذي فقد رأسه ، بينما يستعهن هو بحكاياته عن السحر والطالع
 والمشاهد والأصوات العجيبة التي تملأ الهواء والتي كان يسمعها في بلدته
 (كونيكتيكت) ، ويرهبهن بتوقع الفياك والشهب والمذنبات ، ومما يعرضهن
 للتوتر والقلق . بينما كان يعتبر هذه متعة ، كان يتفوق على نفسه والوهج
 المتورد القادم من المدفأة وطقطقة الخشب المحترق ينعكس فوق صفحة
 وجهه ، لم يواصل المشي السريع في الطريق إلى بيته ، والذي يخيم عليه

الظلام والظلال الخائفة ، وسط الموج الضعيف الليل المثلج ، يرقب الزمير
الضعيف القادم من النوافذ البعيدة ، خائفاً حتى من النظر خلف أكائه كما لا
يبلغه الفارس الخائف الرأس ، ويتملكه أحياناً الفرع الرهيب حين يسبح مرون
النفجار مفاجئ يصدح من بين الأشجار يرجح بأنه صوت عدو الفارس الخوف
الرأس . كان كل ذلك مجرد خيالات تتراءى له في الظلام ، كرواية شياطين لعبت
به ، ضوء الشمس كان كفيلاً بإنهائها جميعاً ، كانت حياته ستكون أكثر سهولة
ومتعة إن لم تتخللها تلك الحكايات والأعمال الشيطانية ، وما يعترض طريقه
من مخاوف في عودته إلى بيته ، وما أوبك به حياته من تلك الشئون .

كانت (كاترينا فان ناسيل) الابنة الوحيدة للمزارع الهولندي الثرى ، من بين
تابعيه الموسيقيين الذي يجمعهم في مساء ليلة من كل أسبوع ، فتاة بلغة
في الثامنة عشرة من عمرها ممثلة كطائر الحجل ، ناضجة ذات وجنات وردية
كالخوخ الذي يزرعه والدها ، ذات شهرة واسعة ليس فقط بسبب جمالها ولكن
أيضاً لقدراتها على التنبؤ بشكل واسع ، مع قدر من الغنج يتضح من طريقها
في اختيار ملابسها ، فهي ترتدي ملابس تجمع ما بين التصميمات القديمة
والحديثة بحيث تبرز صفاتها ، كما ترتدي حلى من الذهب الخالص ورثتها عن
جدة جدتها لوالدها والذي كانت قد حصلت عليه من (سد سار) ، ملابسها
كانت تظهر بطنها بشكل مشير كما في الزمن السابق ، تنورتها كذلك كانت
قصيرة بشكل مغري ، تظهر ساقها وكاحليها الأجمل في البلدة .

كان (إيتش ابود) يتمتع بقلب حنون وطائش تجاه الجنس الآخر ، كانت
عيناها تفضحان شوقه وهيامه في كل مرة يزور (كاترينا) في قلعة والدها الريفية

الواقعة على ضفاف همدسون ، والتي تعتبر صورة للتهضة والتحرر من القالب
الريفي المعتاد ، كان (فان ناسيل) قانعاً بشروطه لا ينظر إلى ما هو خارج حدود
إملاكه الثرية والغنية بالأناقة ، في إحدى مراتها الخضراء توجد زوايا فنية
تغطيها فروع شجرة دردار عملاقة يرمى فيها المزارعون الهولنديون الفراع
الصغيرة ، وفي نهايتها كان الماء يسعى رقراقاً ، ومخازن الحبوب المحيطة
بالقلعة تتفجر نوافذها وشقوقها بكنوز وخيرات الحقل ، والحمام يصرح بين
الأبراج التي يداعبها شروق الشمس بأعلى القلعة ، قطعان الخنازير بخوارها
ترقد بكسل في مضاجعها ، مجاميع منظمة من الإوز الأبيض تلهو في البركة
المعادية نواكبها مجاميع من البط وتنظيمات من الديوك الرومية تصدح عبر
ساحة الحقل .

كان (إيتش ابود) يخط في أحلام البقطة التي تراءى له بخنزير مظهر في
لحمه نقاعة مشوية بين فكيه والحمامات معددة في شطيرة ترفل في فراش
من الخبز ، والإوز يسبح في المرق ، وأزواج من البط تستريح في الصحون ،
يحيطها صوص البصل وغيرها وغيرها من أحلام البقطة التي جعلت ذلك المرح
يجل عبونه الخضراء بين المروج النضرة المنعومة وحقول القمح الغنية والفجر
والخطة السوداء ، الذرة الهندى ، البستان المورد بالفاكهة وهو يحتضن قصر
(فان ناسيل) الدافئ ، هفا قلبه للفتاة التي ستث كل هذا النعيم ، اتسع خياله
أكثر وفكر كيف سيتحول كل ذلك إلى نفود سائلة ، يستنمرها في مجالات
طائفة في الحياة المدنية ، تخيل (كانرينا) والأطفال الصغار يستقلون عربة
مغطاة بأغراض البيت ، وهو يتقدمهم يظهر كأنه زعيم الركب .

حين دخل إلى بيت (كاثرينا) كان قلبه منصاع تمامًا لهواه ، كمن ولّى من البيوت الريفية ذات الأسقف المرتفعة المدرجة ، شيد على طراز بيوت المستعمرين الهولنديين الأوائل ، الإفريز البارز يتشكل كشرفة في المبنى دخل عبرها (إيتش ابوود) المبهور إلى الساحة التي تتوسط القصر ، يبرز عيونه الأعمدة اللامعة والأطباق القصديرية المرسومة في الخزائن ، ومطلة كبيرة من الصوف ذات أذنين من الذرة الهندى وحيال من التفاح والفوح المجفف تعانقها حيال من الزهور على طول الحائط ، والباب النصف مغلق اتاح له رؤية غرفة الاستقبال حيث المقاعد ذات الأرجل المشككة على هيئة مخالب ومنضدة عن الماهوجنى القامق تلصق كالمرايا وتزين رف المستوف عدد من الحلّازين والمخارات وحيات برتقال صناعية وحيال من بيض الطير الملون مدلاة فوقه ، بينما تركت خزانه في الركن مفتوحة تعرض كنوز هائلة من الفضة الأثرية وأوعية صينية مرممة .

فقد (إيتش ابوود) السيطرة على عقله منذ أن جالت عيونه في هذا الفردوس وأصبح شغله الشاغل هو كيفية استحواذ قلب الابنة الوحيدة لـ (آني تاسيل) كيما كانت تلك المخامرة ، فعليه التغلب على عشاقها الريفيين الذين يتربص الواحد منهم للآخر طوال الوقت ، ناهيك عن أكثرهم رعباً (إبراهيم) والذي يطلق عليه كمختصر هولندى (براوم فان برانت) القوى البنية ، الهائل المرعب ، الطائش بطل البلدة بأكملها ، المشهور بأعماله البطولية ذات النوا والبسالة ، بأكتافه العريضة وشعره القصير المجعد الأسود ، وحيث ان تجمع بين المرح والقطرسة وهدوء الملامح ، ونتيجة لقوته أطلق عليه (براوم الضخم) حيث اشتهر بمهارته في الفروسية فهو الأول في كل السباقات وكذلك

صراع الديكة ، أهله قواه الجسدية لحل جميع النزاعات فهو دوماً مستعد لأي معركة أو مزاح ، تغلب عليه للإيذاء والسخرية على الرفق في شخصيته ، له ثلاثة أو أربعة من الرفاق يعتبرونه قدوتهم وحامي بلدتهم يتذكرون كل مشاهد المعارك التي خاضها فأحياناً والتي تهز سكون الليل على طول المنازل الريفية مع الصيحات واليهافات وصياح المسنات «هاهو براوم الضخم ورفاقه» ، وأحياناً كان يمارس بعضاً من تودده الخشن على (كاترينا) ومداعباته الشبيهة بمداعبات الدية والتي يصر أنها تروق إليها بعض الشيء ، مما جعل المنافسين له في حبها يتراجعون بمجرد رؤية حصانه وقد ربط بسياج بيت (فان تاسيل) في ليالي شتاء الأحد .

كان هذا هو المنافس الذي يحسب له (إيتش ابوود) حساباً ، أخذاً في الاعتبار ما يتمتع به (براوم) من قوة تجعله يتفوق عليه في أي مقارنة بينهما ، كان (إيتش ابوود) يتمتع بالمثابرة والتفاؤل بطبعه فكان بمثابة عمود ماري الحفنة الدوار ينحني ولا ينكسر ، كان من الجنون أن يترك (إيتش ابوود) الباب مفتوحاً أمام منافسه لذلك كان يأتي في زيارات متكررة إلى بيت (فان تاسيل) إلى الرضى بحجة كونه السيد المكنى ، فأخذ يتودد إلى الفتاة ويجلس معها تحت شجر الدردار خلال الربيع مستغلاً عدم تدخل أبيها بطبيعة شخصيته المتساهلة العجة لابنته حد عشقه لخليوته ، وكأب عاقل وممتاز ترك لابنته الحرية القاعة في كل شيء ، وكذلك أعطى زوجته الشابة الأثيرة مطلق الحرية في تدبير شئون البيت والدواجن ، بينما هي منشغلة بأمور البيت أو قابعة في أحد الأركان تغزل كان زوجها يدخل غليوته في الحجة الأخرى وهو يتابع إنجازات الحارس المتقاعس المسلح بالسيوف في كلتا يديه يحارب الرياح بجراة فوق برج بعلو مغزن الحبوب و(إيتش ابوود) مع (كاترينا) تحت شجر الدردار أو يترجلان تحت الفسلي .

اعترف بأنني لا أجيد فن اقتناص قلوب النساء فهم دومًا بمثابة لغز يلج
إعجابي . وتمكن (إيتش ابوود) من رفع شعبيته في بيت (فان تاسيل) بينما
ندر تواجد حصان (براوم) مربوطًا في السياج بليالي الأحد ، مما جعل الصراع
يدب بينه وبين (إيتش ابوود) الذي سمع تهديد (براوم) وتوعده له بالقتال
من فوق سطح مدرسته إلا أن (إيتش ابوود) كان دائم الحرص على عدم مجد
هذه الفرصة ، فلم يجد (براوم) حلاً سوى اللجوء إلى إطلاق النكاح لفظ
على منافسه كما قام بسد مدخنة مبنى المدرسة وكذلك لجأ إلى اقتطاع
وإرباك كل ما بها ، والأسوأ من ذلك هو تعمّد (براوم) إحراج (إيتش ابوود)
أمام محبوبته حيث كان يقدم كلبه الوغد كمنافس لـ (إيتش ابوود) في نزل
المزامير أمام (كاترينا) ، استمر الوضع على ما هو عليه وبينما كان (إيتش
ابوود) جالسًا فوق مقعده المرتفع وهو يتابع سير اليوم الدراسي في عصر يوم
خريفى ، قطع هذا السكون الظهور المفاجئ لزنجى يحتطى شبرا أشعث القرب
من بوابة المدرسة وقدم لـ (إيتش ابوود) دعوة لحضور حفل كرنفالى في قصر
(فان تاسيل) في المساء .

ازداد النشاط والصخب بين جنات المدرسة وعجل من أبطأ في تقديم
دروسه واشتغل الجميع بالحماس والسرعة إلى أن أنهوا اليوم الدراسي قبل
موعدته بنحو ساعة .

ظل (إيتش ابوود) لأكثر من نصف ساعة ينظف برقه الوحيدة ويجدها
ويزيح الصدا عن الأضرار ليمدو كفارس حقيقى ، قام باستعارة جواد من المزارع
الهولندي (هانس فان ريسبر) الذى يقيم معه ، كان حصان محراث لا يهتد

مقدم في العمر ، وحشي المزاج نحيف وأشعث ، رقبته كرقبة النعاج ورأسه كبطرقة ، شعر رأسه وذيله معقد على ، بالقشور ، فقدت إحدى عينيه بؤبؤها أصبحت تختلف عن عيون غيره المشعة بوميض شيطاني ، ربما كان يتميز بقوة شخصيته في صغره وهذا ما يدل عليه اسمه (بارود) ، ربما هو تأثر بروح قلده العصبي (ريبير) فكان الشيطان يترصده فيه أكثر من أي مهر صغير في تلك البلدة .

كان (إيتش أبوود) هو الفارس المناسب لهذا الشرس الذي فاده معتمداً على الركاب القصير الذي قرب ركبته إلى سرج السيف بينما كانت مراقبه الحادة ، نظام كالجناد ، حصل سوطه في يده كمولجان بينما انصاع الحصان تماماً وينفذ بحركة ذراعيه ، هرول الحصان سريعاً مما جعل قبعة (إيتش أبوود) الصوفية تلمس إلى أنفه ، وتهدل ذيل معطفه الأسود الطويل فوق ذيل الحصان ، خرج غير آتق مطلقاً من بوابة (هانز فان ريبير) في مشهد نادر ما تجتمع تفاصيله في وضع بل كونه النهار .

كما قلت ، كان (إيتش أبوود) مغرمًا بالجو الخريفي ، فالسماء كانت واضحة من أجلة الوهدة اكتست الطبيعة من حوله بالغنى والذهب الذي يذكرنا دوماً بالوفرة ، ولما وضعت الغابات رداءها الأصفر والبنى بينما بعض الأشجار اللينة كانت قد فرخت بالصقيع إلى درجات البرتقالي والأرجوان والقرمزي ، بينما حلقات من ليط البرى بدأت تلوح بين نباح السناجب المنتشر في بساين الزان ويندق الحوز وصافرة طائر السلوى المرتفعة نجلجل في حقل القش المجاور . كانت طيور الصغيرة تتناول آخر وجباتها وهي تصفق من أجمة إلى أجمة بعريضة

وكذلك طائر أبو الحناء وهو اللعبة المفضلة لدى الصبية بصوته الشاذ الذي يندفع به في طيور السمور وهي تطير بين الغيوم ، ونقار الخشب بأجنحته النعيفة ورأسه القرمزية وبطوق رقبنه الأسود الريش وطيائر الأرز بأجنحته الرقيقة الحمراء وذيله الأصفر وقبعة الريش المميزة فوق رأسه ، وطيائر أبو ذريق المتشابهة المزجج بمحطفه الأزرق الفاتح والأبيض داخله بضوضائه وصراخه وانعاده ليحظى بعلاقات جيدة مع كل غريدى البستان .

هرول (إبنش أبود) ببطة بين الحقول وعبونه تتجول بين خيرات الخريف في منطقة المرح على كل الجوانب ، لصح مخزن كبير للتفاح وحقول هائلة من القمح والذرة والناضجة بأذائها الذهبية التي تطل من مكانها المحاطة بالأشجار والتي تملأ بالكمك والحلوى الآتية وتحتهم الشرع الأصفر يخرج بطونه المستديرة إلى أشعة الشمس لمزيد من الفطائر الأكثر روعة وهو يعبر بالقرب من حقول الحنظل السوداء المعطرة تنفس رائحة خلية النحل ، وبينما هو هكذا سيطر على تلك الجوارح مذاق طيب صغير لطيف مكلل بالزبد ومزينة بالعسل والدبس بيد (كانت يداه ممدورتان تاسيلاً) النظرة .

أخذ يغذى عقله بالعديد من الأفكار اللذيذة والتخمينات الساحرة ، فالسمور على مدى التلال المشرقة على المشاهد البديعة لهندسون ، تحرك قرص الشمس هابطاً نحو المغرب ، بدا سطح (تابان زي) ساكناً كسطح زجاجي باستثناء بعض تموجات لطيفة هنا أو هناك ، تنعكس عليها ظلال زرقاء للجبال البعيدة ، يغمر الغيوم العنبرية تعوم في السماء بدون أية هبة هواء تحركها ، وانكس في السطح بخيوط ذهبية تتدرج نحو لون التفاح الأخضر والأزرق المتعمق في السماء

وتتبع مائل يتباطأ فوق قمم الأشجار المتداخلة على المنحدرات المطلة على
النهر ، مما يمنح المزيد من العمق لأرجوان جوانبها الصخرية ، وسفينة شراعية
تربط بفعل المد بينما الشراع والسارية يتعاكسان ونتيجة لانعكاس الصورة
على الماء يخل إليك وكأنما السفينة معلقة في الهواء .

وصل (إيتش ابود) إلى قلعة (فان تاسيل) قبل حلول المساء ، وكانت
القلعة تعج بالزينة والزهور المستوردة من البلاد المجاورة ، كان المزارعون من
خارج البر في معاطفهم وسراويلهم المحلية وجواربهم الزرقاء يرتدون الأحذية
فلان الضخمة ذات التوكة الكبيرة ، بينما ارتدت نساؤهن النحيفات الشاحيات القبعات
تُحاطر ذات النيايات المعقوفة والأثواب القصيرة بتنافيرهن المحلية ذات الجيوب
في الصخرية المرقطة بالألوان المختلفة بينما الفتيات البدينات قد ارتدين ثياباً
من خيال كتياب أميائهن باستثناء قبعات الفس ذات الشريط الرفيع وربما بياض الخسائين
زاهية هو الذي أظهرهن أكثر حجماً من الحقيقة ، بينما ارتدى الصبية معاطف ذات
بعضها إلى نهايات مربعة بصقوف من الأزوار النحاسية الرائعة وقد صفت شعورهم بزي
سك الجرين المغذى والمقوى للشعر كموضة تلك الأيام ، على كل حال كان
البرلام الضخم) هو بطل المشهد حيث جاء على صهوة جواده المفضل بغروره
اللاذع المفعمة بقوة الشخصية والشر الذي لا يمكن أن يبدل إلا منه .

كان (إيتش ابود) يتمتع بالرحمة والرضا ينتشى بالطعام كانتشاء الرجال
بالخمر ، لم يستطع أن يغمض عيونه الواسعة عن السحر المنبعث لطاولة الشاي
الهولندي في هذا الوقت الخريفى والأطباق الكبيرة الممتلئة بالكعك الصغير
الطلى على كل الأشكال والذي تتقنه ربات البيوت الهولنديات ، بالإضافة إلى
المحلى .

فطائر الخوخ والقرع والتفاح وشرائح لحم الخنزير والبقر المدخن ، علاوة على ذلك كان هناك صحنون من الخوخ المحفوظ والطازج والكشوى والسمندر وأسماك الشابل والدجاج المشوى معها أكواب من الخليب وأطباق التخمير وإبريق الشاي يرسل سحبا من البخار .

ضحك (إيتش ابوود) في نفسه لمجرد تخيل أنه قد يكون في يوم ما ملك كل هذا المشهد من الشرف والعظمة الخيالية، حينها سيدبر ظهره إلى المدينة القديمة ويضع أصابعه في وجهه (هانز فان ريبيرا) وكل راع بخيل ، يتمايل (فان فاسيل) يتجول بين الحضور باسما محبباً يربث على أكثاف من لم يلحقه ثعبته ضاحكاً . بدأ صوت الموسيقى يأتي من قاعة القلعة لدعوة الجميع للرقص ، كان قائد الأوركسترا زنجياً مسناً قائد الأوركسترا المتجولة في أنحاء المدينة طوال نصف قرن ، كانت آلاته قديمة بقدمه محطمة كنفسه ، راقص حركة رأسه كل حركة لقوسه . كان يعيل نحو الأرض ويدب بقدمه كلما بدأ ثنائى جديد في الرقص ، كان (إيتش ابوود) يفتخر بقدراته في الرقص ربما أكثر من قدراته الغنائية فلم يدع وتراً أو طرفاً من أطرافه ساكناً فكان كل جسد ينطلق بالرقص بحركة كاملة دارت في أنحاء الغرفة .

كانت سيدة قلبه هي شريكته في الرقص تبتسم بلطف لكل نظراته الواهية ، بينما (براوم) يجلس وحيداً يعتصره حبه وغبرته ، وحين أوشك الرقص على الانتهاء تجاذب (إيتش ابوود) أطراف الحديث مع الرجال الجالسين مع (فان فاسيل) الذي كان يدخل في جهة من القاعة ، يحكى عن الأزمنة الغابرة ويحكي في الحديث عن قصص الحرب، حيث كانت المناطق المجاورة في تلك الأيام

التي تحدث عنها قعج بالتواريخ والرجال العظماء ، كانت سبيل للبريطانيين
والأمريكان خلال الحرب ومشاهد الغزو وقوافل اللاجئين ورعاة البقر وكل أصناف
النشاط المسلح على الحدود ، وكان الوقت كافيًا لسرد كل من المتحدثين قصته
بعض التائق والأرتجال المناسبين بحيث يتصور نفسه بطلًا للقصة .

كانت هناك قصة (دوفو مارلنج) الهولندي ذو اللحية الزرقاء الذي تمكن
من أخذ فرقاطة بريطانية ذات تسع مدافع حديدية من الميثريسي القاذفة .
وكذلك قصة الممن ذو الثراء المجهول الاسم صاحب البطولة في معركة السهول
أيضاً والذي تمكن من تفادي قذيفة بندقية بسيفه الصغير تشهد الحكاية
ببره الكبير في إنهاء الحرب ، إلا أن كل تلك الحكايات توضح بالكمال
بجوار حكايات الأشباح وظهورها المفاجئ حيث تحفل تلك المنطقة بكنوز
من الحكايات الأسطورية التي حدثت للهولنديين القدماء الذين يتعلمون في
ليومهم وهاجر بعضهم للخارج وتزور أرواحهم المنطقة أحياناً في الليل . كان
لقرب من الوادي الناعس أكبر الأثر في انتشار هذا النوع من قصص الخوارق
والعدوى المنقلة منه عبر الهواء وكان أغلب من تعرضوا لحمى ناعس الوادي
مخبرين في قلعة (فان ناسيل) ، بالإضافة إلى العديد من الحكايات الكنيية
التي تحدثت عن مواكب جنائزية ونداءات حداد وعويل مسموع تنبعث من
شجرة التي أخذ إليها الميجور المسكين (أندريه) ، تجدر الإشارة أيضاً إلى
امرأة نزلت في البياض التي سكنت الوادي الصغير المنعزل (رافن روك) والتي
طلعت في الثلوج تسمع صرخاتها غالياً في ليالي الشتاء قبل قيام العاصفة .

إلا أن القصة الرئيسية المتداولة كانت عن (فارس الوادي الناعم منظر) الذي يتجول عبر أنحاء الوادي في الليل ثم يربط حصاره بين القمم والمنخفضة في باحة الكنيسة الكائنة فوق الربوة المحاطة بشجر الغروب والدردار الشاهقة التي أضحت مزارًا للأرواح غير المطمئنة بجدرانها المنيعة واللامعة المائلة قليلًا باتجاه صفحة الماء الفضية تجاورها الأشجار الساقطة في أعناق تلال (هدسون) الزرقاء وقد نما العشب في ساحاتها مما يعطي شعورًا بأن الموتى ينامون بسلام ، يمتد وادي من الأشجار الكثيفة ناحية الكهف المقطعه ساقية تشق طريقها عبر الصخور والأشجار الساقطة بينما أقيم جسر قديم فوق جزء عميق من الجدول وقد ظلل الطريق عبر الجسر بمجموعة من الأشجار ذات المنظر الكثيب في النهار والمخيف ليلاً ، يعتبر هذا المكان من الأماكن المفضلة للفارس مقطوع الرأس وأكثر الأماكن ورودًا في الحكايات وفي رواية (بروير) الممن وهو الأكثر جحودًا وإنكارًا لوجود الأشباح حيث أن الفارس وهو في طريق عودته من رحلته الليلية وقد أمره بأن يتبعه عبر الجسر والمستنقع حتى بلغوا الجسر فتحول الفارس إلى هيكل عظمي أبيض في البر ثم قفز بعيدًا إلى أعلى الشجرة وسط صفق الرعد .

أيدت تلك القصة حكاية (براوم الضخم) والذي قابل الفارس ليلة ما حيث كان عائداً من قرية (سينج سينج) المجاورة في إحدى الليالي فالتقى الفارس بمسابقته وأن عليه أن يهزمه وإلا فال عقاب ، فانطلق جواد الفارس عبر الوادي وما إن بلغ الجسر حتى اختفى بلمح البصر وتلاشى في الغسق .

في تلك الحكايات تابعها (إيتش ابوود) الذي قرأ عليهم مقاطع من (عهد
 إعران نيو إنجلند) وأضاف العديد من الأحداث الرائعة التي حدثت في ولايته
 (كيبكيكت) والمشاهد المزعجة التي رآها خلال سيره بالوادي الناعس ، انفض
 الجميع بشكل تدريجي وصعد المزارعون وعائلاتهم إلى عرباتهم مخلعين ضجة
 عظيمة لبعض الوقت على طول التلال البعيدة بينما بعض الفتيات صعدن
 خلف عشاقهن وضحكاتهم اللا مبالية تختلط بصفق حوافر الخيل المتروكة عبر
 أن لغات الساكنة ، تلكا (إيتش ابوود) في المؤخرة ليتبادل الحديث الهامس مع
 (كاثرينا) وقد غمره يقين تام بأنه يسير على درب النجاح ورغم ذلك كان شيء
 ما يزعج الخوف بداخله من القشل عوضاً إلا أن هبة هواء مقفر وكيب كانت
 كافية لترفعه إلى أعلى ، يا لله ! يا لهن من نساء ! كان تشجيع (كاثرينا) للمعلم
 المسكين ما هو إلا خدعة لتتأكد من حب منافسه لها !

كانت تلك الجة المقفرة من الهواء كافية لجعل (إيتش ابوود) ينسحب إلى
 الظل دون النظر يمينا أو يسارا مصطحباً معه دقائق قلبه المتسارعة، أوقف
 جوده الجموح وتابع سيره إلى حيث البيت في ذلك الوقت الأكثر سحراً من
 الجبل منزل القلب ومكتب وقد نشرت (تابان زي) مياهاها المعشمة في صوت
 الجبل الميت الأخذ في الإظلام ونباح كلب حراسة لجنة مراقبة الشاطئ المطابل
 في عهد وصباح ديك ربما استيقظ عرماً، بدت النجوم وكأنها تغرق في السماء ،
 وأعطيا الغيمات من لحظة لأخرى، شعر (إيتش ابوود) بكآبة ووحدة لم يشعر
 في المطابل ذلك ، تسارعت في ذهنه حكايات الأشباح والجن التي سمعها من قبل
 في تلك المنطقة وهو يعبر المناطق التي تدور حولها هذه الحكايات بالذات ، وانتصبت

شجرة نيل أمامه في وسط الطريق تلك التي ارتبطت بقصة الميجور النرويجي .
 النقص الذي سجن عنوة واعتبره أهل المدينة شخصية غرامية ومختربة . كان هذا
 اقرب (إيتش ابوود) من تلك الشجرة بدأ بإطلاق صفارته التي ظن أن صلاحيته لها
 يرتد إليه إلا أنه سمع صوت انفجار من بين أغصانها وتراءى له جسم ليرتد
 بين الأغصان ، أوقف صفارته إلا أنه علم أن ذلك من فعل البرق تابع طريقه
 إلى حيث البحر الصغيرة تقطع الطريق بينما اصطف الغليل من جذوع البحر .
 القاسية على جانب الجسر ، مجموعة من أشجار الكستناء والبلوط غطتها
 العشب البري المشلق بثقل أضفى المزيد من الغم على المشهد .
 وكز (إيتش ابوود) جواده في ضلوعه المتصورة ليزيد من سرعته إلى
 انحرف إلى الجانب المعاكس حيث أجمة التعليق وانحرف إلى جانب البحر
 مما جعل (إيتش ابوود) يسقط إلى عنقه وفي تلك الأثناء لمح (إيتش ابوود)
 جسماً ضيقاً مشوهاً اسود شامخاً ناحية البحر بدا وكأنه وحش عتاق منقذ
 لمهاجمة المارة ، انتصبت خصلات شعر (إيتش ابوود) من خوفه إلا أنه استعصى
 قواه وصاح متلعثماً :

... من أنت ؟

فلم يجبه أحد فكرر سؤاله بصوت أكثر حدة فلم يجبه سوى الصمت القلبي
 عيونه بينما تردد داخله لحن مزموور . ونتيجة للظهور المفاجئ لهذا المجهول
 المخيف تضاعف ظله وبدأ ذا أبعاد كبيرة بعد أن امتلئ صهوة جواده
 قوي البنيان مستعداً عن الطريق مهرولاً تجاه جواده (إيتش ابوود) المجهول
 ناحية عينه التي لا يرى بها ، فرفع (إيتش ابوود) من سرعة جواده ليتجاوزها .

الغريب فأسرع هو الآخر ، مما جعل قلب (إيتش ابوود) يغرق بين أضلاعه من
 غيوض هذا الصامت الغريب الذي بدا أكثر ارتفاعاً عن الأرض وكأنما يضاهي
 ارتفاعه الضخام في عباءة السماء ، تيقن (إيتش ابوود) إلى أن هذا الغريب كان
 بلا رأي وازداد رعبه حين أدرك أن رأس هذا الغريب كان محمولاً أمامه على
 طبق سبفه ، ازداد رعب (إيتش ابوود) إلى حد اليأس مما جعله يستمر في
 زلزال جواده ليصرع متجاوزاً هذا الغريب إلا أنه تمكن من تجاوزه بقفزة واسعة
 ثابت الصخور الصغيرة فتطايرت بلمعان مضى ، من حوله ، صفقت ملائكة
 (إيتش ابوود) الرقة في الهواء بينما جذب جسمه النحيل القارع بعيداً عن رأس
 جواده وكأنما يحاول الطيران .

دخلوا إلى الطريق الذي يتحدر إلى حيث يستقر الوادي الناعم ، والذي
 يتجاوز جسر الجسر على بعد ربع ميلا من الربوة الخضراء التي تتوسطها الكنيسة ،
 كان جواد (إيتش ابوود) وكأنما أصيب بمرض شيطاني جعله يهبط المتحدر
 في عبور ما أربع (إيتش ابوود) إلا أنه أعانه على المطاردة ، وقيل أن يتمكن
 من عبور نصف المسافة إلى الوادي انفلت الطوق من السرج وأحس (إيتش
 ابوود) كأنما انزلق من تحته إلا أنه تمسك بعنق الجواد واستجمع كل قوته
 ليثني على صهوته وظل يرتج بعنف فوق عظمة العمود الفقري لحصانه وكأنها
 تشطره نصفين ، وعبر فتحة بين الأشجار لاحت الكنيسة من بعد والجسر
 المؤدى إليها والمشهد الكامل الذي ذكره برواية (براوم الضخم) حيث اختفى
 الغريب المفقود الرأس ، فكر : « لو أستطيع .. لكن .. أبلغ هذا الجسر .. أنا

فجأة سمع صوت الجواد الأسود من جديد يلهث ويتفزع خلفه ثعلباً وأمسر
بسخونة أنفاسه ، وقد ركل جواده برعب في ضلوعه فقفز فوق الجسر وعلل
خوافره على الألواح الخشبية بصوت مدو وانخذ الاتجاه المعاكس ، اغلظ
(إيتش ابوود) نظرة للوراء ليرى ما إذا كان مطارده كما اختفى كما عرف عنه ،
إلا أنه لمح هذا العفريت في ركابه يقذف رأسه المظطوع نحوه وقد فطر في
نفاديبها فاصطدمت بجمجمته في صوت تهشم عنيف فسقط بين الفبار إلى
جوار جواده بينما تجاوزه القرس الأسود والفارس الشبح كإعصار .

في الصباح التالي وجد جواد (إيتش ابوود) وحيداً دون سرجه ولجامه مدلى
تحت أقدامه يحفر العشب عند باب مالكة ، لم يظهر (إيتش ابوود) على
الإفطار ولا العشاء بينما الأطفال تجمعوا في المدرسة وترجلوا بكسل حول
البئر ولكن مدير المدرسة لم يحضر ، تحققوا من وقوع الهجوم وبعد تعطيل
مضن وجدوا السرج في الوحل وآثار خوافر الخيول تحفر الطريق بعنق حفر
الجسر وعلى بعد مسافة كبيرة من البئر عثروا على قبعة (إيتش ابوود) التي
وبجوارها ثمرة قرع على محطمة وبعد نفض البئر لم يتم العثور على
جثة (إيتش ابوود) ، أثارت هذه الحادثة الغامضة الكثير من التساؤلات في
الكنيسة خلال أيام الأحد التالية حيث تأتي جموع الناظرين إلى باحة الكنيسة
على الجسر في البقعة التي وجدت فيها القبعة وثمرات اليقطين يهزوا يدهم
بأسى متأثرين بخاتمة (إيتش ابوود) التي ساقه إليها المرتزقة . وعلى اعتد
أنه أعزب لا أقارب له لم يشغل ذهن الناس طويلاً ، غير أن مزاجه
كان في رحلة إلى نيويورك بعد الواقعة بأعوام وعلم من الاختبارات

إن إيتش ابوود كرس) ما زال على قيد الحياة وقد ترك المنطقة ليهرب من
الخريف ومن (هالز فان ريبير) وعار النبذ عن (كاترينا) واستمر في التدريس
والى جانب ذلك درس القانون واندفع إلى الحياة السياسية والكتابة بالصحف
وأخيراً أصبح قاضي محكمة (تين باوند) ، بينما (براوم الضخم) بعد اختفاء
سافيه بفترة وجيزة شوهد مع (كاترينا) عند مذبح القرايين بالكنيسة استعداداً
للزفاف ، ولوحظ أنه أكثر من يعرف تفاصيل واقعة (إيتش ابوود) والتي تجعله
ينفجر من الضحك كلما ذكرت شجرة اليقطين مما دفع البعض إلى الاشتباه في
أنه يعلم عن الأمر أكثر مما يحكى ..

وبرغم كل شيء ظلت ربان البيوت المسنات بالمدينة يقصصن قصة (إيتش
ابوود) الذي اختطفته قوى ما وراء الطبيعة ، وهن جالسات حول ركبة النار في
لألي الشتاء وصار الجسر المؤدى إلى الكنيسة أكثر إثارة للزغب وربما كان هذا
هو سبب تغيير الطريق إلى الكنيسة ، وكذلك مبنى المدرسة الذي تم تدميره
نتيجة الإهمال ويعتقد البعض أن شبح المدرس التعيس قد استوطنه وأحياناً
يعبر في ليلي الصيف وهو ينشد مزاميره عبر صمت الوادي الناعس ..

التحول

(قصة قصيرة)

حدث ذلك في آخر ليلة لي مع زوجتي . الليلة التي رأيت فيها أن هذا كعب
جدا ورأيت أنا أن لا بأس . لم تكن هذه هي آخر ليلة لي معها ، بل اللمح
أن تقول أول ليلة لي بدونها . لهذا كان من الغريب أن أدخل الحمام دون أن
تتناهى إلى أذنى الأصوات من التلغاف الذي يعرض مسلسل الساعة مساءً وهي
عادة زوجتي التي لم تتوقف عنها قط لا في ليلة التاسع من فبراير عام ١٩٩١
عندما شعرت بأنم غامض في كنفها الأبيض واتضح أنه القباب في المرأة ، وفي
ليلة الحادي عشر من مارس في نفس العام عندما ألما مفص حاد وعرفائه
بسبب الانسداد في القناة المرارية .

والآن ها هي الحياة بدونها وبدون مشاكل الكبد ومستحضرات الكولشبين
والرباغرين وأغاني فيروز والمجلات النسائية المليئة بالباترونات التي تحب -
أحب - تجمعها في مجلد واحد يرغم أنها لم تكن أبداً ماهرة في التزيين .
يبدو وأنت الآن تظن أنني أحبها . نعم . لا زلت أحبها ، وربما هي أيضاً
لا زلت تحبني . فلماذا كان الطلاق إذن ؟ .. لا أعرف ، ولا اعتقد أن أحداً في
هذا العالم له القدرة على أن يعرف . هذه الأشياء سوف تظل إلى الأبد بلا تفسير
تفسير .. كان قدونا أن نلتقي ، وكان قدونا أن نفترق .

وما أن أضأت نور الحمام حتى رأيت ظلها الغالي مرة أخرى ، وفي العنق
المصفولة بعناية كانت ذكراها منقوشة مع الشحم الأسود على الإبط الخشن
حيث اعتادت أن تستند على حافة المرأة بيدها اليسرى وهي تتزين ، ويظهر
بقع حمراء لأحمر الشفاه الذي كانت تمسحه بأناملها ، ومع صورتين صغيرتين

الخبرون، واحدة وهي تحتضن قيثارتها الصفراء والأخرى وهي تنزهه في ربوع الحمام. ولا شيء آخر...

يا العصبية...

لا شيء آخر...



تذكر آخر مرة شفتك أنت

تذكر وقتها آخر كلمة قلنا

وما عدت شفتك

وهلك شفتك كيفك أنت ا



البنع وأماكن الانساح على الإطار الخشبي وزجاج المرأة اللامع إلا في ركنها العلوي الأيسر إذ تقشر من الخلف بفعل الزمن، انعكاس باب الحمام لمعطر حوائش مفعوله عند عام. كل شيء كان انعكاسه موجودًا في المرأة كالعادة. بعد ذلك، فلا شيء آخر...

لم أكن أنا موجود في المرأة !!

حسنًا.. كيف يصفون مثل هذه الأمور؟ عندما تستيقظ متأخرًا ثم لا تعثر على جورب واحد نظيف، فإنهم يصفون هذا بالارتباك، عندما تفتح عينيك فلا تجد نيكوت كيدمان إلى جوارك وتكتشف أنك - فقط - كنت تحلم، فإنهم يصفون هذا بالتشتيت، عندما ينفذ منك الثقاب وتحاول إشعال سيجارتك فتجد الجميع قد صاروا من أعداء التدخين، فإنهم يصفون هذا بالحنق... ولكن، كيف يصفون عدم العثور على صورتك في المرأة؟

اعتقد لن أحدًا لم يجرب شعورًا كهذا من قبل، لهذا - أعذرني - لن أجد لك

وصفاً مناسباً . وبالتأكيد لن أجد لك وصفاً لما حدث بعد ذلك بثوانٍ (والذي كنت أكثر لطافة ، كما ستري) . حاولت أن أعبت في إطار المرأة هنا وهناك بحثاً عن خدعة ما ، لكنني كنت أمزح ، فما الذي كنت أحاول العثور عليه (وبدا طريفاً لي لا أرى تجسدي الذي يتمايل يميناً ويساراً أي انعكاس) وهنا حدث ما حدث .

كنت راكفاً على الأرض أحاول اكتشاف سر هذا المقلب الرديء . وبعد كنت أهتم بقامتي صاعداً (متوقعاً ألا أراني في المرأة . يبدو أنني قد اتيت الأمر كأنه من بديهيات الحياة اليومية) لكنني في هذه المرة بدأت أرى صورتي تظهر . حمداً لله ، يبدو أن ضعف بعصري كان السبب في ذلك .

يا إلهي ، يا إلهي . .

عادي جداً !

أنا في المرأة مرة أخرى ، قميصي اللبني الذي فقد أزراراً من أعلاه فأظهر طوق القائلة الداخلية . المؤخرة البلاستيكية البيضاء لقلمي الفرنسي تبرز من الجيب الذي أنسخت حافته . القلم أحمر ، أخبرك لأنك لا ترى هذا من المشيد ، بالرغم من أنني أمسكت الكتابة بالحبر الجاف الأحمر ، هذا الظم انتشلته عنوة من أصابع صديقي اللدود (عماد) إذ كان يحاول في حماس أن يرسم شارباً للفتى المرسوم على غلاف «وجوه الحب السبعة» الذي نسيته على عائدة الطعام ليلة الثلاثاء الماضية . كان السيف قد سبق العزل على أية حال ، فالفتاة الخالعة المرسومة داخل قلب إزدان بوردتين قد صار لها لحية حمراء عملاقة جذيرة براسيوتين .

لكن وجهي في المرأة كان عبارة عن جمجمة !

هيكل عظمي يرتدي قميصي . اقترب من جمجمته . أعود للخلف ، فتبعته الجمجمة وتغوص في خلفية المرأة . أحرك رأسي ، فتتهتز الجمجمة طرباً .

هنا أدركت أن جسمي يرتجف رغماً عني ، لست ممن تروعيهم روية
الجمام ، ولكن عندما أراها حيث يجب أن تكون رأسي ، فإنني - حتماً - لن
أظن بنفس الثبات .

العجيب أن قامتي لم تزل كما عهدتها ، نجيبة نعم ، ولكنها ليست بهيئة
الهيكل العظمية ، حتى إن الجمجمة القبيحة التي كانت تطل من ياقة قميصي
بدت خفيفة نوعاً فوق هذا الصدر المعتدل . مسنودة من أسفل بفقرات العنق
البع وعظمي الترقوة ، لم يكن لها اللون الأبيض الذي نراه على مكاتب طلبة
الطب في التلغاز . العيون فجوات غائرة كأنها الكهوف ، والفم بلا لسان أو أسنان
إلا من ضحكة واسعة لن تخبو أبداً . لا ريب أنني مريض ، مريض وأهذي ، نعم
أعرب بخونة طبيعة في جميع أنحاء جسمي وجهتي تلهيب بالحصى ، حمى
مصحوبة بانفعال محموم وحمل بي في ثوان إلى المرحلة التي تصل إليها الحمى
من إجهاد الجسد وألم في الأطراف وقوتر في الأعصاب والإحساس الممض والمريح
أن الموت يدنو منك . أنا وأهم بلا شك ! وهم من النوع السخيف الذي لا يجعلك
تدرك أنظر أنه وهم بأي حال من الأحوال . ولكن ، هل لأنني أرى رأسي جمجمة ،
هل معنى أتوهم بأنني مريض ، أم أنني مريض ، فأرى وجهي في جمجمة ؟

في تلك الأثناء قبل أن أتمالك بجوار الحوض وأغوص في خواطر سوداء مقبلة لن أفيد منها
زناً إلا الصداق ، ولن تفيد أنت منها إلا ضياع الوقت ، فتحت باب الحمام وخرجت
عزلاً في الحال بأقصى سرعة سمحت لي بها حالتى السيئة وصحياً والعجيبة عقلياً ،
ثم إنني أغلقت الباب خلفي بعنف أدهشتي رغم وهني وفي الصالة رحت أنقر
بظلم عماد الأحمر على المائدة وأنا في أسوأ حال من الاضطراب والحيرة .

لكنني كنت على يقين من فكرة واحدة :
لن أبقي في هذه الشقة لحظة واحدة !

أسطورة رجل الجليد

النبت .. الثلوج .. العواصف .. الذئاب البيضاء تعوى هنا وهناك .. الكواكب
الخطابين تنتشر في كل مكان .. روح (بودا) تخلق فوق القمم الشامخة .. وديم
الريحان بعيد .. تصدعت جدرانها من تعاليم السيد (جوتاما) أمير (سيدهارن) ..
ومن أقوال المقدس (ماهاغبرا) .. الدنيا كلها جليد ناصع البياض .. وبعيداً عن
العاصمة (لياسا) .. أو قريباً منها .. أسرع الراعي الذي كان يرتجف رعباً ، إلى
داخل كوخه ، وأوصد عليه الباب في إحكام .. وأخذ يلهث من فرط الرعب
والانفعال .. والخوف مما سيحدث .. بعد ثوان .. كان المخلوق القريب
فوق السطح يمزق قطعاً كبيرة منه .. قطعة ، قطعة .. وما يجده صلباً كان
يهشمه ..

فجأة .. تجعد الراعي - الذي كان يرعى خرافه وماعزه - في مكانه ، في أعلى
جبال هذه المنطقة .. (نيبال) .. في لحظة ... تجتمع القطيع والنسق ببعضه
البعض ، وهو خائف مذعور .. إنها غريزة الحيوان التي تفوق غريزتنا بكثير ..
والتي نشعر بالخطر قبلنا بمراحل .. ولأنها نشعر بالكوارث قبل موعدها ، وقبل أن
تلمس معالمها .. إذن ، تلك - بلا ريب - علامة من علامات الشر المقبل .. وكذا
هو يعرف هذا .. لقد حدث مرات سابقة لرعاة مثله .. حدث كثيراً في الواقع

إن الشرايا الذين يقطنون منحدرات جبل «إيفرست» ، قد ألف حماية قطعان
من الحيوانات المفترسة .. وعندما انكمش القطيع مذعوراً .. رفع الراعي عصاه

وهو يرتجف ، لصعد الوحش القادم .. لكنه استعاد ثقته فى ثوان .. ربما كان أحد الحيوانات المألوفة .. هى أيضا تسبب رعبًا للخراف .. ورفض عصاه هذه المرة فى هدوء ، وثاقًا من قدراته على مجابهة هذا المعتدى ، ظنًا منه أنه ذئب جبلى أو نمر .. ولكنه لم يكن كذلك .

كان هذا الكائن الذى يتقدم نحوه فى خطوات بطيئة متثاقلة ، يبلغ من الطول حوالى ١٩٠ سنتيمترًا وله شعر أحمر كثيف يضارع فراء «المنك» المنتشر هناك .. لم يكن هذا الكائن مألوفًا بالمرّة .. كان شعره يتسدل على عينيه ، أما أمانه فبارزة ، ورأسه مخروطى الشكل كراس قرد .. كان الكائن واضح المعالم إلى حد بعيد .. وكان من الصعب - بل من المستحيل - ألا يتعرفه الراعى .. وهنا فرغ عندما وجد نفسه وجهًا لوجه أمام المخلوق الغريب .. وصرخ : «رباه .. إنه هو !»



(أليش) .. تعنى تلك الكلمة فى الغرب : (مخلوق الجلبد المدهش) .. الراعى يعلم ذلك .. ويعلم أنه قد يستطيع مواجهة الذئاب الجبلية أو النمرور أو القهود .. لكن هذا المخلوق .. ماذا يفعل ؟ .. لم يكن هناك وقت كبير للتفكير .. فاندفع إلى داخل كوخ مجاور ، وأوصد الباب عليه .. وبذلك غدا فى مكان مؤقت .. ولكنه كان مخطئًا .. إذ سرعان ما سمع الكائن وهو يمزق قطعًا كبيرة من السطح بيديه القويتين ، وبعد لحظات سيكون معه فى الكوخ .. إنه هالك لا محالة .. سيصبح ضحية (رجل الجلبد) هذا .. ولم يكن أمامه حل آخر .. أسرع يجمع بعض الحطب من هنا وهناك - داخل الكوخ - وجمعها تحت

منتصف السقف .. وأسرع بإشعال النار ، لعل الدخان الأسود الكثيف ، يفرج المعتدي ، ويخترقه حاملاً إياه على الفرار .. ونجحت الحيلة .. تصاعد الدخان الخائق إلى سقف الكوخ حيث كان (البيتي) ، وفي غضب وهياج ، قفز الكائن الغريب من فوق السطح ، وانسل نحو الجبل .. لكنه لم يستطع أن لا يجر آثاراً لأقدامه واضحة على الجليد .. ستكون فيما بعد محلاً للدراسة والبحث الطويل ..

مضى الكائن .. وبقي الرجل يلهث ، ويتنفس شهيق النجاة ..



كان الراعي الذي مر بهذه التجربة الصعبة وهذه الساعات العصية هو .. والد «تاترنج توركي» .. وهذا الأخير هو المواطن النيبالي الذي نال شرف تعلق قمة جبل (أيفرست) - أعلى قمة جبلية في العالم - في صحبة السير (أرنولد هيلاري) .. إن (تاترنج) وأهالي (الشربا) يعتقدون اعتقاداً قوياً في هذه القصة .. إذ إن الكثيرين من قاطني جبال (نيبال) قد رأوا المخلوق الغريب .. أو - على الأقل - يؤكدون أنهم رأوه وسمعوا ندائه العجيب ليلاً .. لكن السؤال ما زال معلقاً بلا إجابة : هل مخلوق الجليد هذا ، كائن حي أم مجرد أسطورة مثل أي أسطورة أخرى وهمية ؟ وسبب هذا السؤال بسيط جداً : أن أحداً لم يتمكن من الإمساك به (البيتي) حتى الآن .. أو حتى تصويره .. لكنه موجود حقيقة .. هذا ما يؤمن به (تاترنج) وباقي السكان الأصليين .. لكن - العلماء كهؤلاءهم - يتكلمون على حتى مجرد فكرة وجود مثل هذا الكائن .. ومع ذلك - أيضاً - لا يمكننا أن نأخذ ما قاله (تاترنج توركي) على محمل الخيال ، لأن معظم متعلقين

الجيال والمستكشفين الأوروبيين مقتنعون بوجوده .. فالسير «جون هانيت» مثلاً (وهو رئيس البعثة الكشفية عام ١٩٥٧ م إلى قمة إيفرست) .. رأى آثاراً في الجليد .. وهذه الآثار كما يقول - لا يمكن أن تكون لإنسان .. فهي تسير لمسافات بعيدة .. ويقول (هانيت) : إن هذه الآثار لو كانت لإنسان - كما يعتقدون - لسارت في خط مستقيم .. فتلك هي الطريقة المعروفة لمتسلق الجبال .. والمتسلقون والباحثون يعرفون هذا جيداً .. لكنهم لا يصدقون .. لكن من يصدق (هانيت) ؟ لابد من دليل ..

بعد ذلك ، وعلى مر السنوات ، ادعى آخرون أنهم رأوا آثاراً على الجليد ، نفيه آثار الهندي الأحمر وهو يتعقب فريسته في الصيد .. وخلف هذه الآثار ساروا .. لكنها ما لبثت أن اختفت في المناطق الغير مقطاة بالجليد .. انتهت بهم إلى .. لا شيء .. وظلت الحال هكذا ، حتى تمكنت البعثة الكشفية من اكتشاف آثار للمخلوق الأسطوري وهو يتزحلق على أرجله الخلفية (كأي متزحلق عاهر على الجليد - وكانت قدماه هما الزحافتين) .. وكان - وهو هكذا - يجرف الجليد بيديه القويتين .. وانتهت تلك الآثار كما سبقنا .. إلى لا شيء .. ومع كل هذا الكم من الآثار ، لم يعثر أحد على دليل ملموس على وجود رجل الجليد .

في البدء كانت الأسطورة

تحكى بابل القديمة قصة خلق مختلفة عن الرب الأعظم «ماردوك» الذي قتل
الأم العظيمة وقطعها إلى قسمين ألقي أحدهما إلى أعلى فتكونت السموات
وودفن الجزء الآخر تحت قدميه . فتكونت الأراضي في العالم . وقصة صينية
قديمة تقول أن بيضة كبيرة بحجم الكون ، بداخل هذه البيضة مزيج من
المتناقضات (إناث وذكور، بارد وحار .. إلخ) ثم خرج من البيضة مار د عطاق
اسمه «فان كوه» وكانت تزداد قامته عشرة أقدام في كل يوم ، حتى بلغ طوله
عنان السماء ؛ فخلق جميع الأجسام السماوية مثل النجوم والشمس والقمر
و .. إلخ بعدها نحت في الوديان والجبال بعدقة ذات رأس خشبي ، وعندما
مات قال كو تحولت الحشرات والبراغيث التي كانت تعيش في شعره إلى
آدميين . وولدت أنثى الغراب توأمين وهما أول من خلق في العالم ، وذلك
ما تقوله قصة بداية الخلق في شمال شرق سيبيريا ، وحسب مزاعم هذه القصة
فإن زوج أنثى الغراب ذهب في رحلة طويلة لخلق الجبال والوديان ، ثم نزل
على العالم وصنع من بوله جميع الأنهار والبحيرات في الأرض وبعد فترة ظهرت
أنثى العنكبوت وولدت السيدات !

يؤمن البوذيون بأن الكون يخلق وينتهي ثم تعاد عملية خلقه مرة أخرى .
خلال الأزمنة المختلفة ، وفي بداية كل دورة لخلق الكون لتكون الأرض في
الظلام ، على سطح الماء وتظهر على الأرض المخلوقات الروحانية والأشباح
وهي أول ما خلق على وجه الأرض ، ويتم خلقها من جديد ثم تأخذ كل واحدة
من هذه المخلوقات شكل الإنسان وبدأ الخلق الإنساني في التناقل ثم يخلق

بعد ذلك عهد السعادة والشقاء الذى ظل مستمرا إلى يومنا هذا . وبعد فترة زمنية يذوب الكون وينتهى وتعود الكائنات الحية إلى روح الحياة لتبدأ الدورة من جديد . و«بوروسا» هو أول رجل خلق على وجه الأرض فى أحد اعتقادات الهندوسيين بشأن قصة الخلق . وجسم «بوروسا» يمثل الكون حيث كوكب الأرض هو الجزء الأسفل من هذا الجسم بينما السماوات هي الجزء الأسفل منه ويمثل الجنس البشرى أجزاء مختلفة من جسد «بوروسا» : فذراعاه هما المحاربون وساقيه هما عامة الشعب . أما قدميه فهما الفلاحون والخدم . ويقول الكتب الهندوسية المقدسة القديمة أن الكون تكون عن طريق عملية تنفس الإله «فيشتو» فعندما شفق «فيشتو» تكوّن الكون . ومع كل زفرة من زفراته تبعث المخلوقات الأدمية على أشكال حيوب صغيرة . ثم تتحول مع مرور الوقت وتأخذ الشكل الأدمى . أما الديانة الجينية وهي ديانة هندية قديمة لها كتابها المقدس الخاص وتؤمن بأن العالم المادى أبدي يتقدم على فيه دورات واسعة المجال . وقصة نشأة الكون التي تؤمن بها هذه الجماعة تقوم على فكرة رفض فكرة الخلق من الأصل ! إذ يؤمن أبناء هذه الديانة أنه لا يوجد مخلوق في هذا الكون قادر على الخلق وبأنه غير منطقي أن يخلق رب مرئى هذا الكون المادى وأن هذا الكون مخلوق من تلقاء ذاته أى أنه قد خلق نفسه بنفسه منقسم إلى ثلاثة أقسام (جنة ونار وأرض) والأخيرة هي التي يعيش عليها الكائنات الحية .

أما عن اعتقادات السريانيين والوثنيين فقد آمنوا بالإلهة الأم التي قُسمت بحمار وأنهار العالم إلى قسمين . الأرض والسما . وبعد عدة عصور بدأت الشعوب تؤمن أن خالق الكون هو رجل وليس امرأة ويطلقون على هذا الإله

زوج الإلهة الأم، وكان يتشكل في بعض الأحيان في هيئة ثعبان، حتى ظهرت بعض الديانات النوحية ونجحت في القضاء على فكرة تعدد الآلهة هذه في أماكن متعددة. وتحكى الكثير من القبائل في جنوب غربي أمريكا عن قصة بداية الخلق، حيث يعتقد هؤلاء أنه قد عاش أسلافهم لثلاث السنوات في عالم الأرواح، في الظلام، ثم بدءوا في الظهور على سطح الأرض لرؤية الشمس للمرة الأولى. ومن أشهر قصص خلق الوجود عندهم هي قصة الإله «ناخايو»، وهي تدور حول الحشرات التي كانت تسكن في أدنى ثلاثة عوالم من العوالم الستة، ثم حدث أن طردتهم الآلهة ليسكنوا في العالم الرابع، وهناك انقسموا إلى قسمين ليبدأ ظهور أول رجل وأول امرأة في العالم. ثم صعدوا مع آبائهم العشرة فوق شجرة كبيرة بالعالم الخامس، وهذا هو العالم الذى يعيشون فيه الآن، وهناك بدءوا في خلق الجبال والنباتات وفي النهاية أحضروا الآلهة ليشتركوهم الحياة في العالم الخامس.

وعلى الرغم من تأسيس جميع الاعتقادات المسيحية على تعاليم المسيح
والقديس «بولس» وبقية القديسين ، إلا أن اختلافات واضحة وعديدة عن
المفهوم الأساسي للتوراة ، ويؤكد بعض علماء الدين أن ثمة تباين بين اعتقادات
المسيحيين المحافظين والمسيحيين التحرريين . لدرجة اتباع كل منهما طريقاً
مختلفاً عن الآخر . ويصف سفر التكوين خلق الرب للكون بالترتيب ، ويعلق
صاحب الفضيحة «جيم هاردينى» بدير جنوب أيداهو المعدادى على هذا
قائلاً : «لقد خلقنا الرب ، ولم يخلق أحداً مصادفةً ووجودنا هنا لم يكن مجرد
عملية انتقال من شكل حيوانى إلى آخر وكما يقول الرب فى سفر التكوين أن
كل مخلوق تم خلقه بنظام معين وأن الإنسان خلق فى يوم واحد والحيوان

خلق في يوم آخره . ولقد دارت مناقشات عديدة بين المسيحيين المحافظين حول مفهوم كلمة (اليوم) في سفر التكوين ، فهل هو اليوم الذي يتكون من أربع وعشرين ساعة أم مدة أخرى لا يعلمها إلا الله ؟ ويعتقد علماء الدين أن هذه الكلمة لها العديد من المعاني طبقاً لمواقعها في سفر التكوين . ويؤمن معظم المسيحيين المحافظون بقصة الخلق طبقاً لما جاء في سفر التكوين ، ففي حالة عدم ثبوت صحة هذه القصة، سوف يثبت عدم صحة بقية القصص الأخرى ، مثل جنة عدن وخروج الإنسان من الجنة ، والعزلة بين الإنسان وربه ، ومن الممكن أيضاً أن ينفي هذا قصة صلب المسيح وبعثه . وقال بعض العلماء المسيحيين في ذلك : «إذا لم تؤمن بكلام الرب في سفر التكوين فلا تؤمن بالديانة المسيحية كلها» والتشكيك في صحة سفر التكوين يعتبر إهانة للخالق نفسه ، ومن هنا تأتي حرية الرجل في تمجيد نفسه لأخذ مكان المسيح نفسه إذا أراد .

وعن الطوائف البروتستانتية التحررية فقد شجعت الكنائس المنتمية لهذه الطوائف نظرية التشوه والارتقاء لعشرات السنين ، وعلى الرغم من وجود العديد من التفاصيل غير المفهومة عن وجود العديد من الفصائل والسلالات على كوكب الأرض ، إلا أن العلماء والباحثين قد استطاعوا الاتفاق على نظرية واحدة لنشأة الكون ، فالكون قد بدأ من عشرين مليون سنة عندما حدث انفجار عظيم فصل النجوم عن الشمس ثم خرج كوكب الأرض وبقية الكواكب الأخرى من أحد التجويف ثم ظهرت بعد ملايين السنين أول أشكال الحياة البدائية على سطح الأرض ، وتطورت هذه الحياة حتى ظهرت العديد من الفصائل التي نراها الآن بما فيها «البشرية» وهكذا نجد بعض التحرريين على اقتناع بقصتي

الخلق المذكورتين في سفر التكوين (الإصحاحين الأول والثاني) ونجد البعض الآخر يراها مجرد أساطير . أما الطوائف البروتستانتية العتشددة فلا يعتقد بعض أعضائها في نظرية النشوء . بينما يعتقد البعض الآخر أن الرب هو الذي خلق الكون من البداية ثم استخدم نظرية النشوء والارتقاء فيما بعد . كذلك يعتقد الكثير من اليهود في نظرية النشوء والارتقاء ولكن مع بعض الاختلاف . فاليهود الأرثوذكس لا يؤمنون بهذه النظرية . ويقول (رابي بيني زبيل) مدير أرثوذكس مينا نايم إنهم لا يعتقدون في مثل هذه النظريات . فعندما خلق الله الكون في ستة أيام خلق المخلوقات الحية في هذا العالم كاملة النمو فلم تمر بمراحل نمو وتطور مختلفة كما تزعم نظرية النشوء . وأخيراً ففكره الإسلام عن خلق الكون واضحة وصريحة وهي تعتمد على ما ذكره الله عز وجل في كتابه الجليل ، القرآن الكريم بأنه سبحانه وتعالى هو الخالق الأوحد للكون بكافة مخلوقاته وموجوداته ثم استوى على العرش .

حلم ليلة خوف

(قصة قصيرة)

ظهر الأربعاء وصل إلينا خبر رجوع شكشير ، وأنه ما يزال مريضاً . لم يكن به شيء . حارس الدائرة الصحية كان قد ذكر أنه بقي نائماً منذ البارحة وإلى الآن ، وأنه كلما أفاق من نومه لحظة راح ينظر فيمن حوله بوجود مذهبول .

كما نلتف حوله في غفوته الطيبوية الغامضة ، عندما قال الطبيب :

« لعل ما أذاه هو استخدام أصابعه أكثر مما يجب ! »

تمتم (هوراشيو) بجوار أذنى :

« إنه الضجر ولا شيء آخر ! »

أما أنا فغيت في هيئة الموقف وحذفتة العلاج وتأويل الفوم ولم أعلى بشيء .

أشاح وجهه عنها وصوته المعدنى يغادر اليهو معه :

« كل شيء يغير وسينتهى بشكل جيد . »

راودها حين لحظى سرعان ما تلاشى وهى تحاول تفسير غضة الطرف

وسقوط جفنه المصنوع من ورق الألمنيوم ، وإذ ذاك تساءلت : منذ متى

والآلات تشعر بالحرج أو بالرغبة فى تبرير ذاتها ؟ لكنها أقنعت نفسها بأن ثمة

الكثير مما يمكن فعله بشأن لا شيء .

هذا المشروع الطموح الذي قدّمه الحاج للمجلس الأعلى وقدم معه
الأوراق الشارحة للفرض منه : صنع الرجل الآلى الأليق القادر على العيش وسط
عشيرة السيد القيرونى . هناك اختبأ ذلك الإقطاعى المجهول عشرة أعوام كان
قبل أن يكشف الرعاع أمره و يذبحوه ويصلّوا بجثته ، لكن السادة هنا يريدون
الكنز الذى كان معه عندما فر . بالصندوق عليه من نحاس أرضى وبالعلة ذل
الشيء المسمى (فينوس) . لا أحد يعرف ما هو ولماذا أطلق عليه هذا الاسم
البشرى ، ولماذا أنتوى بالذات . قدّروا أنها جوهرة باهرة الجمال لصغر حجم
العلة كما فى الأقاويل ولحرص السيد عليها كما تأكد عرازا . إذ سمع عن بعض
معاصريه أنه كان يحفظها فى حق من صفيح بين ثياب ثيابه فى الحظان
وفى الغزوات حتى إنهم عزوا انتصاراته المستمرة فى معارك غير متكافئة إلى
تعويدة خاصة مضمرة بالجوهرة ، وقال ميكانيكى ماهر مرة بحماس : إنها سر
نشاطه الخارق وهمته ! وأورد شاعر هيندى هذه القصة : أن خادمة فى قصر
تسلّت إلى جناحه وعن باب مخدعه الموارب اختلست النظر فى ليلة زفافه
على سبيل العبث الحاجن فسمعت الأميرة تتوسل إلى مليكها بفنح ولهفة أن
يربها سره . كان السيد يولى الباب ظهوره العملاق فلم يظهر من العروس إلا
القليل . ونقسم الخادم أنها سمعت الأولى تشهق إكباراً أو جزعاً حتى إن وجهها
توهج بحمرة نارية وسقطت راحة أمام رب القصر . وفى الصباح لم يه
للأميرة وجود ولم يكن لأحد أن يسأل . قيل فى تلمة ضعيفة أن الخادمة نفسها
تمكنت من رؤية الجوهرة الفريدة وقصّت ما رأت تفصيلاً لعبيها الشاعر الذى
أهمته الدرة بعشرات الأبيات !

وكانت كلمة الشيخ «زبير» هي القول الفصل : «من حكمة الخالق أن يتحقق
الكون من ميازيب نقطة واحدة يرجع إليها في ختام الأمر، وأن يختفى هذا
المركز المفلز في جعبة من لا يستحق . فيظل باب الجهاد والاجتهاد مفتوحاً
ليحقق الحق» .

هام مریدوه بالمعنى الغامض الملتبس وشهد أصحاب الهمم من صلاتهم
جل النشاط لكشف السر وانتزاع حجر الأسرار من اليد الكافرة .
في القاعة التي تلي حجرة الشيخ اجتمع السحرة والساسة وخبراء الحاسوب ،
ونائباس من الكلمات المباركات وبرضا أصحاب النفوذ وبعماس أهل العلم ،
كان الاتفاق والقبول على خلق المخلص الرسول : شكبير .

في الأول كان كاليضة الكبيرة بحجم صبي المصنوعة من المعدن . تخرج
مياطقة من الأسلاك ومجسات تقوم مقام الحواس في الجسد البشري . ثم
أضحت البيضة كرة في حجم التفاحة زرعوها فيها الآلاف من محركات البحث .
سأل أحد التلامذة : فكيف يبحث عما لا يعرفه ؟ وكانت الإجابة هي تطعيم
الجسمة القصدية بشريحة موجزة لتاريخ الأمم . تتمم صدق الشاعر وكان
يعمل بالمختبر : هذا هو الجسد وهذا هو اللب . فأين القلب ؟ . وجاءه
الجواب : إن ذلك هو محركه . سوف تكون الجوهرة هي قلبه .



في صبيحة يوم عاصف جهزوه لمهمته . وسط متفرجين من العلماء
والصانعين . وحشد من الممولين والمتشككين . وما بين خيبة أمل وشعاع
توقف (شكبير) فور خروجه من رحم التجريب وبدء دخوله مسرح البحث .
أما الخطأ ؟

في مركز القاعة وتحت ظل . استقر جسمه المعدني المطعم بالشرائح
الدقيقة والمحاط بالأملاك . إذ قال قائل :

« أكثر سكان المناطق المحيطة من الرعاع ومن الطبيعي أن يفزعهم منظره .
لسوف تكون محظوظين لو لم يدفنه أحدهم بهراوة خشية أو يفتك به . »

« دعك من النوص الغاية الذين سوف يفككونه إلى عشرات القطع طمعا
في بيعها إلى مهندسي البرج » .

« هؤلاء السادة لن يفتحوا له أبواب قصرهم العتلاق إلا لتحويله إلى
جهاز منزلي لا قيمة له . »

وكان أن تم اللجوء إلى فنانين ومضامين ديكور متقاعدين لتغيير هيئة
بالكامل لتقارب الشكل البشري . أما الرولق الخاص بجمجمته المتألقة فقد
داروه خلف قناع من وجه صاحب مريض وشاربين رقيقين وعينين نصف
مغلقتين وفروة رأس مشفرة . والبسوة كما يلبي البسطاء .

تتسلى الصناعات الصعداء وهو يجتاز الريف . وخفت حدة الساسة إذ جلب
إليهم العلماء الإشارات التي يرسلها (شكسبير) تنبئ بتخطيه الغابة ودخوله برج
المهندسين .

لكن الشاعر وقف أمام صديقه الميكانيكي وهمس :

« يا للإنسان ! يفقد سر وجوده في الرجل وبين الدهماء ثم يخلق عليه

من الجماد ليحتر عليه ! »

وبين يدي الشيخ (زبير) يتمتم أحد مريديه :

« طال الوقت يا سيدي ! وأخشى أن يكون الأمر كله مجرد لعبة » .
 ونأمل القائد العلي الأفق الأرجواني من نافذته العملاقة حيث غربت مئات
 الشمس وقال لشخصه في يأس :
 « يا لها من مزحة كافرة ! »



اختفى لسنوات ومات المشروع وبين الحين والآخر يتساءل أحدهم عن
 مصيره ، فيقول البعض أنه قد فسد كأي آلة لهذا توقفت الإشارات التي كان
 يربطها بالنظام حتى توقف المختصون عن متابعتها ، وتولي ابن القائد مقاليد
 الحكم بعد شيخوخة الأب ، فبدأ نظامًا جديدًا أنضى حل المجلس الأعلى
 وبحكم كبير العلماء كأول الاستشاريين بدلًا من الشيخ (زبير) الذي اعتزل
 مع قلة من تلامذته وسكن الخلاء حيث سأل أحدهم وهم في جوف جبل عن
 حكمة ما آلت إليه تصارييف القدر ، فأجاب وفي عينيهِ برق مطلقاً :
 « البحث عن الجوهر يقتضي أن تصل والبحث عن الحق يقتضي بأن تتصل ،
 لما الحقيقة فمن غيبتها على أصحابها هي قاطعة من وصلها ، وأصلة من قطعها » .



وجاء من أقصى الغابة رجل يسعى ومعه نبتة غريب ، كان صديقًا لخدم تم
 طرده من برج المهندسين ، يقول إن (شكبير) يحيا مع الأكابر والسادة ، إنه
 حي كثر ، وتزوج من البشر ، وهو ممن يشار إليهم بالبنان .

تفخر الحماس في قلب الشاعر فأنشد سوناتا هائلة تفتوح أن شكبير قد
 تفر على الجوهرة المقدسة وعرف أنها هي قلبه وتمكن من وضعها في المكان
 الصحيح بصدرة فشح بالحياة (بالخلود ؟)

لكن دولة العلم التي أقامها القائد الابن حظرت التفوه بهذه الخزعبلات واعتبرت من يشيع ذلك بين من الناس هو من الخوارج المارقين .

قالوا إن برج المهندسين قد تحول إلى قلعة للعازفين والرشامين بعد أن قل اهتمامهم هناك بالتجهيز العسكري . تبدل مدهش عزاء الشاعر (وهو مخمور في جلسة سرية) إلى شكبير ، تغير عجيب دفع القائد لفكرة مجنونة بغزو البرج وأبشع جميع مستشاريه بأنها نهاية دولتنا .

أما الحادث العجيب فهو خبر حنين شكبير المفاجئ إلى أهله ومعه هناك من العودة من ثم تسأل سرًا لياخذ درب الرجوع بين الغابات والقرى . أما هنا فلم يكن هناك مخلوق في استقباله .

اللهم إلا شاب من مريدي الشيخ (ذبير) فهم الدرس ووعاه ، لكنه فر من خلوة الجبل في ليلة ثلجية عاصفة ، وبالبحث والاجتهاد والتخفى عن أعين الرقباء عثر على جسد شكبير مطمورًا بالثلج . فأحضره إلى مكان اجتماعنا الخفى .

عندما سقطت الثلوج الأولى لم يعد يرى ، أشعلنا له المدفأة ورأينا النساء يجلسن يقربها يقرآن . وعندما سقطت الثلوج الثانية والثالثة ، لم يعد في إمكان شكبير أن يحرك أصابعه .

تحت سطح البحيرة

في القرن الأول الميلادي كانت المرتفعات الشمالية في اسكتلندا مسكونة بقبائل متوحشة يطلقون عليها الملونين لأنهم كانوا دائمًا ما يضعون وشمًا هائلًا على أجسادهم ، كان ذلك في الوقت الذي وصل إليهم فيه الرومان ، هذه القبائل كانت تعبد الحيوانات وترسم صورها على جلود الوجه والبطن ، كانوا محترفين بالرسم كذلك ! إذ وجد الرومان هناك لوحات جدارية بالكامل أغربها كان للوحش الغريب !... وحش لوح نيس ! هي بحيرة نيس والرسم كان لوحش أسطوري له زعانف مكان الأقدام . كما أن لديه خرطومًا طويلًا يتدلى من أنفه ، حتى إن بعضهم قال إنه ليس إلا فيلاً يسبح في البحيرة !

ويبدو أن قبائل الإسكتلنديين القدامى كانت مفرمة بفكرة الحيوانات الخرافية السايحة في المسطحات المائية ، فهم لم يتركوا نهرًا أو بحرًا دون أن ينكروا له وحشه الخاص بدءًا من أسطورة فرس الماء (كيلبي) والتي تتكلم عن مخلوق عائل شبيه بالحصان يسكن النهر ويحاول إغراق كل من يحاول الاقتراب ، وغالبًا ما يكون هؤلاء الضحايا ثم من الأطفال فهو يتودد إليهم محاولًا إغراءهم بالركوب على ظهره ، ومن تلتصق بأيدي الطفل بالوحش الذي يقوص به إلى عملاق الماء حتى يموت غرقًا .

لما وحش لوح نيس فقد ورد ذكره للمرة الأولى في يوميات القديس «كولومبا» عام 565 ق.م وكان من أوائل من نادى بالديانة المسيحية في اسكتلندا يروي هذا القديس أنه كان في طريقه لزيارة زعيم قبائل الملونين عابرًا بحيرة لوح نيس ، فرأى وحشًا عملاق الحجم يوشك على الشك بشخص يسبح بالبحيرة ،

فأخذ القديس يتضرع إلى الله ويأمر الوحش بأن يتجهب إلى حاله ، فالتفت
الوحش له وفر السابح .

إلا أن البداية المعاصرة لأسطورة وحش لوخ نس تبدأ مع عام ١٩٢٢ عندما
تم إعداد أول طريق تمالي عند شاطئ البحيرة ، وقتها بدأت المشاهدات
العجيبة في شهر أبريل على وجه الدقة ، عندما لاحظ «جون هاكي» - صي
فندق «رمادروثيت» - وزوجته كاشفا ضخما يطفو ويخطس فوق سطح البحيرة .
تلك الواقعة نشرت وقتها في صحيفة (انفرنس كورير) وكانت أول من استخدم
لفظة وحش لوصف هذا الكائن .

بعد نشر هذا الخبر تحول لوخ نس إلى نجم ! ففي شهر أكتوبر من العام
نفسه صارت اسكتلندا قبلة للإعلاميين والصحفيين الوافدين من لندن لبر
أغوار الوحش الفاض ، حتى إن سيرك «برايتون» الإنجليزي أعلن عن مكافأة
مقدارها مبلغ ٢٠,٠٠٠ جنيه إسترليني (وحدو مبلغ هزيل في عام ١٩٢٢) لمن
يتمكن من القبض على هذا الوحش . وبلغ الهوس مداه في ديسمبر من نفس
العام ، عندما طلبت جريدة «ديلي ميل» صيادا محترقا - «هارمادوك ويزريل»
لقنص الوحش الذي حير الجميع ، وأعلن «ويزريل» اكتشافه لأثار أقدام بالغة
الكبر لكائن ذي أربع أصابع ، بعدها منع هذا الصياد قاطبة عن المصيص للأقدام
الوحش وأرسله إلى متحف التاريخ الطبيعي بلندن لمقارنتها بما لديهم من
مراجع الحيوانات المنقرضة ، وأثناء انتظار نتيجة البحث احتشدت المنطقة في
المحيط بالبحيرة بالسياح ومطاردي الشهرة والصحفيين ، ولكن لخيبة أمل
الجميع ، جاءت نتائج البحث الذي أجراه عدد من العلماء تفيد أن أثار الأقدام
التي أرسلها «ويزريل» مصنعة ولا تنطبق على أية أثار لحيوان منقرض
وهكذا عاد الجميع خائبين إلى الديار .

لكن موضوع الوحش عاد من جديد مع الباحث المتحمس «روبرت توماس جولد» الذي مسح قناة كاليدونا بالموجات الصوتية (السونار) ليكتب ثانياً لهم كتاب عنه (الوحش : الأسطورة الجديدة) عام ١٩٣٤ والذي رصد فيه ٥١ رؤية للوحش مع تحليل تلك الرؤى لإثبات وجود الوحش . ثم جاءت الطبيبة «كريستال وايت» التي اتخذت منهجاً جديداً في البحث إذ بدأت بجمع المشاهدات من الأشخاص الذين رأوا الوحش وتدوين الملاحظات الخاصة ومقارنتها ببعضها ثم كتبت عنه كتابها المهم «ليس مجرد أسطورة» . وكانت هي من أطلق عليه اسم التذليل الذي ظل يرافقه حتى يومنا هذا ... (نيسى) !

بعد ذلك ظلت الصور تنهال على الصحف من التي النقطة المشككين وأهل البلدة للوحش ، وبالطبع كان أكثرها ملففاً أو غير واضح بشكل كافٍ ربما لعدم الوحيدة منها التي يمكن الثقة في مصدرها هي التي النقطة الجراح البريطاني «جونا الكيت ويلسون» .. هذه هي الصورة (المعتمدة) الوحيدة لوحش لوغ نيسى وهي التي تراها في كل كتاب وكل مجلة تتحدث عنه أو في أي موقع على شبكة الإنترنت يناقش مسألة هذا الكائن الغامض ، ويظهر فيها الوحش يرفع عن سطح البحيرة برفيقه المديبة عند الرأس وعلى كل حال فقد حاولت أكثر من جريدة التشكيك في دقة الصورة التي تم تسميتها (صورة الجراح) !

كانت آخر المحاولات لكشف حقيقة هذا الوحش هي التي أجرتها محطة «بي بي سي» عام ٢٠٠٢ عندما مسحت البحيرة بالسونار وبأجهزة أخرى أكثر تطوراً مما كان في ذلك التي تم استخدامها في عام ١٩٣٣ وكانت النتيجة المعتمدة : لا أثر ! إلا أنه وحتى هذه اللحظة يعلن أحدهم من وقت لآخر أنه رآه وأنه قد التقط له صورة كذلك ، ولكن .. تظل الحقيقة متوارية مع الوحش المجهول تحت سطح البحيرة !

المقبرة

مترجمة عن قصة ل . هـ . ف . لافكرافت

كيف أحكى لك قصتى وأنا فى مثل هذه الحالة الصحية ؟ بالطبع سون تشك فى صحة أقوالى . لاسيما وأنا محتجز فى مصحة الأمراض العقلية ! إنه لواقع مؤلم حقاً أن أكثر البشر ذوى عقلية محدودة الذكاء وبصيرة فقيرة يجعلهم يحكمون على الأمور بدقة وصير . الأمور التى أعينها هى الظواهر التى لا تراها وتحس بها سوى قلة من مرهضى الحس ومفرطى النزعة النفسية . الرجال الأكثر وعياً وثقافة يعلمون أنه لا حد بين بين الحقيقى وغير الحقيقى . وأن الظواهر لا تبدو كذلك إلا من خلال إدراكنا ، لكن الفكر المادى الغالب يجعلهم يرون وجهات النظر الثاقبة للحجب ضرباً من الجنون .

أنا (جيرفاس دودلى) ، تملكتنى الرؤى الحالمة منذ السنوات الأولى للطفولة ، كان لدى المال فوق ما احتاجه وزيادة . ولم أكن ذا مزاج يمكننى من متابعة نظام دراسى واحد أو الانخراط فى حياة اجتماعية عادية . لقد أضيت فترتى صباى وسن مراهقتى مع كتب قديمة من مصادر مجهولة وأنا أقيم على وجدان فى الحقول قرب مسكنى . يخيل إلى أنى لم أر أو أقرأ فى هذه الكتب ما كان فى الراى يرون ويقرءون . على أية حال لا ينبغي أن أصرح أكثر . لأن ذلك من شأنه أنه يشير فى الأذهان من جديد الشك فى قواى العقلية . حتى أن المص علمهم ما حدث ولا أحاول تفسيره .

قلت أنني عشت في ركن قصي عن العالم المرنى . لكنى لم أقل أنني عشت وحيداً ، فما من مخلوق قادر على هذا . وبجوار بيتى يوجد واد مشجر بحيث أن أجوب ظلماته ، أفكر وأتخيل وأحلم . نزلت على منحدراته ووضعت خطواتى الأولى طفلاً وترعرعت أحلام صباى . رأيت جنيات الحدائق وتأملتهن فى رقصاتهن الحميمة بين الأشجار ، مع الحوريات تحت أشعة القمر الباهتة . لكنى لا أتكلم عن الوادى أو الجنيات أو الحوريات ، بل عن قبر (هيدز) المتواجد فى ظلمات الأشجار ، المهجور المشهور لأسرة عريقة مات آخر أحفادها قبل مولدى بدهور .

من جرائت عتيق هو . حال لونه بفعل الرطوبة والبخار على مر السنين . طر فى جالب الجبل بحيث لا تراه إلا من مدخل الباب هو قطعة من الحجر تحرك بمفصلات قديمة صدئة . قد أبقى نصفه مفتوحاً فى موضعه بجنائز مدينية عملاقة كما جرت العادة منذ نصف قرن . دمرت عاصفة قمة الضريح عند أعوام وأعوام . ولهذا تسمع الناس يتهايمون عن غضب الرب ، مما أشعل ماضى وأثار فضولى لمعرفة ساكن القبر . آخر أحفاد (هيدز) الذى جاءت بقاءه من مكان قصي ، فلم يبق من يضع أزهاراً على المقبرة ولا يجرؤ أحدهم على اجتياز الدغل المظلم الذى يحيط بهذه الصخور . ولن أنسى عصر ذلك اليوم الذى اكتشفت فيه وجود بيت الموت هذا فى منتصف الصيف عندما علمت الغابات كلها كيان واحد من الأخضر العظيم . فى جو كهذا يفقد العقل ملكه السليم ويصبح المكان والزمان أوهاماً . كنت فى الوادى المقبم أهيم ، أتحلى فى رياضه الغامضة ، أتناور مع أشياء لا أذكرها وأضحك لدعابات لم أراها أحد . كنت أمضى بين صفيين من الأشجار عندما وجدت نفسى أمام

القبير . لم أعرف ما هو . كانت هناك أجزاء جبرائيلية ذات نفوس جنائزية
مفترسة ، لكن الخوف لم يهاجمنى ولم أشعر بطلق أو توحش ، بل سيطر على
الفضول المطلق ، ذلك الفداء المجهول يخبرك أن تجتاز الممر وتعبير المدخل
ورغم الجنائز التي توضحه ، فحاولت حشر جسدى بلا جدوى فى الشق
وعدت للدار بخصى لكنى أقسمت أن أعود ومعنى طريقة لاجتياز المدخل
علبياً نداء الظلمات . والآن يقول الطبيب ذا اللحية الرمادية الذى يزورنى يوم
فى غرفتى إن هذا الفرار يعكس هذياناً وميلاً قاسياً للتوحد ، لكنى سائر فى
الفرار الأخير .

فيما بعد حاولت اختيار المدخل سراً . ورغم سنى الصغير قلم تدهنى بال
طبيعة الاكتشاف . كنت أقف بالساعات كل يوم حيال هذا الباب أمام ما يبدو
أنه درجات رطبة تقود لأسفل . رائحة المكان مقززة لكنها ساحرة رغم هذا . لى
وشعور العميمة كأنى أعرف المكان من زمن سحيق . ورحلت أرفع القبور غداً
بعد عام . وفى هذا الوقت كنت أقرأ أسطورة ثيديوس وعن الصخرة الضخمة
التي كان يزرع تحتها البطل - ليجد وهو طفل - قدره إذا تمكن من رفعها .
هذا حفنى وأقنعنى بأننى سأكتسب طاقة عبقرية تمكننى من فتح الباب
فوراً مما جعل الفكرة تزداد إغراءً ، خاصة بعد أن عرفت أن ثمة صلة قرى
بعيدة ضعيفة بين أمى وتلك الأسرة البائدة . وبما أننى آخر نسل أسرى ، ولما
آخر من أحمل دم هذه الأسرة البائدة . هذا جعلنى أشعر وكأن القبور قبرى لها
وسيطر على حلم المرور واجتياز حجب الظلام فوق الدرجات الرطبة وفى قعر
الأحراش وأصبح القبور مكانى الخاص والباب يابى . هنا جنتى وأحلام عمى
العجيبة .

جاءتني الرؤيا الأولى في ليلة شديدة الحرارة . لم أغف إلا من الإرهاق .
 لأنني سمعت أصواتًا وأنا بين اليقظة والنم . لهجات غريبة ونطق غريب
 ومصطلحات بلا تفسير كأنني أسمع الإنجليزية بكل لهجاتها منذ المستعمرات
 البريطانية . وأيضًا ظهر شيء غريب . ظاهرة فريدة لا أعرف كيف أصفها .
 عندما نهضت أن ضوءًا كان في المقبرة وقد أطفأه أحدهم بسرعة . لم أصب
 بالرب . لأنني كنت قد تغيرت كثيرًا في هذه الليلة . عندما عدت للبيت
 أخرجت المفتاح من الصندوق العتيق في العلبة . وتمكنت في اليوم التالي من
 فتح الحاجز الذي ظل عصيًا لدهور .

عندما دخلت القبو المهجور في ضوء العصر الناعم كالصحور ووجيب قلبي يكاد
 يداه يكون مسمومًا . أغلقت الباب خلفي ونزلت الدرج على ضوء شمعة وكأني
 أترك الطريق مسبقًا . الشمعة تفرقع بسبب الأبخرة الكهربائية . لكنني رغم
 ذلك طاشعت بالألف . الألواح منصوبة وعليها بقايا قوابيت . البعض مغلق وسليم
 والبعض كان أثرا بعد حين تساقطت مقابضها الفضية في التراب . وعلى لوحة
 من بين اسم السبر (جيفري هايد) الذي جاء من سوسكس عام ١٦٤٠ ودفن هنا .
 في تلك القابوت فارغ بلا جثة . لكنني قرأت الاسم المكتوب وارتعدت فرائصي .
 لما أخرجت بداخلي شعور من الخوف والغربة . فليسب غير واضح أعاني وجدتي
 لي أحد في هذا القابوت .

تحدثت القبو فجرا وأحكمت إغلاق باب خلفي . ومر ٢١ حريف نيفس فيها
 حتى قاتلني الفلاحون في دهشة وأنا أهرب سريعًا . ما إن استيقظ حتى
 أسمع الخبر كل ليلة لأسمع وأشاهد وأقوم بأفاعيل لا أذكرها . وكان أول ما تغير

هو كلامي . تغيرات خفيفة في البداية ، وقد لاحظت القوم أنني أستخدم كلمات
عتيقة منقرضة للغة منسية . وبدأت أنصرف بطيش ونزق وصار سلوكي جريئاً
أكثر من اللازم وأصبحت ذا دراية واسعة كراهب شاب وملئت صفحاتي
بأفكار بارعة من العصر القوطي وذات صباح رحلت أهدى بمرح على الإقطار
يشعر يقول :

مرحي بخيوط الشمس يا رفاقي

خيوط قلادتها بين إسار الغيوم

أملئوا الكؤوس وهيا فركض معاً

فوق زبي صافية

نتائق ونتاجق في لحظة سامية

افعموا الحواس في صحتكم

كيف لو يصيح هذا الخطو ذكري ؟

كلما غابت خلأني

جاءت الريح بأخرى

وماذا لو قتل الملك حسناواتكم ؟

ماذا لو دميت في حجر ك بكل الأسئلة ؟

أفضل أن أكون شاعراً رجيماً

على أن أكون وديعاً ميتاً

فحنانيك يا قاتنتي |

حنانيك |

قلت هذا بلهجة شعراء قرون ماضية كأننى فى حانة ، ولم أكن أبالى بهذا ،
 أصبحت أخشى الرعد والعواصف وأختبئ فى ركن بعيد بالعزل والسماء
 ترسل لعناقها الكهرية ، كانت صورة البيت العظيم يحترق فى العاصفة ، وأخيراً
 جاءت اللحظة التى خشيتها كثيراً .

لقد بدأ أبواي يقلقان من اختفاء ابنهما المتكرر وبدأ يتقصيان الأمر مما
 كان يتسبب فى فضيحة . لم أخبر أحداً بشيء عن المقبرة وحفظت السر فى
 صدري منذ صباي لكننى يجب أن أتخلى بالمزيد من الحذر الآن فلا أتوك خلفى
 إلا أثناء سبرى بين الأشجار مادام أهلى يتجسسون على . كنت أعلق المفتاح
 فى حلة على صدري ولم آخذ معى أى شيء أجده فى المقبرة . وغادرت
 المقبرة مرة والسلسلة ترتجف فى يدي حيث شعرت بمن يراقبنى بين الأعمدة .
 ليقت أنها التياية ، لقد انكشف أمرى وعرفوا مكانى السرى وانفضحت جولالى
 البلية . لم يباغتني أحدهم بكلام قرأيت أمامى المجال لأركض عائداً للدار كى
 أعرف ما سيقولونه عني لأبى الذى أرسل جاسوسه . سوف تعرف الدنيا كلها قصة
 لى الليلى للمقبرة الخطيرة . تصور أننى سوف أسمع الجاسوس يهمس فى
 أسمى أبى أنه ما ترك باب القبر وهو يحرسنى بالخارج ؟ أحتاج إلى معجزة
 أنظر بالإنجاة . لقد تلت المعجزة فعلاً من قبل فألقذتنى قوة خرافية ، هذا
 الخطر الهمنى شجاعة وأكسبني جرأة خبذات أعود للقبو خفياً عن الأنظار .
 بقلت طوال أسبوع كامل أنعم بهذه المنعة المختلفة عندما حدث الشيء ..
 فكما كتب على أن أنتقل إلى عالم كتيب ممل . فما كان يجب أن أجرب فى
 هذه البلية ، لأن الرعد كان بين السحب وثمة ضوء فوسفورى جهنمى ينبعث
 من المستنقع المدفون فى قرار الغابة . كنداء الموتى . وضوء القمر يشع على

الخرائب قرب الغابة ويضفي غموضاً على البيت . البيت الذي لني منذ نعوي
يعود منتصباً للعجان من جديد .

الشموع تزحم النوافذ ، وعربات تجرها الخيول تندفع على الطريق ومثل
المجتمع الارستقراطي يتجمعون عند المدخل . هل كنت مضيقاً لم
الضيوف ؟ لم أعرف . وفي القاعة موسيقى وثرثرة وضحك وخمر نملأ الكؤوس
عرفت بعض الوجوه . أكثر أصحابها تبعوا موتاً . زهو مرح سري في عروني .
أنا المجنون الأعزل . وفجأة دوى الرعد يفوق صوت السادة المعرّبين . فرب
السطح فأجفلت الأبدان . السنة اللهب البرقالية تلتهم البيت وصرخان هيا
انطلقت من أرجائه . فر الجميع واختفوا في الليل الحالك . وبقيت وحيداً
كالمشلول في مقعدى مسلوب الإرادة . واحتل رعب من طراز جديد عظمي
وسلب لني : لو احترقت وصرت رماداً فكيف أرقد في قبر آل (هايد) في البر
تابوتي ؟ في مكاني الطبيعي بين نسل سير (جيفري هايد) . لسوف يطلب
(جيفراس هايد) - أنا - بحقه في المقبرة !! وغاب الدخان والنار وشج الحياة
المحترق ووجدتني أصرخ بين ذراعي الجاسوسي الذي كشف سر فيري وخر
شعاع برق يسطع في الأفق الذي غطاه المطر . بينما أبي يصيح وجهه من
الخرى وأنا أصرخ مطالباً بحق في التابوت . وكان يطلب منهم أن يترنوا
وكان الفلاحون قد تجمعوا يحملون القوائيس يتلصصون ويحيطون بصدرة
أثري بان تحت أشعة البرق . توقفت عن المقاومة والتخلص وأنا أقدم
يفتحون الصندوق الذي دمرت ضربة برق أفعاله فرأيناه مملوءاً بثمانين وألف
قديعة لكن عيني كانت تبحث عن شيء بعينه : تمثال خزفي صغير لشاب أبل
عليه حرقى (ج. هـ) ويحمل وجهي .

في اليوم التالي وضعوني في هذه الغرفة ذات القضبان على النوافذ وأوصوا
 خادم عجوز برعايتي . أما ما استطعت أن أحكيه عن زيارتي الليلية للقبر فلم
 يجب سوى الشفقة . ولم ينقطع أبى عن زيارتي وقال لى ذات مرة أنى لم
 أخبر الجنزير على الباب قط وأقسم أن القفل الصدئ ظل سليماً كما هو . قال
 إن الغالخين يعرفون بأمر زيارتي الليلية ولكنى كنت أنام كل ليلة في التكهية .
 فماذا أقول وقد ضاع مفتاحى في الظلام في صراع الليلة السابقة ؟ ماذا أقول
 أبى يصر على أنها هلاوس بسبب قراءتى الكثيرة في مكتبة الدار ؟ لكن
 خادمى العجوز (حيرام) هو من كان يثق بى بينهم وهو الذى فعل الشيء الذى
 جعلنى أكتب هذه القصة الآن : قمض أسبوع قفل المقبرة ونزل بفانوسه للقاع
 وعلى لوح جرانيتى وجد تابوتاً مفتوحاً بلا جثة عليه كلمة (جيرفاس) . وعدونى
 أن أدفن في هذا التابوت .

انت بحمد الله . تم حذف الكثير من التجديف في حق الديانة المسيحية ،
 والقصيدة الواردة من نظم المترجم . ه . ح (

لعنة فاوست

سوف تدخل معي الآن بيت الشاعر الألماني العظيم (يوهان فون جيتيه). هذا البيت قد أهده له الدوق (كارى أوجست) والواقع أنه قد تم إعادة بناء هذا البيت في الحرب عام ١٩٤٢ وفي هذا البيت سوف ترى لوازم الفنان وأدوات الشاعر الملهم : زجاجات صغيرة، سواكل، عظام أسماك، كرات ورقية مخصصة لإجراء التجارب المتعلقة بعلم الألوان والأدوات الجهنمية ذات الطبع الشيطاني التي صاحبته أثناء رحلة كتابة ملحمته الشهيرة : (فاوست) ! وصفته مشنوعة من يومياته كتب فيها : «في الصباح انتهيت من المقطوعة الرابعة وأرسلتها للنسخ». فرأت (فروشموزلر) عن أنواع الحشرات : تجارب في الكهربية الجلفانية . في السماء مع (شيلر) : أثر العقل والطبيعة في سلوك البشر . ثم في الصباح المبكر صحبت قصيدتي . قمت بعمل تشريحان للضفدع . استراحة في الصباح في حديقة شيلر الجديدة . تحدثنا عن تخطيطها .. وفي ذلك أعدت النظر في المقطوعتين الأولى والثانية . في الصباح وضعت جدولاً للألوان . نعم . ما وصلك من هذا الجدول اليومي لحياته يؤكد لك أنه كان عالماً وفناناً بجانب كونه أديباً ، حتى إن بعض رفاقه قد لاموه على أنه لا يسمع من وقته لأدبه . فأجاب : «إن من حقي أن أعنى بشخصيتي وهي أكبر من أدبي !» (جيتيه) الفنان و(جيتيه) الأديب و(جيتيه) العالم لا يهديك الطريق لتصبح مبدعاً، بل يعلمك منهجاً مثالياً للحياة .. كان مثل (ليوناردو دافنشي) يمارس الفلسفة والنحت والرسم والهندسة ، يضع رسوماً وأفكاراً لمخترعات سبق معظمها عصره . ووضع نظريات في الهندسة والمعمار وتصنيفات في الجيولوجيا وكتب في الرياضة والشعر والفن .

كتب (جيتة) ملحمة الرومانسية (الأم فرتر) التي كانت سبباً في انتحار
 عدد لا بأس به من الشبان الألمان عند نشرها .. وملحمة الكابوسية (فاوست)
 من الرجل الذي ياع روحه للشيطان وغير ذلك كتب (محمد) و(أجمونت)
 و(الفارس ذو اليد الحديدية) و(بدوات العشق) و(فيلهلم ميستر) و(أجلتون)
 و(فرمان ودورتبه) وذكرياته التي كتبها تحت عنوان (الشعر والحقيقة) .. وعن
 اهتماماته المتعددة في الأدب والفيزياء وعلم النفس وقوانين الوراثة يقول :
 « إن أعظم ما مضى إليه المرء هو أن يهتدى إلى قانون شامل عام تنتظم به
 الظواهر والاستحالات في الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، لقد كان يزدرى
 لخصائص ويعتبر الحياة فلسفية يجب أن تتغذى بالثقافة ومختلف العلوم وأن
 يربط الحقيقة الأولى في هذا العالم هي التغير والاستحالة كما هو شأن الطبيعة من
 حيث لا تلبث الأزل (جيتة) علمنا أن نقرأ كل شيء وأن نجرب كل شيء وأن نمارس
 حب والسبابة وأن نختلط بالمجتمع وأن نعرف كل شيء . هل تعرف كم من
 الوقت استهلك لإنتاج (فاوست) ؟ .. ستون عامًا .. بدأ (جيتة) يضع أساسيات
 الجزء الأول منها في عام ١٧٧٠ ثم ترك هذه اللبنة الأولى وكان يعود إليها فقط
 بين الحين والآخر عندما يسقط عليه الوحي ، فلم يفرغ من هذا الجزء إلا في
 عام ١٨٠٦ ، ثم نشر الجزء الثاني في عام ١٨٢٢ .

ولمبدأ ملحمة (فاوست) بمشهد سماوي تتناقش فيه الملائكة حول مسألة
 وجود الإنسان ، يتميز بينهم (جبريل) و(ميكانيل) و(روفائيل) و(مفيستوفوليس)
 وهو الشيطان) شخصيًا ١ .. كل الملائكة تسبح بحمد الله وقدرته وحكمته ،
 (مفيستو) - هو الذي عصى واستكبر ورفض أن يكون لابن
 المخلوق من طين تلك العنزة عند الله ودعا عليه بالعنات وراهن على

« إن الحياة مليئة بالمباهج والمسررات، ويمكنك أن تنعم بأطيب الحياة » .

« ولكن كيف ؟ .. »

« لا تشغل بالك بهذا الأمر .. إننى صديقك المقرب ونديك الأيمن .

دعنى أرشدك إلى كل ما فى الحياة من متع وملذات . إننى خادمك وورث

إثارتك » .

وقيل أن يعد (فاوست) بهذا العرض يقدم له (مفيستو) شرطه الوحيد .

« أن أكون خادماً لك على الأرض، أطيعك طاعة عمياء ، وأبى لك كل

إشارة مهما كانت تافهة ، ولكن حين تكون فى العالم الآخر يجب أن ترد إلى

أجلى ! » ويكتبها وثيقة بهذا الكلام ويوقعها (فاوست) راضٍ ويعيش حياة

جديدة بغوص فى ملذات الحياة ومتعتها !

ويذهب (مفيستو) برفيقه (فاوست) إلى حان (أوربا) فى مدينة (البرج)

حيث لا ينقطع المجنون وهناك يقوده إلى مطبخ الساحرات ليعرضن عليه بعض

العشيم ، لكن (فاوست) لا يأبه بهذا غير أنهم يسحرن قلبه بحب فتاة ذات

جمال بديع لم ير من هى أكثر بهاء منها ويتعلق بها وجدانه ويصبح هدله

الوحيد هو أن يمتلكها . فماذا يفعل (مفيستو) إذا ؟ ألم يبرماً معاً اتفاقاً يقضى

بأن يلبى له كل رغبته ؟ .. حسناً يا دكتور (فاوست) سوف تمتلك جسد وروح

(مارجريت) وسوف تعرف من اللذة ما لم تعرفه من قبل ..

وعندما يهبط الليل يقفاد (مفيستو) صاحبه إلى حجرة (مارجريت) ويختبئان

حيث لا يمكن أن تراها الفتاة التى تدخل وفى يدها سراج وتبدأ فى خلع

فستانها وهى تغنى وما أن تفتح دولابها حتى تجد هوية من (فاوست) وهى

فستان جديد وقرط وسلسلة من الذهب !! يلتقي العاشقان وتسلم له نفسها
في الحديقة ويمارس معها الحب وتحمل منه سفاحا وهنا تبدأ الفصول السوداء
مأساة (فاوست) !

بينما يراقص (فاوست) الشتيات الجميلات في عيد الربيع حيث يراقص
(مفيستو فوليس) يلوح فتاة شاحبة الوجه باثة تقف وحدها في ركن بعيد
تتحرك ولكن ببطء بسبب قيود حديدية في قدميها ..

هل هي (مرجريت) !! إنها تشبهها إلى حد كبير .

وعندما رأى نظرة العتاب واللوم في عينيها أيقن إنها هي (مرجريت) ..
لكنها ليست حية .. إنها جثة تمشي على قدمين .. على رقبتها شريط أحمر
من حد سكين .. إنها السكين التي أعدمت بها لأنها قتلت ابن الحرام الذي
أنجبه من (فاوست) .. ويهتف (فاوست) بشيطانه : « لا بد من إنقاذها يا
(مفيستو) ! »

ولكن هذا الكلام لا يروق لإبليس .. فما معنى أن يستيقظ ضمير (فاوست) الآن ؟
هذا لا يسير في نهج الخطة التي وضعها لتكفيره .. فإنه إذا عاد إلى
(مارجريت) وأنقذها من مصيرها النعس لكفر عن خطيئته ولأصبح من الأبرار
ولخسر (مفيستو) الرهان ! فيهتف به (مفيستو) : « يا لكم من أغبياء أيها البشر
إنكم لا تزالوا ترسفون في الأغلال التي تشدكم إلى هذه الحياة .. تالوننا
نحن الشياطين أن نرفعكم إلى سماء فوق الحب والعطف والضمير وكل هذه
العواطف الحمقاء ، ولكن ما أن تسمو روحكم درجة أو درجتين حتى تخونكم
جديد إلى طباع جنسكم الحقير وتعودون إلى حياتكم الوضيعة مرة أخرى »

ويسقط في يد (فاوست) ولا يملك إلا أن ينفذ العقد المبرم . إن إبليس يفوده إلى القصر الإمبراطوري حيث يجلس الإمبراطور في قاعة العرش مع حاشيته وبين الحكمة والوزراء والقادة يجلس (مفيستو) الذي لا ينصح إلا بالشر .

يبدد الإمبراطور أموال الشعب ويفسد وزير المالية بالتالي ويجوع الناس وتنتشر الفتنة وتصل إلى جنبات القصر .

يقدم إليهم (مفيستو) النصيحة : « إن رجال الدولة يريدون إصلاح ميزانيتها ، فهم إذن يبحثون عن موارد جديدة ، الذهب والفضة متوفران ، ولكن المشكلة الحقيقية هي في سبل الحصول عليها . إن قلب الأرض يزخر بالكنوز والمعادن الثمينة والجواهر النفيسة ، والأرض ملك الشعب والشعب ملك الإمبراطور ، فكل ما يحتويه بطن الأرض إذن هو من حق الإمبراطور ، إذن فلنحمل كافة أفراد الشعب في التفتيش عن الكنوز ويمضى الإمبراطور في الاستمتاع بملكاته ، إلى أن تنك الكربة ويغتنى الجميع ! »

ولكن هذه النظرية الاقتصادية العبقرية تحتاج إلى رجل مهول العلم لينفذها .. فهل هنا غير (فاوست) ؟ .. ويعين الإمبراطور (فاوست) حارساً على خزائن الإمبراطورية وحامل مفاتيحها ومنولى الشؤون المالية فيها .. وهكذا يظهر إليه (مفيستو) وعلى وجهه ابتسامة ظفر :

« لقد وعدتك بكل ما في العالم من ملذات .. ولقد وفيت بوعدى .. الآن لم يبق أمامك إلا شيء واحد .. »

« ماذا ؟ »

.. أن تجرب أن تخلق الخلائق !!

وهكذا علمه (مفيستو) العلم المحظور وجعله ينشئ معملًا كيميائيًا مليًا
بالأنابيب والدوائر والمحاق والأحماض والعناصر والمواد وكل شيء في
سبيل خلق الإنسان وينجح في ذلك !! ويتنظر (فاوست) النهاية في منتصف
الليل حيث تنتهي مدة العقد بينه وبين إبليس .. في هذه الساعة يجب أن
يحقق أيضًا شرطه وينفذ الجزء المخصص له من العقد وأن يتبع إبليس في
الحياة الأخرى في العالم الآخر !

يموت (فاوست) ويحمل إلى قبره وتصعد روحه إلى الجحيم حيث تلتهمها
الزبانية ! ولكن سرعان ما تنزل طائفة من الملائكة من السماء لتنثر الورد
والغفران على قبره فتترجف الشياطين عن عطور الملائكة .. تصعد روح (فاوست)
إلى الجنة .. ويسأل (مفيستو) عن السر العجيب الذي جعل الملائكة تنزع
(فاوست) من قبضته الأبالسة يحييونه بأن للحب يد تشفي جميع الذنوب .. ثم
هذا الحب يعقه على الأرض .. وكله في السماء .. وتتجلى قدرة الله في كل شيء



طقوس

(قصة قصيرة)

الرفاق

قرأ الإعلان بالصدفة أو كان يبحث عنه ، إنها مجموعة لتدريس العلوم الروحانية . خرافات ؟ ربما . لكن هذه الخرافات هي حصن الرجل اليش الخيالي الذي يتحول واقعه إلى أوهام ، وحتى لا يُجن يجب أن يمسك الهواء ويقبض على الحلم ويخلق من الدخان قوة سيطرة . قارن بين حالة وهو يسمع الالتزامات المزعجة لساعات العمل الطبيعي وترتيبات الزواج والزيارات وبين راحته عندما دخل مقرهم المتواضع . شقة صغيرة بالدور الأرضي لبيت قديم في حي منسى . بدا أحدهم متوترًا عصبيًا لكنه لا يضر بعكس الوجوه المحايدة المشحونة بالغل التي يراها كل يوم في طريقه . المُحاضر يتودد ويُعد الشئ نفسه في جو بيتي حميم . شعر بشوة مفاجئة وراحة ، ولدهشته وجد بينهم سيدة بصاحيق ثقيلة على الوجه . وجد نفسه لأول مرة يراقب بلا انتقاد . هؤلاء مثله . مجروحين منبوذين معطلين . في صالة انتظار الطيب تسقط العطرانات والأحقاد وهمزات الاستخفاف . لماذا ؟ يعنى لماذا هو هنا ؟ لا يهم فالإجابات كثيرة . حياته كلها إجابة . لأنه ينتمى لحياة أخرى ولُعد مختلف له منطق مغاير أعدل وأسهل وأشمل . السؤال الوحيد المهم هو كيف ؟ كيف وكيف ؟ لنخط الحروف السريانية بدقة هندسية أنيقة الهاء جنب اليم جنب الولو الخطوط والأعمدة والسلم والرسم نجمة بديعة التكوين تُكَلِّل نشاطنا المحض بنقطة الكمال .

الجمعية السرية

ينتظر دعوة منهم في أي وقت . في كل وقت . غداً يتواصلون معه لتصل
الأجزاء المتناثرة في باطنه . ولن تكون لأفكاره العظيمة المبتورة نهاية عبثية في
ظل النظام الجديد . سوف يستقر وجدانه في جلسة هادئة ينعم فيها بالثقة
الراسخة والهيمنة المطلقة على الخواطر والموجودات والناس . أحلام صباه
الطائشة تراوغة تراوده عن نفسه ينشوة التفوق والخلود . لكن الدعوة لم تصل
بعد . وهو مضطرب لأن يأمل حسب مقتضيات العمر . يكمل أمنياته بالأشكال
السنون عبثاً وأن يكون تلميذاً مخلصاً ، وتشمل الرغبات أن يتفوقوا به في خدمة
الطريقة أو الممارسات . لقد هرب من العمل هناك . لا ليعمل هنا . يستحسن
كذلك ألا تكون الطفوس عجيبة كافرة . لا بأس ببعض المجنون . أما التعديف فليكن
يكون قبوله بالأمر السهل . ليسمعوا حرف قاف لا نهائي ويزعمون أن له مفعول
السحر على فتح الكنوز وقلوب العذارى ، وسوف يعمل الواجب وزيادة .

اليعد الآخر

حين يُرتب أفكاره ، يلتزم الحياد والمرونة . فيقف الضدان له بالمرصاد .
اكتب مقالك عن الحب . بل عن الطيب . يا أخي فضفض وناقش هوى القلوب .
بل اكتب عن دواء كل داء . الأدب وصنوفه هي من خلق لأجله القلم . بل
العلم والحكمة يا مؤمن . على أن الجدال يحتدم ؛ فينتبه الطرف الثالث في
العتمة ويوعز له بطلبات جديدة عليه . لا يفهمها فضلاً عن كيف يكتبها .
يرسل له الوحي الرمادي في كنف شعاع أحمر كليل بارد يضيء ولا يحرق لكن
الدفع في القلب يتحول إلى سخونة . يبارك له المجنون ويبرر لأفكاره الجنون

فيسرق من الحرية معناها العاري لا تفك أي قيد أو تهدم أي صنم أو تسقط
الطاغية ، فقط تهمس في باطنه أن الحمق كل الحمق هو أن يرهق عيناه معاً .
أغلق واحدة وانظر بالأخرى من ثقب الباب المثلث . قلص على دنيا فاعنة
حافلة بالمسرات والخدر . أجساد جميلة بلا ثياب طرية كبثلات الزهر ، البخور
الأصفر لتفريق حبيباتك عن خطابين والأزواج ، وترايل كثيرة منقوشة بأسماء
العقاريات .

الأثر الضائع

صباح العبت ! بالأمس ابتاع بنقوده القليلة كتاب السحر النادر (تعاوية
الفرس والروم) وبلوفة قلب الصفحات في شرفة العصر . تعاوية الإخفاء عن
العيون : لا داعي لها فيو بالفعل خفى ضئيل ! طرد النمل والبق : لا ، هم رفاق
المسكن البائس كما أن ثمن عبوة المبيد الفعال أرخص من البخور المطلوب .
التفريق بين المرء وزوجه ، نعم ، لم لا ، بسرعة فكر في تنفيذ هذا العمل على
أوديعه) ، ابنة الجيران التي فرصته كثيراً من النافذة ثم هرولت خلف أول
غريس ، لكنه خاف مقبة هذا الفعل الحرام ، كما أن المدام قد انتفخ بطنها
وظلرت من وجهها مسحة الجاذبية القديمة . طلاس جلب وتهيج النساء ؟ هذا
جميل ، وهل للتعس الوحيد سوى أحلام المجنون ؟ ولكن ماذا بعد أن تشتعل
لجسادهن بهواه ، هل يقيم حريقاً في غرفة كالخرابة على السطح ؟ الذي اخترع
هذه الأعمال السحرية كان عليه أن يحسب تكاليف نجاحها ! لم يغلب اليأس
للداعاد عليه ، لكن اعتراه غم ووجوم ومضى يتصفح الكتاب للتسلية بعد
أن ليثني من غلو أسعار الأمميات عندما تتحقق . هكذا مضى إلى قسم الأعمال

الأقل خطورة وعناء وفسقاً مثل ادعية لحفظ كل ما نسمعه . تحويطة من اللصوص والأعداء . قراءة كذا وكذا لرؤية النبي في المنام . لا تناسبه الأولى فحياته العلوقة يتمنى معها أن يفقد الذاكرة للأبد وكل يوم ! أما اللصوص فلو دخلوا دله التي تصرح فيها الفئران لتركوا له نقوداً ! لهذا قوضاً وحلى وقرأ في السجود السور المطلوبة مرات عديدة حتى غلبه الحال ونام وهو يردد (يا تماخيتا) .

مرت الدقائق الأولى بعد أن يستيقظ الصر على أمل أن يكون أجمل وأرق وأقوى وبدون هموم قبل أن تهجم عليه المنغصات والواجبات والصداع والجوع . ألف لعنة ! تذكر نفسه ورأى الكتاب وعادت إليه تفاصيل البارحة . الصلاة والتلاوة والنوم على أمل رؤية الحبيب (محمد) ليغز بالآخرة بعد أن قالت له الدنيا وداغاً . جلس في القرائ كالمخابيل يلعن حمقى مشايخ الفرس وحكماء الروم . حتى التعويذة السهلة مقشوشة . لقد رآه فعلاً . لكنه لم يكن نبي الإسلام . بل رأى نفسه وجهاً لوجه أمام (جورج واشنطن) كما هو مرسوم على الدولار . ملامح الوجه مكتمزة بالسكينة والنبيل والوقار كمرادف لاستقرار الشخص والبلاد .

الذين جاءوا من أعلى

في الفترة التي تلت انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية ، بدأت تظهر بعض المعلومات والحقائق التي كانت قبل وقت قريب محاطة بسور متين من السرية والتكتم في خزانة الدولة . ولكن نطل قصة الكائنات الغريبة التي تم العثور عليها في سيبيريا وبعض الأراضي الروسية الأخرى من أكبر الأسرار التي حاول الاتحاد السوفيتي إخفاءها عن الجميع ، واعتبرها سرا قوميا يدرج في ملفات سرى للغاية جنبًا إلى جنب مع أسرار الدولة العليا . ففي عام ١٩٦٨م عثرت مصلحة الأمن القومي الروسية على مخلفات مركبة فضائية انفجرت في بيرتسوفسكي القرية من منطقة سفيردلووفسكي وبداخلها عدد كبير من القطع المعدنية الصغيرة ، وبقايا كائنات غريبة محترقة ومتفحمة ، وانخفضت معظم معالمها بسبب الاصطدام العنيف بالأرض ، وبعد ذلك بفترة قصيرة تم العثور بالقرب من مدينة كوروليف على بقايا أخرى لكائنات تنتمي إلى عوالم مجهولة ، وقامت بنقلها إلى مركز تم إنشاؤه خصيصًا لدراسة الظواهر الغامضة من تلك النوعية خصيصًا ، أي ما يخص شئون الكائنات القادمة من خارج الأرض ، لكن لماذا ظلت هذه الاكتشافات محجوبة عن الرأي العام طوال هذه السنوات الطويلة ؟ ولماذا تعتمد المسئولون في الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت إخفاءها عن الجميع ؟

لعل الإجابة على تلك التساؤلات تحتاج أولاً إلى متابعة الفترة التي ظهرت فيها تلك الأمور . ففي ذلك الوقت كانت الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي السابق وأمريكا قد وصلت إلى قمتها ، وأصبح سباق التسلح مهولاً ويهدد بكارثة .

وصار حلم غزو الفضاء ، أسلوب حياة تسعى إليه كل من الدولتين العظميين روسيا وأمريكا لتحقيقه ، بتأكيد نجاح نظامها الذي حاولت فرضه على العالم أجمع ، وأصبحت المواجهة بذلك منصبة حول إثبات التفوق في المعسكر الرأسمالي أو الشيوعي .

يقول العالم «ميخالوف بريتشكوف» الذي اهتم بدراسة الظواهر الغريبة التي كانت تحدث في سماء الاتحاد السوفيتي السابق : كان الحاسة السوفيت يبدلون قصارى جهدهم لإقناع الناس أن النظام العالمي الجديد سيتقلّب إلى الرفاهية والنعيم . وقد لعبت الإنجازات العلمية ، ومشاريع الغزو الفضائي ، دورًا كبيرًا في ترسيخ هذا الاعتقاد عند الناس ، كما ساهمت وسائل الإعلام بشكل كبير في إقناع المواطنين بأنهم طينة أخرى من البشر ومتفوقون على باقي الأمم . ولهذا السبب بالذات ، ظلت كل المعلومات التي تم تجميعها عن الظواهر القريبة ، والكائنات القادمة من خارج الأرض في طي الكتمان ، وسرًا من أسرار الدولة الكبرى ، حيث لم يكن من المعقول أن يعترف المسئولون السوفيت ، الذين حاولوا لعدة سنوات إقناع الناس بتجتاح النظام الجديد ، وهيمنتهم في مجال غزو الفضاء ، بقشلهم في حل لغز ظواهر غريبة حدثت فوق أراضيهم . ولو تسربت مثل هذه الأخبار في ذلك الوقت ، فإن الناس قد تفقد ثقتها في قدرة الاتحاد السوفيتي على غزو الفضاء ، والتفوق العلمي . وهي النعمة التي كان يعزف عليها المسئولون في ذلك الوقت . ويضيف الأستاذ «بريجنيف بايالوف» موضحًا لمجلة «كارما» الأسبوعية : لا أحد في وقتنا هذا يستطيع أن ينكر أن الاتحاد السوفيتي قد أخفى كل المعلومات التي تجمعت لديه حول الكائنات المجهولة التي عثر عليها في مناطق متفرقة من

البلاد، ولا أحد يجادل في حقيقة الظواهر الغريبة التي عجز العلماء عن إيجاد تفسير منطقي لوقوعها، مثل حكاية الأشخاص الذين تم اختطافهم من طرف صهون طائرة، والذين أجريت عليهم تجارب مختلفة، وزيارة مركبات فضائية لتطلق متفرقة من البلاد، وأخذ عينة من التراب والنبات، أو مثل بقايا المركبة الفضائية التي عثر عليها في منطقة سفيردلوفسكي. إلا أنه لم يكن بمقدور أي أحد من المسؤولين أن يعترف بذلك علانية لأن ذلك كان من شأنه أن يخلق مشاعر الخوف والقلق في المجتمع، ولأن المواطنين لم يكونوا مهتمين لتقبل مثل هذه الغرائب، كما أن بعض المسؤولين كانوا في عز الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، يعتقدون أن بعض الظواهر من تخطيط وصنع وكالة الفضاء الأمريكية التي قامت بذلك لأغراض تجسسية.

يقول العالم «ميخائيل بريتشكوف» من جديد: لقد كان الناس سعداء بنشوة النصر الذي حققه الاتحاد السوفيتي في أكثر من مجال وخصوصًا في مجال غزو الفضاء، لدرجة أن بعض المتفائلين بدءوا يحلمون بإقامة تجمعات مكعبة في القمر وفي بعض الكواكب الأخرى. وأصبح بعض العلماء يطلقون تصريحات مفرورة توحى للناس وكأن الفضاء أصبح في متناول أيديهم، ولذلك لم يكن من الضروري أن يعرف المواطن العادي في الاتحاد السوفيتي أن هناك كائنات أخرى تعيش خارج كوكبنا الصغير، تتمتع بقدرات أعلى بكثير من قدراتنا، تخرق أجواءنا دون أن تضبطها أجهزة الرصد المتطورة، تخطف أناسًا من بين ظهرائنا، تجري عليهم تجارب متعددة، وتمتلك تكنولوجيا قطعت أنوارًا بعيدة في التطور والرقى. فهل كان من المعقول أن يعترف المسؤولون في الاتحاد السوفيتي للناس بهذه الحقائق بكل برود، ويتركوا هذه الكائنات الغريبة تنتزع منهم نشوة النصر الذي حققوه في مجال غزو الفضاء؟

(العائد من الموت).. رحلة انتقام وحشي تحت جلد دُب

اسم الفيلم : The Revenant . المخرج : أليخاندرو جونتزاليس إينارينو .
الأنطال : ليوناردو دي كابريريو (هيو جلاس) ، توم هاردي (جون فيتزجيرالد) .
دومال جليسون (الكابتن أندرو هنري) ، إنتاج : نيو ريجينسي بيكتشرز ، أيان
واي ، أنونيمس كوتنت ، مدة عرض الفيلم : ١٥٦ دقيقة .



أصر المخرج أليخاندرو جونتزاليس إينارينو على تمام تصوير فيلمه الجديد
The Revenant في سيول ووديان وحيال حقيقية غير مزيفة . جونتزاليس
مخرج فيلم (الرجل الطائر) ويؤمن بأن إتقان العمل مسألة حتمية ، لهذا ينتقل
إلى غابات شاسعة لنقل صورة الغرب الأمريكي في عشرينيات القرن التاسع
عشر ، طبعًا هو التطور الطبيعي لمتأخر فيلم (الرقص مع الذئاب) ، زمن رعاة
البقر الخالد في روايات الجيب الأمريكية وقصص حمى الذهب وصالون الفواني
والحانوثي اللص إلخ ، لكن الفيلم يمعن في الخصوصية ويركز على حلم آخر
بالفراء وقتها هو صيد الدببة والإتجار في الفراء الدسم السميك الثمين .

هذه هي حكاية (هيو جلاس) - يقوم بالدور ليوناردو ديكابريو العظيم عالم
الحظ ، والقصة كتبها مايكل بونكي عام ٢٠٠٢ . جلاس صائد حيوانات لدى شركة
أمريكية تخصصت في صنع الفراء وبيعه ، وهو يقود مجموعة من الزملاء عبر

نهر الميسيسيبي لاكتشاف بقاء جديدة للصيد في الغابات على طول الشاطئ
 هذه الأفلام ومن قبلها روايات الويستون المسلية حققت هدفًا قوميًا كبيرًا في
 التعرف بحياة الأمريكيان الأوائل والآباء المؤسسين وتاريخ الشعب) . . على أن
 رواية بونكي لم تكن أول مصدر يحكي القصة ، ففي عام ١٩٣٩ نشر مشروع
 الكتاب الفيدرالي الأمريكي كتابًا بعنوان (طريق أوريجون) ، يحكي تاريخ الغرب
 الأمريكي في تلك الفترة التي دارت فيها أحداث قصة هيو جلاس ، الذي وصفته
 مجلة TIME في عرضها للكتاب (في ١٩ إبريل ١٩٣٩) بأنه (أكثر رجل غاضب
 في تاريخ الولايات المتحدة) . . في عام ١٨٢٢ انضم جلاس إلى فريق يقوده
 أندرو هنري يقطع رحلة طويلة في اتجاه مجرى نهر ميزوري ونهر جراند (الذي
 يقع في ولاية ساوث داكوتا حاليًا) ، وخلال تلك الرحلة تعرض جلاس للاغتراس
 من دبة شبيهة ، وقبل أن يستطيع جلاس التراجع أو إطلاق النار ، انفجرت عليه
 الدبة وأطبقت عليه وقضمت قطعة كبيرة من لحمه ألقتها إلى مغارها . صرخ
 جلاس منادياً على رفاقه ، لكن قبل أن يتسكنوا من قتل الدبة كان الرجل قد
 نوة تعاقا وتحول إلى مسخ بشري من رأسه إلى أخمص قدميه ، الدب الأبيض
 في الواقع من أكثر الحيوانات ضراوة وخطورة في العالم على الإطلاق ، وهو
 ما أثبتته بعض المقامرين من سان فرانسيسكو منذ سنوات ، عندما تخلصوا قتالاً
 بين دب أبيض ونمر مفترس ، انتهى بمصرع النمر خلال لوان معدودة . لم
 تمت جلاس ، لكن رفاقه لم يتوقعوا أنه سيظل حيًا لفترة طويلة ، بما أنهم لا
 يستطيعون حملهم معهم وهو مصاب هكذا ، كما أن الشتاء كان يدنو بسرعة

وهم لا يقدرّون على المغامرة بالبقاء معه حتى يموت . عرض رجال المجموعة على اثنين منهم ٨٠ دولارًا (وهو مبلغ فاحش في ذلك الحين يعادل أكثر من ٣٠٠٠ دولار بمقاييس اليوم) للبقاء مع جلاس ودفعته دفعةً لائقة بعد موته . لكن جلاس تمسك بالحياة . وبعد مرور خمسة أيام تركه الرجلان وقد أصابهما الخوف من أن يموتا يدورهما إذا بقيا لفترة أطول . قبل رحيلهما جرّدها من جميع متعلقاته ، مدسه وسكينه وحجر الصوّان (المستخدم لإشعال النار) وغير ذلك من ضروريات السفر في البراري . تلك الأشياء أعطياها لهنري وقالاه إن جلاس قد انتقل إلى الرفيق الأعلى .

طبقًا في الفيلم يظهر السكان الأصليون وتحدث مواجهة للبعثة . لكن هيو هو من يبعثنا ، إنه يتعد عن جماعته ويضل الطريق ليجد نفسه وجهًا لوجه أمام دب شرس عملاق لا بد وأن ينتصر البطل . يقتل الدب ويُصاب بجراح بالغة في الوجه والصدر ويفقد القدرة على الحركة والكلام ، وهنا يقع المخرج ومدير التصوير في خطأ راكور طريف: عندما يسقط مضروبًا في دماله وينظر إلى صفحة السماء يرى القمر في ربعه الأول ، وبعد ليلتين نرى الهلال شديد النخافة وهذا تسلسل غير طبيعي لدورة القمر . يجده أصحابه ويلحق بهم ابنه من زوجته الهندية التي نعرف أنها قتلت غيلة على يد الأمريكيان ، وهنا الجزء من التاريخ لا يزيّفه أرباب الفنون والكتابة هناك . لا الإبادة الجماعية بالبارود ولا توريد البطاطين الملوثة بالجدرى للسكان الأصليين . أفراد البعثة تنقل جلاس إلى حيث يجب أن يعتنوا به طبيًا ، لكن حالته تسوء ويضرب على

الموت . من ثم يكلف الرجل الكبير الذي يلعب دور زعيم البعثة اثنين من أفرادها هما (فيتزجيرالد) - الممثل توم هاردي - و(جيم بيلديجر) - الممثل ويل بولتر - للعثور مع جلاس بعض الوقت لقاء بعض المال حتى يموت في هدوء ويدفناه . بينما يقر الزعيم ومعه البعثة من بطش السكان الأصليين القادمين للانتقام .

تتصارع ونيرة الجنون ، فيتزجيرالد يقتل ابن جلاس بدافع الكراهية ويدفن والده وهو حي ، ويهرب مع جيم تحت التهديد بالقتل إذا فتح فاه أو لم يستمع لأوامره . صورة بانسة لشقاء الإنسان الذي ينجو من يرثي حيوان مفترس لكنه يقع في حبال أخيه الإنسان . لكن هيو جرس يكتب له عمر جديد ، ينض عن رقاب الموت ويثقل على جروحه ويستر جسده بجلد دب ميت ، يحتسب من درجة حرارة تحت الصفر بكثير ، لكن هذا التجميد هو ما ساعد على بقاء حياة ربما ، حتى يقابل بالصدفة زعيم إحدى قبائل الهنود الحمر الذي يبحث عن ابنة التي اختطفها بعثة فرنسية (كالعادة فإن سادة أوروبا في إحدى الحقب التاريخية لم يكن لديهم هم سوى الاستيلاء على الشعوب واستعباد أهلها ثم يلفنون من ألوانهم الداكنة) ويساعده الرجل فيداوى جراحه بالأعشاب والحر وما إلى هذا الكلام حتى يتعافى جلاس ويصمم على العودة للانتقام . وبالطبع عليه أولاً رد الجميل وإعادة الفتاة المخطوفة ، فتطارده خيول البعثة الفرنسية وعلى صهواتها الجنود حتى يسقط بجواده في بئر عميق . وهنا مشهد رائع وهو ينتزع أحشاء الجواد الميت (طبعاً نرى المشهد من الجانب الأخر للجنة مراعاة لمشاعرنا) ليحتمي في جوف جثته من البرد .

هذا المشهد بعد الصراع مع الدم الذي استغرق على الشاشة خمس دقائق كاملة ، ثم ارتداء فرو الدب ، يجعلك تفكر في مدى جرأتنا ونحن نفخر بأديتنا ؟ هل نحن بشر حقًا أم نحن إلى الحيوان أقرب ؟ هل نرتد إلى أصلنا الحيواني فنحن وحوش تحت جلد نظيف مغسول لا أكثر ؟ وبعبارة تليق بعشاق السينما هنا نستعير مقولة المخرج البولندي أندريه فايدا : « يتقدم العمر بعالمنا الأوربي ، لكنه سيكون شابًا ، وسيتعلم البرابرة الأنداء لغتنا ، ويغرمون بماضينا وثقافتنا ، وبسببهم يستحق عملنا العناء » وفيلم (العائد من الموت) يرد على الانتقادات التي واجهتها مدارس الجديدة لافتقارها إلى الابتكار والجماليات الشكلية واتباعها طريقًا مباشرًا للتعبير . ومشاهدو الفيلم من علماء الاجتماع سوف يضيفون إلى دراستهم القوى والسيول ، المحركات الأولية للنفس الإنسانية ، إذ سبها الأخصائيون عن دراسة ميل آخر ، تجاهله أيضًا مسألة الأخلاقيون الذين سبقوهم ، مع أنه موجود كشعور أولى ، بدائي ، أصلي ، تام ، أغفلناه جميعًا في ذروة غرورنا العقلي ، وزهونا بما أنجزناه في السلم حبًا وفي الحرب أحيانًا ، سمعنا لوجوده أن يلفت من أمام نظرننا لنقص اعتدالنا فقط - إيماننا - سواء بالوحي أو باستحضار التاريخ ، والحديث مع النفس . هذه الفكرة لم تخطر لنا أبدًا لسبب واحد هو أنها من نافلة البحث ، وما شعرنا قط بالحاجة إلى التحقق من هذا الاندفاع ، هذا الميل . لم تكن قادرين على أن تتصور ضرورته ، وكنا عاجزين عن إدراك مفهوم هذا المحرك الأول الخام ، وحتى حينما يدخل فينا بالقوة ، لن نستطيع أن نفهم أي دور يلعبه في نظام

التميزة الإنسانية ، في كل عصر وبين كل قوم . وهكذا جاء الفن ... فنحن
نكاد نتحرك في الواقع مع الخطوط المرسومة في الصور التي نراها ، أقول
صور لأن الأدب والسينما والمرح قد اتخذ لنفسه عدة طرائق منها . فالإيقاع
المعكوس من الصورة الجمالية يكرر فيض إدراكنا الحسي وتدفق شعورنا كما
يكرر استجابتنا الدفعية الحركية . والخط الفني السينمائي السلس المتماوج
بفك التوتر وييسر إدراكنا وردود أفعالنا التي لا تستبين لنا تمامًا كما أنه يجلب
إلى السرور والبهجة ، كما يشرح (أروين أدمان) في كتابه عن الفنون والإنسان ؛
كما أننا في السينما باهرة الصورة ، المتعمقة في المشاهد الطبيعية نعيش
في القصة والموضوع ، مهما كان خطه شديد البساطة مثل فيلم العائد ، نفس
حياة شخصياتها المتخيلة ، هكذا في فن الصورة الكاملة ربما أمكن القول بأننا
نعيش حياة الخطوط المرسومة في اللوحة أو المحفورة على الرخام أو العلونة
على الخامة الكبيرة في الظلام . الفيلم قصة للطبيعة ورغبة الإنسان في أن
يعيش وأن يظل إنسانا .

الثعلب

وُلد (توماس ديفنز) لوالدين فقيرين في قرية أكثر فقرًا ، وبالتالي كانت كل الفرص معدومة لحياة هائلة ظل يحلم بها طويلًا .. ومما زاد الأمر سوءًا أن (توماس) كانت له روح قلقة مضجرة لا تسعها ولايته أركانساس بأكملها ، وعلى الرغم من فترة مبكرة جدًا من عمره على أن يتملك الثراء الفاحش والأرضة الرهيبة في البنوك وصفا من السيارات الفاخرة بالرغم من أن آياه وأهل قريته لا يعرفون المحيط إلا من الصور !

مظهر (توماس) جذاب عموماً ، فشعره البني القاتح المائل للون الأشقر يعادل مشكلة قصر قامته . أضف إلى ذلك لباقته في الحديث وهي موهبة قطرية عنده إذ إنه لم ينل من التعليم سوى النذر اليسير .. فعندما رحل عن قريته لم يكن قد أكمل دراسته الابتدائية .. ولم يكن في جيبه مليماً لكنه رحل إلى لوس أنجلوس بطريقة الأوتوستوب .. وبدأ حياته هناك منادياً للسيارات في محل انتظار يتبع أحد المطاعم المشهورة وهو (سان سيت ستوب) ألحظ مطاعم المدينة ..

آياه طموحه أن الراتب الضئيل الذي يحصل عليه ليس هو مبلغ أماله من هذا المكان .. بل فرصة للقاء عليه القوم .. وقد كان .. لقد جذبت ملامحه الوسيمة انتباه ثري معروف .. هذا الرجل قدم له عرضاً لا يمكن أن يتخيله شاب من قريته .. ربما موافقاً لطموحه .. نعم .. هذا الثري ألقي إليه ببطاقته وقال :

- اسمع يا بني .. بمثل وجهك الجميل هذا لا يصح أبداً أن تعمل منادياً للسيارات .. إنك تستطيع أن تكون أحد كواكب هوليوود !!

البحث عينا (ديفنز) ذهشة وطمعًا وطموحًا وسار وراء الثرى ونجم السعد
الذي الحقه بأحد معاهد التمثيل .. لكن لخيبة أمه اكتشف ضعف مواهبه
في هذا المجال .. حاول التمثيل في بعض المسرحيات من الدرجة الثانية لكنه
كان محدود الموهبة جدًا وبالطبع لم يصل إلى السينما .. لكن ذات المنحنى
القدرى يقابله في طريقه .. فما كان عمله بالتمثيل إلا سببًا ليتعرف على فائنة
لقراء طويلة الساقين .. منها كبير وتسحب وراءها شاطئًا يافعًا لأبد وأنها تنفخ
عليه مقابل شبابه .. وبدأ (توماس) ينحدر الأمر ..

عرف أن هذه السيدة هي (نورما كارني ويلسن) .. محبة للفنون .. تزور
دور العرض كثيرًا ومدمنة للمسرح .. تجاوزت الخصمين من العمر .. تزلزلت
منذ فترة وورثت ثروة هائلة ولعبتها الشبان .. وهذا الذي يتدلى من حقيبتها
هو آخر زوج لها واسمه (ويليام ويلسون) ..

استقال (توماس) من غشبة المسرح على الفور وقرر أن يكمل التمثيل على
سرح الحياة .. وأن تكون السيدة الثرية هي البطلة أمامه ! راح يتقرب إليها
والحبة بسيطة ومعروفة : مالها أمام شبابى وجمالى !

وعرف منها أنها تعتمد في مواردها إلى جانب ما تركه أزواجها على دار
الأنشاء والتجميل في سانت كينسنت ودار نشر رأس مالها مليونًا ونصف
من الدولارات .. داري (توماس) وضاعته خلف وجهه الوسيم واستطاع أن
يقنعها بسهولة أن تعهد إليه بإدارة دار النشر : لأنه - كما أخبرها - خير بأموال
الطاعة والنشر : والحقيقة أنه يفك الخط !

وافقت الأرملة العجوز تحت تأثير الشاب الجذاب الذي سيعاونها بمنتهاى
القدرة .. وبدأ يدبر .. وبدأ يختلس .. وبدأ ينهب .. وبدأت الموارد تنضب ..

وانهارت الدار وأفلت ا وخرت السيدة مبالغ طائلة .. لكنه لم يكتف وفضل طموحه السابق بؤرقه ..

في هذه الأثناء من أواخر الستينيات تم إقصاء (عويص تشومبي) عن الكونغو تماما وإبعاده عن الحكم نهائيا رغم محاولاته المستميتة لاستعادته .. وحدث أنه أثناء رحلته الجوية فوق البحر الأبيض المتوسط تعرضت الطائرة لهجوم مسلح وأجبرت على الهبوط في الجزائر وتم اعتقاله هناك ..

طلبت حكومة (جوزيف موبوتو) بالكونغو تسليم (تشومبي) للمحاكمة .. لكنه بالطبع لم يسمح الرئيس الجزائري (هواري بومدين) بذلك وأمر باستمرار حبه في فيلا منعجورة بينما كانت زوجة (تشومبي) تتوسل للأمم المتحدة أن تقف إلى جوار زوجها في محنته .. وإذا هي تعتبر الردهات الفاخرة والمكتب الأنيقة لمحامي نيويورك ، تقدم عنها شاب جميل الوجه ، أثيق الزي ، عريض الابتسامة يقول بثقة :

« وما الذي تستطيعه الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية نفسها - بصوت الوحيد المسموع يا سيدتي هو صوت القوة ! »

ترددت السيدة في الرد .. فهي لم تفهم منطق الشاب تماما .. ومن ناحية أخرى أسرتها ثقته واعتداده بنفسه .. وابتسمت وهي تهرز رأسها تطلب التوضيح .. أجلسها وواصل حديثه :

« فعلى العالم أمام الأمر الواقع ! »

« هه ؟ ماذا يعني ؟ »

« العين بالعين والسن بالسن .. لقد اختطفوا زوجك وهاجم بتبادلون التصرف في مصيره .. استأجري أنت أيضا من يقوم بخطف زوجك من الجرحى »

ونقله إلى جنيف .. بدلاً من تبديد أموالك على محامي مثائق يقول كلاماً فارغاً
لي قاعات المحاكم !

يوغنت زوجة (تشومبي) بالفكرة .. فالأفتراح غريب .. ومثير ..
.. ولكن .. ولكن كيف أفعل ذلك .. لا دراية لي ..
قاطعها بسرعة وحسم :

.. لا ادعى للخبرة ها هنا .. مليون دولار كفيل بحسم الأمر كله ..
وأعنت السيدة إلى أن المبلغ المذكور ليس بالمعضلة وأنها على استعداد
لدفعه إذا ضمن لها نجاح العملية .. وفكرة المهمة نفسها أوحى لـ (ديفنز)
ابنكار اسم كودي يتحرك به هو (الشلب) ! ..

ثم قبض منها مائة ألف دولار عربون للمهمة .. قبلها على مضض على
أسس أن المبيعة تكلف الكثير .. لكنه كان يعلم الأرصة الحقيقية تحت يد
هذه السيدة في بنوك سويسرا وكان طموحه بالاستحواذ على كل هذه الثروة
الخاسرة يليه الصبر والحذر !

اتطلق (ديفنز) إلى الجزائر بصحبة شاب يدعى (ثروت) .. كلا منهما في
حالة غامضة توحى بالخطورة وتحت إبطه مسدساً .. وفور وصوله اتصل بها
بغيرها أن الموضوع معقد وأن الرفاق هنا بحاجة إلى مائة ألف دولار أخرى
نحول على تلك (طنجة) .. بالطبع لم تكن هناك أية عمليات من أي نوع .. بل
لـ (ديفنز) نفسه لم يحتمل جو (الجزائر) وتسلل عائداً إلى (الولايات المتحدة)
سراً لي عقد صداقة مع اللعوب (نورما) التي أقنعها أن تتخلص من دار النشر
ببعضها وأن تستثمر العائد في مستشفى خاص أو منتجع صحي - كما كانت
الموتفة في هذا الوقت - ولما كانت الفكرة ليست بالمعقدة عن خيال (نورما)

التي امتلكت من قبل دارًا للنقاغة . فقد اقتنعت بوجهة نظره سريعًا وبإذ طبع
تولى هو إدارة المشروع ككل .

منحته فوكيلاً عامًا ويسرعه باع دار النشر وآلات الطباعة وبها في شراء
أراضي وعقارات مجهزة في (ماليبو) وأقنعتها أنه ينبغي دارًا للاستشفاء في
(بيرنادينو) ..

لكن أحد محامي (نورما) بدأ يخلق .. وبالتالي بدأ يتجسس على تعاملان
(ديفتز) وسرعان ما عاد يهرول يخبرها بأن الأراضي التي يشتريها في (ماليبو)
كتبها باسم أمه .. وأن دار الاستشفاء التي زارتها بملكها أحد أصدقاءه والذي
رشاه بمبلغ معين ليلعب أمامها دور مدير الدار !

لكن امرأة الحب عمياء أخفت الحقيقة عن (نورما) عندما واجهت (ديفتز)
الذي ابتسم في براءة مؤكدة أن المحامي يشي بحقارة وحقد ، بل وطالبها
بتمويل إضافي للدار ! .. وبالفعل منحته (نورما) نصف مليون دولار ليدخل
التعديلات اللازمة على الدار التي لا تملكها !..

شعر (ديفتز) بالفخر وبأن الفترة التي قضاها في معهد التمثيل لم تذهب
في الهواء فتحمس لإعادة النشاط مع زوجة (تشومبي) .. اتصل بها وأخبرها أنه
يعود الآن من الجزائر ولم يعد سوى أمل واحد لاستعادة تشومبي وهو خطف
مستول جزائري مهم واحتجازه كرهينة ومقايضته بتشومبي ..

والتقى بها في اليوم التالي ومعه صديق قديم من أصل فرنسي وعاش في
كندا وكان قد أفنعه بالحصول على مبلغ ٢٥ ألف دولار ليتمثل دور شخص جزائري
يتحدث الفرنسية .. وحصل من الزوجة المخدوعة على مبلغ مائة وخمسين
ألف دولار ! ثم انطلقا إلى لوس أنجلوس استعدادًا للسفر إلى الجزائر .. لكن

الصديق الفرنسي وجد نفسه في طريقه إلى (مونتريال) . وأقبحه (ديفنز) أن
ثمة عصاة دولية تنتظر في كندا لمعاونتهما هناك ..

وهذا هاتف (نورما) يخبرها بأنه قد أعد العدة للحصول على قرض يساوي
مليونين من الدولارات لكن الأمر يستلزم وجودها .

التقى بها في مونتريال ومعه طاقم من الرجال في غاية من الأناقة يمثلون
دور رجال مال وأعمال وكان الاتفاق أن تتنازل له عن دار الاستشفاء التي تملكها
بشكل صوري على الأقل حتى يمنحه ذلك الصلاحية للتعامل مع هؤلاء الرجال
بقابل ورقة عنه تضمن لها حقوقها .

قابل (ديفنز) صديقه الفرنسي - الكندي في هجرته بعد مغادرة (نورما) :

« إليك هذه الصلقة ؟ »

« ماذا لديك ؟ »

« مائة ألف دولار مقابل رصاصة تضعها في رأسي (نورما) ! »

« ماذا ؟ ... »

« كما سمعت . »

« قصة (تشومبي) والزوجة التي تنتظر في (نيويورك) ؟ »

« تلك منها الآن يا أحمق ! »

« الحقيقة أنني قد أجاريك في عمليات نصب كما تحب . لكن لست على

أقصى استعداد لقتل شخص ما . »

« فما شحك (ديفنز) وربت على كنف صديقه بعودة :

« لا عليك يا عزيزي ! »

بعدها انطلقوا إلى الجزائر لقضاء وقت لطيف .. ولسبب ما شعر الضيف
الفرنسي بالأم حادة في معدته بعد تناوله أحد المشروبات ، وتأكد من رؤية
العاجلة ..

وتأكد من القاتل !

لكن الأعمار بيد الله حقا ..

تم إنقاذه بمعجزة بعيدا عن عين (ديفنز) وسرعان ما أخذ من حثيئة هذا
الأخير مبلغ ألف وستمائة دولار واختفى !!

ابتلع (ديفنز) المقلب وسافر مع (نورما) إلى (سويسرا) ونزلا بفندق (النور)
في (ذبورخ) ثم انتقلا إلى (جنيف) الجميلة كشهرة عمل غير تقليدي .. بعدها
عاد (ديفنز) وحده إلى الولايات المتحدة وأعلن أن (نورما) تقضى بعض الوقت
مع بعض الأقارب وسوف تعود قريبا ..
لكنها لم تعد !

باع (ديفنز) كل ممتلكات (نورما) بمقتضى التوكيل العام مقابل مليونين من
الدولارات زائد الأموال السائلة التي وصلت إلى خمسة ملايين .. وأبناح أطول
من سيارات المرميدين الرياضية .. وقصورا ويختا ومنزلا يطل على المحيط
دق جرس الهاتف في وقت متأخر في منزل (ديفنز) :

« ألو .. من معي ؟ »

« نسيت صوت صديقك الفرنسي العزيز ؟ »

« اللعنة ! ماذا تريد ؟ »

« إن أتكلم ! »

واشتري (ديفنز) سكوته بمبلغ سبعة آلاف دولار

نقدم

(ويليام ويلسون) زوج (نورما) ببلاغ للشرطة يفيد باختفائها ..

قام المحقق باستجواب (ديفنز) الذي أنكر أية علاقة له بالأمر وكرر حكاية
انه تركها مع بعض المعارف في (جنيف) وعدّد بعض الأسماء .. من ثم أوفدت
الشرطة اثنان من رجالها هما المقدم (تروت) والمقدم (بورنيت) للبحث عن
المنشودة ..

راجع الرجلان سجلات الفنادق التي نزلت فيها (نورما) من مونتريال إلى
لوكارنو مروراً بمديرد وطنجة وجنيف وزيورخ وعلما أنهما اتجارا جارة
فولكس فاجن صغيرة للانتقال من لوكارنو إلى جنيف مما أثار دهشتهم ، فهي
وسيلة غريبة للسفر في هذا الطريق المهجور .. وعندما بلغا جنيف لم يكن
هناك أي ذكر لاسم (نورما) ولا (ديفنز) في سجلات جميع الفنادق ..

لطم رجلى الشرطة أوراقهما ونتيجة التحري : الصديق الفرنسي هو الوحيد
الذي يمكنه كشف السر فهو رفيقهما من بداية السفر ! وتم القبض عليه ..
والتعاون مع الأنتربول عثر البوليس الأمريكى على صندوق لم يتسلمه صاحبه
منذ وقت طويل ويفتح الصندوق وجد به معطف فرو ثمين وبعض المجوهرات
بالمائتين مائة .. وكلها ملوثة .. بالدم !

ألقى القبض على (ديفنز) في الحال ..

ومن مخبرية الظروف أنه كان قد رشح نفسه في مجلس الكونجرس عن
محافظة أوس أنجلس لتوه .. وتم القبض عليه أمام مرئيه ومؤيديه بتهمة

السرقة والنصب والقتل والاحتيال والاختطاف والتزوير والتدليس ..

هز (ديفنز) كتفيه استهانة وابتهم للصحافة والرأي العام :

« إنها مؤامرة يا سادة أؤكد لكم . أفعال الخصوم ساذجة ! كل ذلك

للإبعاد عن منافستهم في الانتخابات ! ولكن .. أين جسم الجريمة ؟ .. أظهروا

الجثة يا حمقى ! »

وكان لدى الادعاء الأمريكي ملابس داخلية نسائية وجوارب واحد من النايلون

ملوثة بالدم وممزقة بفعل سكين حاد .. وانفجرح أن الجثة مزقت إلى قطع

صغيرة وألقيت كل قطعة في مكان ما بين لوكارنو وجنيف .. منفردة كجث

أوزويس في الأساطير الفرعونية !

ودافع (ديفنز) عن نفسه ومعه محاميه الأريب :

« حسب قولكم .. لقد تمت الجريمة في سويسرا .. فلماذا تجري

المحاكمة في الولايات المتحدة ؟ »

وأجاب ممثل الادعاء بأن :

« قانون كاليفورنيا يسمح محاكمة أي شخص عن جريمة ارتكبها في أي

مكان في العالم إذا كانت ثمة ملابسات لأمر قام بها في أمريكا لها علاقة

بالجريمة المقصودة ! »

« وكيف هذا ؟ »

« لقد مهد السيد (ديفنز) لجريمة القتل في كاليفورنيا .. على الأقل لقد

قطع التذاكر في لوس أنجلوس ، نفس المكان الذي تمت فيه عمليات الاحتيال

على القنبلة ولم تكن جريمة القتل سوى لإتمام صفقات النصب والسرقة ! »

والواقع أن المرة الأولى التي يطبق فيها مثل هذا القانون كانت في ١٨٩٨
عندما حوكت امرأة من سكان سان فرانسيسكو أرسلت طردًا عبارة عن علبة
بنويات مسمومة لسيدة أخرى في دولة أجنبية فماتت في الحال !
وهنا جاءت ورقة الدفاع : أين الأدلة ؟ .. لا يوجد حتى دليل على أن (نورما)
قالت .. أو حتى ميتة .. ناهيك عن النصب !

لكن الحظ العاثر ألقى بشهادة راقصة شابة اسمها (كورلين دافينز) : أن
(دافينز) قد هبطت عليه ثروة من السماء دون مبرر واضح . وقدمت للمحكمة
بعض المجوهرات التي أهداها لها أيام صداقتهما .. هذه المجوهرات التي
تعرف عليها زوج القتيلة في الحال !

وهنا جاء دور (فوريجيت) - الصديق الفرنسي - الكندي - بالقصة كاملة
وتكثت المحكمة بتقرير الطب الشرعي أن الدعاء الموجودة لها نفس فصيلة
... (نورما) وجاء قرار هيئة المحلفين بعد مداولة أسبوع كامل أن (دافينز) : مذنب
من الدرجة الأولى ..

ولما (دافينز) جمهور المحكمة بتصفيق حاد يكفبه ردًا على الحكم
وسنابحة أخرى (وأخيرة) قيل أن يقرر القاضي (مالكولم لوكاس) الحكم
لها بالسجن أو بسجنه مدى الحياة . أن أخبرت إدارة السجن المحكمة أن المتهم
المذكور قد قطع شربان معصمه !

من ثقب النافذة

(قصة قصيرة)

نعم ، لا زلت أذكر كل شيء ، وأتقلب في فراشي كثيرًا قبل أن أنام ، حتى إذا فشلت في إبعاد تلك الذكرى عن عقلي رفعت الغطاء على رأسي وانصت بعناية عيني ، ولكن هيهات ، أرى كل شيء بوضوح ، كأنه قد حدث بالأمس ، أسمع كل حركة وأسمع كل صوت . وبالرغم من هذه الأيام الخاملة التي تتعاقب يومًا بعد يوم دون أن يحدث فيها ما يلفت الانتباه ، لا زال الأرق يفلق ساعات نومي بالهذن ويملأ هواء المكان بكهرباء التوتر ، حتى القصر الأصغر المكتنز المعلق بين راحة السحب ، بخار الليل البارد ، والريح التي تندفع بعنف خارج الدار كسحرة لم يربط طريقها كل شيء ، حتى عقلانتي ، كل هؤلاء فشلوا في أن أنسى ولو للحظة طرفة عين .

كان المطر يتهمز منذ الصباح ، وكانت الأيام البهيجة المشمسة تبدو كظلال غامضة غير مؤثرة أو نوعًا من الذكرى ، كان كل شيء في البيت منسقًا بشكل مستقر ، لم أكن أرى التغير فلا يحدث إلا في الخارج ، يصفو الجو حينًا وتزججر العاصفة أحيانًا ، والخطر دائمًا في الخارج ، مع الوحل والبشر والمطر يدق على زجاج نافذتي ، وكأنه ينقر على أليافي العصبية ذاتها . هل هو نفس المطر الذي كان يحفظني على زجاج نافذتي في بيتنا القديم في السويس ؟

كنت في حجرتي ، ولم يكن زجاج نافذتي هو زجاج نافذة بالعموم ، أصابه شرخ قديم وعدة كسور وثقب لن يلتئم أبدًا مهما حاولت سدّه بالأوراق وعلاجه الوحيد كان أن أتركه كما هو ثم أغلق على نفسي باب

الحجرة ، هكذا لن يدخلها تيار من الهواء البارد يبدد كمية الدفء التي أقيمت
 في بها ، كان هذا يناسبني على أية حال ، إذا تناسيت أمر العاصفة التي تزار
 بالخارج والبرد الذي يفتت العظام بالداخل ، وكنت قد انتهيت بالأمس من رواية
 «عن الرجال والفقران» وبدأت اليوم فقط في رواية أخرى لسومرست موم «حد
 السوى» الغلاف أصفر مهترئ يصور رجل خائف يضع في دائرة ، يحمل حقيبة
 أوراق وينظر خلفه إلى اللاشيء ، واحدة أخرى من تلك الروايات غريبة الشكل
 نظم والتاريخ والتي تكوئت على مكتبي تحت النافذة ، فبدأت ككومة من فقران
 خلف مينة تهتز أذنانها مع الريح التي تدخل من ثقب النافذة ، وكان «لاري داريل» -
 زلم لي قصة «موم» الآن - يبدأ رحلته في البحث عن مبدأ يؤمن به ، عندما فتحت
 باب باب الحجرة - وباب حجرتي يصر كالأنين - فدخل صاروخ من الهواء يلفح
 وجهي ، وأطلت هي برأسها من فرجة الباب ، الواقع أنني قد سمعت
 وقع أقدامها قبل أن تفتحه ، لكنني لم أفكر في أنها قادمة إلى هنا ، بل إنني
 كنت أعرف أنها تنام في هذا الوقت فظننت أنني أتوهم ..

«لماذا لم تضيء ضوء غرفتك ما دمت مستمرا في القراءة ؟»

«استبدت الدهشة بـ «لاري» فأغلق كتابه وحاول النهوض .. كلا لا تنهض ،
 «لاري» ماذا تقرأ؟ معموما يرد : كتاب ، ولم يكن في ابتسامته مجهولة المخزي إساءة
 معينة .. وطلوى الكتاب بحيث لم تيسر لي رؤية عنوانه .»

«الدمج قليلًا في القراءة فلم أشعر بمرور الوقت ..»

«العلم يغشى ذاته ، وقد يكون غير مؤمن بما يراه وبما يدور في خلفه .»
 «هل أشعل لك المصباح ؟»

(إنه يترك في نفسي دائمًا هذا الانطباع ، إنني أراه كمن يسير أثناء لومه أو كمن يواجه شيئًا لا يدري كنهه ..)

— لا داعي لذلك .

(ألا يمكن أن تقوم بما هو من شأنه أن يعفيه من هذه الآلام ؟)

— حسنًا .. كما تشاء .

وأغلقت أمي الباب خلفها ، ليصر — مرة أخرى — كالأتين ..

توقفت اندفاع الهواء البارد على جانب وجهي ، وغرقت الحجرة في دفء نسبي وصمت تام إلا من صوت عواء الريح بالخارج .

قطرات المطر تنقر على زجاج النافذة بلا انقطاع ثم تتجمع في خطوط وتحتشد لتدخل الثقب في نهاية الشرح ، وتسيل على الإطار الخشبي الداخلي الذي اهترأ كذراع عجوز مصاب بالخرف ، ويسير خيط الماء قليلًا على الجدار ثم يموت قبل أن يصل إلى أرض الحجرة ..

وللحظة لاح في الحجرة ضوء طيفي وسمعت صوت خدش على النافذة ، واعتصرت قبضة الخوف الباردة قلبي ، وأحسست بالشعيرات في مؤخرة عنقي تنصب كالإبر (وأتى لي أن أعرف هذا؟ قد يكون أحيانًا لأتفه الأشياء أعنف الأثر) لم أر ضوء البرق لكنني سمعت رعدًا يدوي كالانفجار ، نظرت إلى الظلام الدامس بالخارج فسرت قشعريرة في كل جسدي ، كيف توقعت أن أكمل القراءة في هذا الظلام ؟ قمت من مكاني وثمة إصبع بارد من الرعب يعبث في حلقى ، رعب أولى لا حبر لذاته (هذا بالطبع إذا رأيت الريح والمطر وموت الرعد دون ضوء البرق أسبابًا غير كافية) .

ليل أن أقرر ما يجب عمله جاءنى صوت الارتظام على النافذة .
ثم الأثنين ..

التفت إلى الباب بحركة حادة ، فوجدته مغلقًا كما هو ، وبحركة أخرى أكثر حدة التفت إلى النافذة .

بنت نسمة باردة ثلجية فى وجهى وبللت عيني ، والارتظام صار الآن
امكانًا ، كان قزمًا بالغ الضالة يحاول تحطيم النافذة بكفئه ، العالم أسود
بالحارج لا يمكن أن ترى فى حدوده أى شيء لكن على ضوء مريض يأتى من
بابه الشارع ، خيل إلى وكأن الليل يحاول دفع نفسه دفقًا ليدخل حجرى ، حطًا
فك نكبتًا غريبًا من القمامة يصدد نافذتى ، كأن طائر الرعب الأسود يحاول
إدخال ثقوب القلب الضيق بيا !

شيء قليل للغاية تناسك ضده نافذتى ، لكن الوجود الكئيب كان يحشر
نظامه فى ثقب النافذة ، الريح تعوى وتعوى وأنا أموت رعبًا ، أبلغ ريقى الصر
وتعسى فغذى ، فأعرف أن هذا ليس حلمًا .

ما الذى جعلنى لا أضيء نور الحجرة ؟
كنت أعشى أن تكون أوهامى صادقة ، خفت أن يملأ الضوء الحجرة فأجد
الشيء مخوفًا مريبًا يفوق ما أراه فى أبشع كوابيس ، أو أن يكون غلى ، فأرى
كله الهائلة المشعرة تسد فىي بينما يخالب كفه الأخرى تمتزج أمعائى ، خفت
أن أجد نفسى فى المرأة مسحًا أو ذئبًا أو أن لا أجد صورتى فى المرأة أو أن
أضع أصابعى على زو الإضاءة فتقبض على معصى
عظمتان هيكل عظمى ..

خفت أن أضغط على زر الإضاءة فلا يخرج النور من المصباح ..
عبرت سيارة الشارع، فغمر ضوء كشافاتها الحجرة للحظة، وكانت هذه
فرصتي لكي أرى ما هناك عند النافذة ..
لا شيء .. !



وساد الظلام الحجرة مرة أخرى في اللحظة التالية، وفي الوقت نفسه كان
العاصفة نوعًا ما، ماذا إذا؟ هل جئت؟ هل كانت هذه بعض الهلوسات
المريضة؟ حسنًا، من لا تتعبه مثل تلك الخواطر في جو كهذا؟ ولكني سمعت
صوت الخدش على النافذة، وكانت حقيقة أنني (سمعت شيئًا) - أضغط على زر الإضاءة
من حقيقة أنني (لم أر شيئًا)، هذا الواقع الذي شجعني على أن اقترب من النافذة
النافذة في وجل، وألمس الزجاج البارد بأنامل ترقف ..

لا شيء، هناك، لا شيء على الإطلاق ..

قررت أن أهدأ أنا الآخر قليلًا كما هدأت الريح بالخارج، وللعجب أنني لم ألاحظ
أرغب في إضاءة الحجرة - هل لا زلت خائفًا من أن أرى اللا شيء، في حجرة لا شيء
لا أعرف، لكنني جلست على المقعد الصغير عند المكتب، كإنني زائر غريب لم يكن
على حجرتي، لمعت بطرف عيني «حد المومس» فاختصر بداخلي الإحساس
بالوحدة مع شعور غريب آخر لم أفسد من قبل، كإنني في حلم، أصبح لربما
الظلام، وارتجف في الضباب، وأنتى سوف أمشي على السقف لأفق من هنا
الكابوس فأجدي معلقًا في الفراغ، رعب من نوع جديد هو، رعب يشاء من
الإحساس بالعدم والتوقع الممض لحضور شخص ما بين ساعة وأخرى من أيامي

لو الليل ، وبأنك سوف ترى أحدهم ، فلا يحدث شيئاً على الإطلاق . للمرة الأولى اكتشف وحدثني التي كانت تحاضرنى منذ البداية ، جثم على أنفاسي وجثة الشعور بأنني لست على ما يرام وبأنني لن ألبث أن أفجع مريضاً . شعرت بأنني أتضائل كثيراً في الحجم ، وبأن كومة الروايات على العكس تفقد شكل حدودها الخارجية وتمتزج في كتلة واحدة صفراء تتماوج .

هذه الروايات سوف تقودك للجنون ، هكذا قالت لي أمي يوماً ، وسخرتني من هذه العبارة وقتها تصير خوفاً حقيقياً الآن . حاولت النهوض ، وجهي يعتلي المرأة من تحت لأعلى ، بدت عيناى في وجهي الممتقع وكأنهما على وشك ابتلاع وجهي الشاحب وجهتي البارزة - شعرت كما لو أنني أسمع دقات قلبي في هذه اللحظة بالذات ، شعرت بأنفاسي تزداد ثقلاً ، وبديبيب أسود يسشى بعذر حزين في روحي كلها ، أتدخل ببطء في أعماق الصفحات التي امتلأت بسواد الحروف حتى كاد يغطي على ظلام الحجرة ، مزيج شنيع من النفوس والتفريز والخوف ، كأنني أسير على ..

على حد الموصى ١١

ظلام بلا عاصفة الآن .. ، ولكن الأمطار مستمرة تصطدم بزجاج النافذة وتتأثر عليها كما تتأثر خواطري من حولي لكن تنزل للأسفل في خطوط انفعاء ، ولأزلت قصة «موم» ملقاة على حافة الفراش كحيوان صغير ميت . لماذا اعتقدت أن مجموعة رواياتي هي كائنات حية لا يعرف الآخرون أنها كذلك . أنا فقط . أعتد دائماً أن ما يحدث بين صفحاتها لا يزال حياً يمارس تأثيره على الموجودات من حولي . شعرت في هذه اللحظة بامتصاص لا حد له

وبانتى أرتجف من الأعصاق ، وسرت بداخلي موجة حارة كأنها مغلفة بالجلد
داوت في الدنيا من حولي ، وباعطار مثلجة تسقط على أمعاني .

استندت براحتي يدي على المكتب ، ثقافت أصابعي قابضة بينها على
الأوراق المتهترئة لكومة الروايات ، غشيان لا حد له .

سوف أقذف ما بجوفي في اللحظة التالية و ..

وهنا حدث أعجب ما يمكن أن يحدث .. جاء القيء من الخارج بدلاً من أن

يأتى من الداخل ، هذا مستحيل الوصف !!

احتشد الظلام في الخارج في قوة طاغية لا تقاوم ، وانفجر في هيئة كيان
هائل لا يمكن تحديد ملامحه ، اتخذ شكل قذيفة سوداء عنيفة اندفعت من
لقب النافذة واخترفت صدرى ، أو بالأحرى اخترفت جسدى بالكامل وأطاحت
به ، وجدتني في لحظة أصارع دفاقة جهنمية لا قبل لي بها ، وفي لحظات كالدهر
عضت غرق الكون كله في تلك القوة الغامضة المظلمة ، وكان أن سقطت
مرتطماً بساق المكتب فصار الظلام وكل شيء آخر دقائق سوداء متماوجة ..

ثم غبت عن الوجود تماماً .

كنت أغرق ..

أغوص في ماء أسود راكد ملاً الحجرة حتى نصفها ، والظلام - لا أراه -
يتدفق من ثقب النافذة ، يطير في فراغ الحجرة كقطن خفيف داكن اللون ،
ثم إنه يتفصل عن بعضه كحشرات سوداء لامعة تزحف حيث رقدت على أرض
الحجرة بلا حراك ..

(إنها العقيدة القائمة على الرأي بأنه لا بداية لهذا الكون ولا نهاية ، بل يمر
منذ الأزل بمراحل نمو من التوازن إلى الانهيار ، ومن بعد الانهيار إلى التحلل ،
إطوار بدأت من قديم الأزل إلى الأبدية والخلود ..)

لم أشعر بصلابة الأرضية ولا بقسوتها على عظامي لأننى كنت أذوب فى
قلب الليل النابض الملوث بدماء الرعب السوداء ، خواطر قديمة وحديثة تتنازع
على فيما بينها ..

ألم امتدت الأطياف التى لم أستطع أن أتبين شيئاً عن حقيقة أمرها ، لشدة
بعضها على ، وبعد قليل ، أخذت هذه الأطياف فى الاختفاء وتحولت من دائرة
الضوء إلى دائرة الظلام التى ابتلعته ، وقد يقال بأننى قد غطوت ، وأن هذه
الأطياف لم تكون سوى مجموعة من الصور التى استقرت فى أعماق وجدانى
عبر الوعى ، وقد تكون هذه الأطياف هى صور متلاحقة من ماضى حياتى
تغمستها روحى على مر الأجيال ..)

هل جئت ؟ ، كلا ، هذا كابوس .. بالتأكيد كابوس .



كم مر على من الوقت وأنا على هذا النحو ؟ لا أدرى .

كنت أفق من الكابوس ، لكنى لازلت تحت وطأة الصداق المظلم الذى بدأ
هو الآخر فى الذوبان ببطء ، كمن يشق طريقة إلى عالم النور بين جذوع
الشجر عملاقة فى غابة سوداء كثيفة ماضياً نحو فتحة من الضوء لا يمكن إلا
للأصل إليها ..

رفعت رأسي لأعلى ، ببطء ، وكان هواء الحجرة يهيم في أذني عبارات
مبهمة على عجل لا أفقه منها شيئاً ، حاولت الوقوف معتمداً على يدي وركبتي ،
حصداً لله ، كان كل هذا مجرد حلم ردي ..

ها هي تفاصيل حجرتي الصغيرة ، الفراش والمكتب ومجموعة الروايات ،
وها هي الليلة الممطرة قد انتهت ، وملاً ضوء النهار الدنيا ، ومن ثقب النافذة
اخترق الحجرة عامود من نور الشمس ، عامود مائل امتد من النافذة وغمر
الروايات التي ابتل بعضها من ماء المطر الذي تسيل من ثقب النافذة ، وجزء
من المكتب ، حتى سقط أخيراً على الفراش فوق حذ موسى تحديداً ..

وبينما كانت آخر سفن الظلام تغادر رأسي ، وجدني أسند إلى مكبي في
ما يشبه الإعياء ، لكنني كنت راحياً ، لانتهاء الليلة السابقة على الأقل ، ولغير ما
سبب واضح رحلت أتبع رحلة عامود النور في اتجاه عكسي ..

من القصة على الفراش إلى المكتب إلى منبعه عند النافذة ، وهناك ..
هناك على حواف ثقب النافذة حلقة من اللون الأحمر القاتم ، تتجمع حوله
ثم تسيل في خيط سميك لزج لأسفل ليلمس حافة المكتب ، خيطاً ثقيلًا من
الدعاء ..

دماء تنزف ..

من ثقب النافذة .

جهنم جهنم ١

من الوسوس القديمة للإنسان الأول عن وجود عالم آخر غير عالمنا الذي نحيا فيه . نشأت فكرته عن جهنم الرهيبة حيث تتعذب كل روح مخطئة وتلقى جزاءها ، و المادة التي يتكون منها هذا الجحيم هي بالطبع المادة التي تمثل خلاصة الأحقاد والأخطاء على الأرض : النار .

وفكرة وجود جهنم قديمة قدم الإنسان نفسه وبدأت مع اكتمال وعيه بتأقضان الأخلاق والطباع والتصرفات التي تحكم التعاملات بين المخلوقات العالقة ، ومع إدراكه لعجزه أمام تجبر من هو أقوى منه . وكان طبيعياً أن تكون جهنم في وصفها هي الضد لكل ما تمثله الجنة من نعيم وبهجة وسعادة مستديمة ، وهي في أبسط معانيها بعد الخلاص من جدال عما إذا كانت لها علاقة بفكرة العقاب وحسابات يوم القيامة وسلطة الإله ؛ وعما إذا كان عذابها مقيماً أو مؤقتاً ، فهي تمثل الانعكاس الواضح لإخفاق المجموع الإنساني في نسوية نزاعاته الداخلية ووضع حلول مرضية لمشكلاته الاجتماعية . والحقيقة القابعة في أعماق الإنسان أنه ما دام لم يسبر كنه نفسه ، فسوف يظل الجحيم شائخاً أمامه . لغزاً عسيراً على التفسير .

في الفردوس المفقود كتب ملتون يقول إن الإنسان يفكر باستمرار في جهنم ومنها ينتقل إلى التفكير في الجنة . ثم يفكر في الجنة لينتقل منها إلى التفكير في الجحيم من جديد . وهكذا يظل مرتبطاً باليقين بوجود هذين

المصريين النقيضين اللذين يمثلان قدره الخاص وأمله ومخاوفه . وفي كتاب جورج مينو - (تاريخ جهنم) - يعرض المؤلف في تسعة فصول تطور فكرة الإنسان عن الجحيم منذ نشأته على وجه البسيطة وحتى العهود المعاصرة . منتقلاً بين تصوراته عن جهنم من أفكاره البدائية إلى مناقشاته المعقدة الناتجة عن تراكمات مفهوم العذاب الأسطوري منذ الثقافة الدينية الأولى للحضارات الشفهية وحتى النظريات الملحدة الحديثة لصفكري عالم اليوم .

إن فكرة جهنم عند حضارات الزولو والانكا والمايا والأزتك والمصريين القدماء الموعلة في القدم والتي تفصل بينهم مساحات هائلة وأزمان مختلفة وقياسات فيما بينها في النمط الاجتماعي وأساليب الحياة والأجواء العامة والظروف الاقتصادية ، تعمل ملامح متشابهة إلى درجة كبيرة . ولكل من هذه الحضارات جهنمها الخاص . لكنها في النهاية تتفق في مفهوم واحد تقريباً عن مكان شيع جهنمها الخاص . لكنها في النهاية تتفق في مفهوم واحد تقريباً عن مكان شيع جهنمها الخاص . لكنها في النهاية تتفق في مفهوم واحد تقريباً عن مكان شيع جهنمها الخاص .

تحدث فيه الأحوال في عالم تحت الأرض يقود إليه طريق مظلم كتيب تتعلق فيه الأشباح . هذا العالم هو مصير المخطئين والعصاة والمذنبين في حق أنقيس وذويهم ؛ فيحكم عليهم بالتشرد والنفي إلى هذا العالم السفلي المقبض . وفي المجتمعات المتدينة ينضم إلى قائمة المحكوم عليهم بجهنم هؤلاء التاركين لقروضهم و للممارسات الشعائرية الخاصة بمجتمعهم ، ولدى الديانات الشرقية الرئيسية مثل الآشورية والسومرية والهندوسية والفرعونية فكرة شبه عامة عن الجحيم المؤقت الخاص بأولئك المقصرين في أداء طقوسهم الخاصة بالدين . وربما يكون أول ظهور للجحيم في عالم الأدب في ملحمة الإلياذة والأوديسا لهوميروس . ثم بدأ نقاشها بشكل أكثر عمقاً في فلسفات أرسطو

وسقراط وفيلسوفه وكان هناك شبه إجماع على أن مثل هذا المصير للعين لا وجود له من الأصل لأنه يرتبط بوجود الآلهة التي تعتبر بدورها فكرة عبثية غير منطقية !

أثناء تربع السيطرة اليونانية الرومانية على عرش العالم في فترة ما قبل المسيح انتشرت فكرة الجحيم بمفاهيم ثلاثة : جهنم الأرضية الممثلة في عذاب الإنسان على سطح الأرض . وجهنم الفلسفية التي يرى فيها المفكرون انعدامًا للألم الإنساني وهي تمثل النقيض ليوثوبيا أفلاطون . وجهنم التي تقرب من مفهومنا المعاصر التي خلقتها القوة العليا . ومع ظهور عهد الأديان يمكن الحديث عن جهنم أن يأخذ منحى منطقي بعض الشيء . ويلاحظ أن العهد القديم لم يتحدث كثيرًا عنها وربما لم يرد ذكرها فيه على الإطلاق ، أما في العهد الجديد فقد بدأ الكلام عنها يتضح نوعًا ، ولكن بشكل غير مشجع بشأن اقتناصه من التقاليد الرؤيوية ومن فكرة جهنم الأرضية الرومانية ومن فكرة سقوط اورشليم .

والله الأدي هو اعتماد (رسالة الرسل) المؤلفات بين عامي ١٤٠ و ١٦٠ في مصر أو آسيا الصغرى والتي تصور على وجود مواجهة مباشرة بين المسيح الشيطان . وفي عصر أباء الكنيسة كان ثمة مفهومان : جهنم شعبية تعتمد على الرقى وجهنم اللاهوتيين التي ظلت محل تفكير وبحث . مع ظهور فكرة السقوط وتخليص الذنوب بالنار وذلك لتقوية سلطة الكنيسة الراعوية الترهيبية التي ارتكبت مياحات الكنيسة المعاصرة .

شهد القرن التاسع عشر نشوء طفرات فكرية عديدة أنكر بعضها جهنم
المسيحية ، ورأى بعض الشعراء والأدباء في جهنم عالماً ساحراً ملهماً ؛ يمكن
قراءة ديوان أزهار الشر لشارلز بودلير وكتابات جيركيجارد ونظريات تيتس
وبالطبع ، الكوميديا الإلهية لدانتى الليجيري التي تذكرنا برسالة الغفران لأبي
العلاء المعري . وفي النهاية جهنم كما يراها الإسلام والتي تعتمد أساساً على
كلمات الكتاب الكريم (القرآن) التي يحفظها في أكثر من موضع ويعتبرها
النقيض التام للفردوس ونعيمه ، وهي جزاء الآثمين والعصاة . وهي خالدة
وأهلها خالدون ، صدقت كلمات الله سبحانه وتعالى .



أوتشى بوتشى !

مترجمة عن قصة بوب شو

تعالى وبين الجرس الصغير ، ممزقاً جدار الصمت فوق رأس (هلوين) ، وظل
الرين مستمراً للحظة وهو يُغلق الباب خلفه ببطء . ليجد نفسه فى حجرة
بالطابق السفلى ، فى المنتصف منضدة طويلة مصنوعة من الخشب الأسود
وراءها رأى باناً أسدلت عليه ستائر من الخرز وأرفف تحمل كتباً ودفاتر عن
العبد البائد . وتساءل (هلوين) بينه وبين نفسه : ألا يبدو هذا المكان فاتحة
خير كبداية للمجد والهناء . ولكن .. لعله من الأفضل أن أحافظ على العظير
الذى اكتشفه - خاصة فى هذا المكان من البلدة - ما دمت لا أرحب
فى اجتذاب انتباه القوم ، وراح ينشر على المنضدة بأطراف أصابعه بحماس ،
وبندلة اهتزت ستائر الخرز وظاهر خلفها كهل قصير ، أنيق ، له عيان غليتان
بوجه فيح . رسم على وجهه ابتسامة ود وأراح كفيه على المنضدة ثم انحنى
باحترام ، وقال بإنجليزية وكيفية - تشير إلى إنها ليست لغة صاحبها وفى الوقت
نك لا تحمل لهجة مميزة لأي جنسية أخرى : «عمت مساء يا سيدى » .

سأله (هلوين) : « هل أنت هو السيد « زوريك » ؟ »

عبرت على شفتى الرجل شبح ابتسامة مريرة وهو يقول : « نعم يا سيدى ..
الفضل ! »

« اسمى (هلوين) صديق مقرب للسيد (جورج لوريير) .. إتنى أحمل منه
مائد تزكية ، لقد عملتما معا منذ ستة أشهر .. »

عقد (زوريك) حاجبيه مفكرًا : « (لوريمر) ؟ .. آه .. نعم .. أذكر بالطبع ..
لقد دبرت له أمور في مكان يديع بين الحسناوات وثمار جوز الهند ..
ثم أطلق ضحكة خافتة وأردف : « هل يبدو هذا سخيفًا .. لا عليك »

ثم سأل : « هل هو سعيد ؟ »

« إنه سعيد للغاية » ..

« أنك ترغب إذن في إجراء صفقة معاملة ؟ »

بلع (هلوين) ريقه - إذ تجاوز مرحلة البداية - وغمغم مرئيًا :

« مبدئيًا ! »

تلاشت ابتسامة (زوريك) نوعًا ما ولاح الاهتمام المهنى في عينيه وقال :

« أشك في إمكانية التعامل معك »

احتقن وجه (هلوين) وهتف :

« مستحيل ، كنت أظن أنك ستستقبلنى بالآمال العظيمة وتفرش لى الأرض

وعودًا برفافة ، فأنا نقسى على المعك ، لقد كنت راغبًا دومًا في التعامل مع

(جورج) .. وأنا لا أقل عنه شيئًا »

هز (زوريك) رأسه وقال :

« السيد (موريمر) شاب ، وأمامه الحياة متسعة الأفق ، كما أن لديه الرغبة

في حياة صالحة ، بالرغم من أنه لو ترك نفسه حتى نهاية المطاف مطلقًا رغبانه

كلها لاكتسب رصيدًا نفسيًا هائلًا »

« لقد شعر سيدى بضرورة أن نقيم صفقة مع السيد (لوريمر) ، ولكن

وضعك مختلف يا سيد (هلوين) »

هتف (هلوين) متشعلًا :

« إن ما تقوله لا يروق لى ، إن حياتى لم تكن سيئة على الإطلاق ، فما يدريك أننى لن أكتسب نفس هذا الرصيد الروحى .. كما تطلق عليه ؟ »

وكفى عن الكلام وهو يراقب (زوريك) وهو يسحب دفترًا من أحد الرفوف ويفتحه .. ثم قال وقد استقرت سباته اليمنى فوق فقرة بعينها :

« (تورمان ستالى هلوين) .. السن ثلاثة وخمسون عامًا .. مشكلة حادة فى القلب والأوعية الدموية .. ولم يخل الكبد من هذه المشكلات .. هل ترغب فى معرفة عدد السنوات الباقية فى عمرك بالتحديد ؟ »

صرخ (هلوين) وهو يتراجع بجسده للوراء :

« كلا .. كلا .. لا أتحمل معرفة هذا ! »

ولكن (زوريك) قال فى بساطة :

« أربع سنوات إلا أحد عشر يومًا ! »

هتف (هلوين) بصوت متهدج :

« هذا فظيع ! ! »

فقال (زوريك) ببرود :

« وما الذى تنتظره يا رجل ، ماذا تظنك فاعلاً لى إن لم يذل قصارى جهدى

الحصول على أفضل الشروط فى هذه الصفقة ؟ »

اقرب (هلوين) من المنضدة وقد تخاذلت قدماه فصارتا كالهلام :

« صفقة ؟ هل قلت صفقة ؟ ! »

نظر إليه (زوريك) بتمعن شديد ، ومن خلفه وثبت على المنضدة قطعة

سوداء لم تحدث ضجيجًا .. ثم قال :

« أما زلت ترغب فى التعامل معنا ؟ »

.. « أما وقد بقيت في حياتي أربع سنوات إلا أيام .. هالك الفتراحى ..
سأبيعك نفسى فى المقابل » .

أسرع (زوريك) يقول :

« ليس بمثل هذه السرعة .. ويجب أن أخبرك قبل أن تتابع .. لا يمكنه
الحصول على مقابل مادي .. لا أوراق نقدية أو ذهب أو مجوهرات ولا تحف
ثمينة ؟

صاح (هلوين) :

« كل هذا الهراء لا يهمنى . ولكن - فقط من باب الشغول - لماذا لا
أستطيع الحصول عليها ؟ »

هز (زوريك) كتفيه قائلاً :

« هناك مشكلات في السيولة .. وثمة شيء آخر لا يمكنك الحصول عليه
وهو طلب حصولك على وقت إضافي ، لن يمكنك طلب إطالة حياتك .. الأربع
سنوات الباقية هي كل ما لديك » .

أوما (هلوين) برأسه موافقاً :

« لست ساذجاً على هذا النحو .. يمكننى قضاء هذه الأربع سنوات
بسعادة وكأنها أربعة قرون .. إن حياتى كانت على مستوى مادي ممتاز
يحسدنى الكثيرون عليه .. بيت فخيم فى أرقى أحياء المدينة .. مركز اجتماعى
محترم .. مال وفير .. أما أكثر شيء تأقت نفسى إليه هو .. »

رفع (زوريك) القطعة السواء إلى صدره وقال :

« ما هو هذا الشيء يا سيد (هلوين) ؟ »

أخذ (هلوين) نفساً عميقاً وأجاب :

« أريد النساء عاجزات عن مقاومتي .. أعني عاجزات حقًا .. أريد من عابرتي عن كف أيديهم عني » .

نقط (زوريك) القطعة على الأرض وقال :

« هذا كل شيء » ؟ .. لماذا لم تقل لنا هذا منذ البداية وتوفر علينا كل هذا العناء » .

قال في لهفة :

« أتعني أنك ستمتحنى إياه ؟ »

قال (زوريك) في ثقة :

« بالطبع .. إنني أقهرهم وغببتك .. النساء عاجزات عن مقاومتك .. لك هذا بعد توقيع العقود » .

ثم أبتسم وقال في تهكم :

« الشكيات مهمة جدًا في هذه الأيام كما تعلم ! »
بدأت الشكوك تساور (هلوين) .. أن الأمور تسير بسلامة ويسر غير متبين .. لابد من خدعة ما :

« لقد وافقت على طلبى بسرعة ! »

نقط (زوريك) برق وهو يخرج رزمة من الأوراق من تحت المنضدة :
« سوف أطلعك على سر صغير .. أنك ثالث زبون قابلته اليوم برغب في لا تقاومه النساء » .

تغضب وجه (هلوين) بالحمرة وقال :

« أأعز هو ما يطلبه كل الناس ؟ »

« زبائننا الذكور فقط، هل تحب أن ترى هذه التعاذج .. »

لتعظم (هلوين) في ارتباك :

.. « إننى على يقين من أن كل شيء سيكون على ما يرام .. لقد أخبرنى السيد (لوريير) أنه راضٍ تمامًا عن الصفقة .. قال إنكم تقومون بتنفيذ التزاماتكم عرقياً .. »

ابتسم (زوريك) قائلاً :

.. « يسرنى أن يكون هذا هو رأيه فى عملنا .. أرجو أن توقع هنا من فضلك .. »

نظر (هلوين) إلى الأوراق منزعجاً :

.. « لا داعى للتوقيع بالدم .. أليس كذلك ؟ .. من الممكن أن يغطى على .. »

ضحك (زوريك) وسحب من جيبه قلماً فضياً :

.. « حسناً .. لا بأس بالحبر .. يمكنك استخدام قلمنى .. والآن .. وقع هنا .. »

من فضلك .. وهنا .. وعلى النسخة الوردية .. وعلى نسخة الكمبيوتر ..

حسناً .. !

ثم اختفى القلم والعقد وصافح (زوريك) (هلوين) بابتسامة عاهرة بالدفء ..

والإخلاص .. وثبت القطعة إلى المنضدة وبدأت فى ذلك الهرير المنتظم الرابع ..

ثم فرد (زوريك) كفيه كأنه يعلن مفاجأة حفل وأعلن :

.. « والآن .. ما عليك سوى العد إلى عشرة ! .. »

فبدأ (هلوين) وقد قرر ألا يضع ثانية واحدة أخرى من سنواته الأربع :

.. « واحد .. »

فجأة ..

أصبح يرى الأشياء وكأنها عبر قطع من الكريستال الملون .. لم يتقابه أى

دعر .. كانت التجربة صلبة تمامًا وبدأت له أسنان (زوريك) دائرة بيضاء مستنقة ..

وتابع :

« اثنان .. »

بدان قطع الكريستال في الدوران .. فاستسلم (هلوين) لدوار لطيف يهيج
وتأمل متعقبا :

« ولكن ما الداعي لكل هذا .. »

ونظرة التعاس .. وهمس :

« ثلاثة ... »

لم لفته ظلام دافى حنون ..

أبقت فجأة أصوات متفرقة .. وجد نفسه ممدداً على ظهره ، عاجزاً عن
رؤية أي شيء .. سوى بقع من الألوان لا معنى لها .. وانتابه شعور عجيب أنه
يتعلق في الهواء ..

وعلى حين غرة .. رأى شكلاً بيضاوياً ، وردى اللون ، مبهم الملامح ، يهبط
فوق رأسه ..

طرفت عيناه وهو يرى الشيء يقترب منهما .. ثم اتضح له أنه وجه ذو
عينين زرقاوين ذابلتين وأنف دقيقة وفم ممتلئ مزين بأحمر الشاه ، عليه
إسماعة رفيقة .. وسمع صوتاً يهمس ملاطفاً :

« لوتشى بوتشى .. دا دا دا .. »

تغطنت قساعته الصغيرة الطفولية ، وراح يركل الهواء بقدميه الصغيرتين
للخيا رافضاً ، قرى خبثيته الخضراء اللامعة خارج نافذة الحربة .. وبدأ
الصراخ ..

العين الثالثة

هل تؤمن بالتفاهم من أول نظرة ؟ عندما يطلب منك أحد أصحابك أن تخضع ما بكفه المخلوق ، هل تقول الإجابة الصحيحة ؟ هل تعتمد على الصدق في حياتك ؟ هل تتخذ قراراتك دون أن يكون هناك سبب واضح ؟ هل تستطيع أن تتوقع ما بداخل عليه هدايا دون أن تفتحها ؟ هل تستطيع أن تنبأ بشيء قبل حدوثه ؟ هل تحس متى سوف تلتقي بتوأم روحك ؟

بعضنا يمتلك حدثًا خاصًا يُمكنهم من الشعور بالأمور قبل حدوثها وتوقع أشياء تحدث بالفعل ، وتنقبض بداخلهم أجزاء ما عند الشروع في فعل معين ، وبالفعل يتحقق ما توقعوه . ويؤمن الكثير منا بامتلاك هؤلاء الأشخاص لعين ثالثة تمكّنهم من كشف هذه الأمور . وبعضنا يطلق على هذه الخاصية القريدة : الحاسة السادسة . فما هي ؟

إذا ارتدينا معطف العلماء وحاولنا جلب الحقيقة تشریحياً فسوف نجد في جميعنا دراسة كشفت من المحفوظات الأحفورية والأنواع الحالية عن وجود تكوين مخي شديد الحساسية للضوء يمثل عينًا ثالثة خلافاً للعينين الحقيقيتين للفقاريات ، وهي عبارة عن تبرعم ينشأ عن الصخ عند سقف الدماغ الأوسط ، إما أن يكون مغطى بجدار الجمجمة أولاً ويبقى حساساً للضوء مباشرة في غير الثدييات أو على نحو غير مباشر في الثدييات ويطبق عليه الجسم الصنوبري . ويلاحظ أن حجمه يكون كبيراً عند الأطفال والحيوانات الأصغر ، ويبدأ بالتكسر والتقهقر عند الإنسان عندما يدخل مرحلة الثلاثينيات من العمر ، حيث يتكون حينئذ من مدخرات صغيرة لكربونات وفوسفات الكالسيوم والمغنسيوم فيما يسمى بـ «الرمال الصنوبري» ويمكن مشاهدته بأشعة x .

المثير فعلاً هو ما جاء في بحث نشرته مجلة «الأم والطفل» الإنجليزية من أن الجنين لديه تلك الحاسة السادسة ، فهو يتأثر بالتغيرات المزاجية التي تحدثها تغيرات كيميائية في جسد الأم أثناء الحمل .

كما يتأثر بها يحدث لها عند الشعور بالحزن أو الغضب مثل سرعة ضربات القلب وسرعة تنفسها . ويتأثر أيضاً بمشاعرها ، فعندما تكون سعيدة ينساب إلى جده الصغير هرمون الإندروفين المعروف بهرمون السعادة ليشرع هو الآخر بالرقص .

إن د. جوزيف مجدلاني في سلسلة علوم الأيزونيريك يرى أن الإنسان يتكون من نوعين أساسيين من الأجسام ، أولهما الجسم المادى المكون من مادة كثيفة مادية ، والثانى هو الجسم الباطن غير المادى المكون من ذبذبات لا يمكن رؤيتها إلا بعد أن يتفتح المرء على البواطن في داخله فيراها بالبصيرة . ويتكون هذا الجسم الباطن من : الجسم الأثيرى ، الجسم الكوكبى وهو المشاعر ، الجسم العقلى وهو للفكر والذكاء ، جسم المعرفة وهو المعبة ، جسم الإرادة ، شعاع الروح وهو جسم الحكمة . وتلك الأجسام الباطنية هى أجهزة الوعى الكامنة فى باطن الإنسان والتي تعمل من خلالها الحواس والطاقات الباطنية فتعدد ذبذباتها من الكيان لتلعب الأشخاص والأشياء الأخرى فتلتقط الصور التى يترجمها الدماغ فيتحقق الحدس أو توارد الأفكار والبصيرة الباطنية .

لكن الكيفية «بلافاتسكى» فى كتابها «العقيدة السريّة» عن حقيقة العقيدة الصوفية التى يمكن تشييدها بممارسة بعض الرياضات الخاصة مثل اليوجا والتملح . وترى أيضاً أن ثمة اتصال بينها وبين الجسم الخامس طوال الحياة

الجسمانية ، فالبصير روحياً والعتامل يستطيع في استغراقه أن يلعب حالة نورانية مذهبة حول كل من هاتين الغدتين . وفي هاتين الهاتين تتولد اهتزازات هائلة النخامة الغدة التي لحرضها الغدة الصنوبرية على النشاط .

وفي هذا إيذان بالفتاح « العين الثالثة » . كذلك نخبرنا بلافاتسكي في كتابها أن الجسم النخامي هو ركيزة الذهن أي الحاسة السادسة ، فيما أن الغدة الصنوبرية هي ركيزة القيم أو العقل الأرفع ، أي الحاسة السابعة ، أو أداة الكشف العقلي أو الروحي ، أي أن الحاسة السادسة توقف الحاسة السابعة فيستعيد الإنسان استعمال ملكاته الروحية النائمة منذ أمد بعيد ، وتؤمن له العين الثالثة ليري بها ما هو آت ، وكذلك رؤية أحداث تجري في أماكن بعيدة .

نترك العلم ونفتح باب الأساطير ، في عصور الإنسان الأولى وجدت مخلوقات رباعية الأذرع أحادية الجنس لها رأس واحد وثلاثة أعين وكان يوسعها أن ترى أمامها وخلفها وكانوا يتمتعون بملكات عجيبة جسمانياً ومعنوية ، فكانوا يعرفون أسرار السماء والأرض وكل شيء ، ويقرءون المستقبل في النجوم فيما يبدو ، وبعد انفصال الجنسين غرق البشر في دوامة الماديات وأظلمت الطاقة الروحانية للتبصر ، وبدأت العين الثالثة تفقد قدرتها الشهيرة فتحصرت وانسحبت عميقاً في الرأس وهي الآن مدفونة تحت الشعر . فمن يتمكن من الانسحاب من ماديات الحياة وتبقى نفسه ظاهرة تتضخم العين عنده وتتسع ويُبصر ما هو خفي بعينه الثالثة .

ويعتقد البعض أن الحكماء هم امتداد لهذه الذرية من المردة بقيت على الأرض لمساعدة البشر ، بينما يظن العالم « مارك ليفي لوبلون » بشدة أن عقولنا ما زالت تعمل تمامًا كما كانت عليه الحال في العصور السابقة .

ارسل محمد ﷺ يسرد على أصحابه أحداث غزوة مؤتة التي دارت رحاها
 في مكان يبعد عنهم آلاف الكيلومترات ! وسيدنا موسى قبل أن يُقابل الخضر
 كان على علم بأنه سيقابله في المكان ذاته، بينما يعرف «ابن القيم» في كتابه
 «إسراج السالكين» ما يمتلكه غير الأنبياء من الوحي بأنه التحديث وقد عرف
 من أولئك الذين أوحى إليهم عمر بن الخطاب . وهذا ما تحدث عنه رسولنا
 الكريم في حديث رواه أبو هريرة حيث قال رسول الله ﷺ : «إنه كان فيمن
 منكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم أحد فإنه
 سيد عمر بن الخطاب» . وورد في كتاب الله الكريم ما يشير إلى أن الله أوحى
 إليه أن أم النبي موسى في سورة القصص الآية السابعة «وأوحينا إلى أم موسى أن

أما ما يتنفع به المؤمنون على خلاف من وردوا في الكتاب والسنة فهو نوع
 من القراءة أي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية والتي عجز الله بها
 العلم، وهذه القراءة صنفها الكاتب «إبراهيم الحازمي» في كتاب له تحت
 عنوان «قراءة المؤمن» إلى ثلاثة أنواع تتمثل في :
 ١- القراءة الإيمانية : وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين
 الحق والباطل والصادق والكاذب .

٢- القراءة الرياضية : وهي تعتمد على تجرد النفس من العوائق وتكون
 مشتركة بين المؤمن والكافر وتلك هي التي يمتلكها عامة الناس ويطلقون عليها
 كلمة السادة .

٣- القراءة الخلقية : تعنى الاستدلال بالخلق على الخلق ويمكن اكتسابها
 بالمشاهدة والمروءة .

أما العالم يرجون فيؤمن بوجود حلقة أخرى للمعرفة غير العقل الأوصى
التجربة الوجدانية والتي أطلق عليها الحدس والذي يتباين في مجموعة من
المعاني سردتها على النحو التالي :

الحدس الحسى : وهو الإدراك المباشر عن طريق الحواس الإنسانية مثل
إدراك الضوء .

والحدس التجريبي : وهو الإدراك المباشر الناشئ عن الممارسة المستمرة .

والحدس العقلى : الإدراك المباشر دون براهين للمعاني العقلية المجردة
التي لا يمكن إجراء تجارب عملية عليها مثل إدراك الزمان والمكان .

وأخيرا الحدس التقوى : ويحدث أحيانا في الاكتشافات العلمية وهو ناتج

لعمدة تطرأ على ذهن العالم بعد طول التجارب .

وكان الصوفية أكثر من استخدم الحدس في الوصول للمعرفة حيث يرون أن

المعرفة العقلية إذا ما قورنت بالمعرفة الحسية نراها أقل قدرة ورسوخا على

الاستنتاج فالحدس عند الصوفية هو نور يقذفه الله في قلب الصوفى . والله

سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .



أغنية الأضواء

(قصة قصيرة)

في مساء هذا العام ، كانت الأمور تتوتر بشدة بين والدي (مها) ، وفي حيرتها
 من أن الجدال قد انتهى مع صفق الباب بشدة معلناً رحيل الأب . قامت
 برفق إلى النافذة ، وأزاحت الستار قليلاً إلى جانب واحد واخبات خلفه لكي
 تراه وهو يخرج إلى الشارع ، كانت تعرف أنه سوف يرفع رأسه لأعلى .

كان الضوء الميت لشمس نوفمبر الغائبة يلمع في دموع عينيها ، ولا يزال
 خلفها نورمان من أثر بكاء الأمس . أدى الضوء عيناها فأغلفتها للحظة
 عندما فتحتهما من جديد كان والدها قد اختفى .

في مساء العظيمة متخوفة بالمطر ، لكنها كانت أضعف من المساء فسقطت
 وراءها القطرات الحارقة مباشرة من قلبها الذي بلغ سن الرابعة عشر أمس الأول .
 من الروح الطفلة خرجت مناجاة للسماء البيضاء . إن ما تشعر به الآن هو
 نفس بالذنب والرغبة والخوف والألم ، كل هذه المشاعر دفعة واحدة ، وكلها
 مخترجة بشكل عجيب ، لعل الأول هو أكثرها عمقا وتبريرا لذاته . لكنه لم
 يكن نفس الموهوم الذي شعرت به في المرات التي عاقبتها فيها أمها بسبب
 العمل أو عندما كانت تصرخ في وجهها لأنها نمت أن تجدل شعر أخيها
 الصغيرة ، أو عندما كانت تشعر بالخجل عند تتألف أمها ويضيق صدرها بينما
 تحاول أن تقص عليها ما حدث لها اليوم في المدرسة ، إنه إحساس يختلف ،
 يشعر بها مع العبارة المشهورة التي سمعتها في شجار الأمس :

.. « من أجل البنيتين » .

اختزلت هذه العبارة العمود الأساسي الذي يستند لها من الداخل ، بالرغم من أنها لم تجد لها مغزى محدد ، أم لعلها رفضت أن تجد لها معنى لأنه سوف يكون اتهامًا لا تحتمله ... بالأمس كان الخلاف الحاد .. (من أجل البنيتين) الآن يرحل أبوها أمام عينيها (من أجل البنيتين) .. وهي كبرى البنيتين ، فلا تزال (مارينا) في التاسعة من عمرها ، ومرارًا كانت أمها تقول :

.. « إنك الأخت الكبرى ، أنت بمثابة أمها ، إذا أخطأت (مارينا) ، فسوف أعاقبك أنت » .

أما الشاعر الثلاث الأخرى فلم تدر إلى أي مدى تمتد جذورها بالداخل ، ربما لأن الإحساس بها كان ظاهرًا على السطح في شكل يمكنها أن تعدد موضعه ، الرغبة في عودة أبوها وفي أن يكون كل ما حدث مجرد حلم ، هذه الرغبة تشعر بها كالمفص الحاد في منطقة البطن ، بينما كان الألم يسرى عبر عمودها الفقري ويسيل إلى الركبتين ، أما الخوف ..

الخوف كان غريبًا لا يمكن وصفه ، كان كذراع بيضاء كهذه السماء ، ذراع ثينة كالصلب ، بارد كالثلج ، قوية كصوت أمها ، ذراع طويلة بلا أصابع ، بل مخالب ، بيضاء أيضًا ، هذه الذراع تدخل فمها وتمتد عبر حلقها الجاف كالتراب ، الناعم كالجلد ، لتعصر قلبها في قبضة من المخالب .. هذه القبضة المغلقة تحاول إخراج قلبها من مكانه عبر حلقها ..

من خلقها صوت (مارينا) وهي تبحث ببعض فيونكات الشعر ، أسدلت الستار ، واستدارت في اتجاه الغرفة والدموع لا زالت تملأ عينيها ..

تذكر الحزن الذي لم يجعلها تصرخ عندما رأت ذلك الشيء !

لحظة واحدة رآته فيها .. وفي اللحظة التالية اختفى ..

(مارينا) تجلس على الفراش بقميص التوم الأبيض وفي يدها بعض الشرائط
الطويلة بينما شعرها العبلول لم يجف بعد، ومن خلفها . كان الشيء المعلق
بها المكان . كتفاه عريضان من الحائط إلى الحائط جسده هو كحل من
الحب الأبيض كالمعلق في أجنحة السماء وأغلقت عنه الستار الآن . الرأس
مغطى بشعر ناعم مفرد . أبيض تمامًا . العينان عديمتا اللون .. أو
ليست كمثلها لون . كلا . كان لها لون القم . أزرق . أزرق يصل إلى القرمزي .
الجنسي . الجسد يتحرك بالكامل . ليس في أي مكان . بل في مكانه
هو . كلال . يجري من أعلى لأسفل ويتناثر من على الأجناب . أبيض كالماء
الثلج الكثيف . من الرأس يصعد لهب أبيض . ومن العينين يسيل الدم ..
ثم أرجواني يجري على الصدر ويشق طريقه إلى منطقة البطن ليتشكل في
القولون .. واحدة فوق الأخرى . والدم القاقى يسيل باتحاد من على الجانبين .
المنعرج ليفذي الدائرتين ولا يحيد عن مجالهما . الشيء مربع . الشيء هو
الرب ذاته . لم تكن له مخالف لكنها شعرت بوجود المخالب . لم يكن له
قلب . لكنها رآته يفتح فمه ويكشف عن أنيابه . وبالأنياب والمخالب يتلوى
الخط بجسد (مارينا) أكثر من الخلف . كأنه سوف ينزعها في جوفه الأبيض
الذي ليس . قبل أن تفهم معنى هذا . اختفى ..

قبل أن تصرخ ، اختفى . .

عبرت الحجرة بسرعة البرق الذي سوف يسطع في السماء بعد قليل وذهبت
جسد أختها الصغيرة من على الفراش واحتضنتها ، دفنت شعرها المبني بين
ذفتها وكتفها فشعرت برطوبته وبفروة رأسها الدافئة على عنقها . والجسد
الضئيل بين ذراعيها مستسلمًا بالرغم من أنها لم تفهم ، لكن الطفلة الصغيرة
كانت قد بدأت تلاحظ أن والديها يتصرفان بخرابة في الأيام السابقة - على
الأقل أكثر من ذي قبل - فلماذا لا تنضم أختها الكبرى إلى حفل المخاض ؟ . .

لقد رأت أمها من قبل تتحدث إلى نفسها في المرأة وتضحك على نكات
قالتها شخص غير موجود ، وعندما رأتها حاولت أن تضربها ، لكنها بدلا من هذا
راحت تصرخ في وجه (مها) لأنها قد سمحت لها بأن تقلص على من هم أكبر راحة
منها ، وقالت لها شفيقتها في سرية نامة أن أمها تعاني من بعض الإرهاق الزائد
يلزمها منذ طفولتها عندما رأت أخوها يموت أمام عينيها ، ولقي أبوها حظه ثم
بعد أيام وظلت تعتقد أن أمها هي السبب، هكذا عرفت (مها) الحكاية من يد
والدها ، لكن تفاصيلها عرفت بالكمال من عمته .

في حضان أختها فكرت (مارينا) أن أمها هي ملاك حقيقي ، لا تصرخ في وجه
وجهها أبداً ، تلقى باللائمة على (مها) عندما تخطئ هي ، بالرغم من أنها لم
تحتضنها أبداً كما تفعل (مها) الآن ، ولكن الدفء الذي يتسرب إلى جسد
النحيل من صدر أختها وذراعيها لا بد أنه هو نفس الدفء الذي كان من الممكن
أن تشعر به في أية لحظة لو احتضنتها أمها . لكن أمها أقوى منهم جميعاً . إنها
لا تبكي كما تفعل (مها) ولا تشرط طويلاً كما يفعل والدها ، بل إن أصابع أمها

عمر ليلة وهي تقبض على كفيها الصغير ، الخاطرة الأولى كانت أن هذا مؤلم
وغير عادل ، لكن ما بقي لما بعد هو إعجابها بشخصيتها ، قوة حقيقية وصلابة .
وفي هذه اللحظة بالتحديد سبق ما تشعر سنيا : فشعرت وكأن أختها ليست
إلا قريب تصادف أن يقلب لها صفحة اليقين ، وفي حضنها جاءها الاستعداد
لمعرفة أي تعرف أشياء أخرى .

اللمحة شعرت به .. في اللحظة التالية اختفى ..

من أين جاء هذا الضوء الأبيض ؟

منعرجة - عمر الحجرة ، لكن (مها) لم تتحرك ، كان وهما ؟ سمعت دوى الرعد الآن ،
لكن لم يكن البرق ؟ ولكن النار تبدل على النافذة الوحيدة ، لكنها شعرت به
خطا - شعرت بلمسته ، ناعمة ومؤلمة في آن ، ناعمة كالحرير ومؤلمة كنبات
الطوبوك ، وبعد تأثير ممتع بالخوف والأمان معًا كما تداعب الأمواج الباردة
بطف - جسد من هو على وشك أن يغرق حالًا ، كان جسمها النحيل الصغير
يغوص لهجوم خاد لظاهرة الأنفلونزا الصينية - عضلات مشدودة ، ووخزات في
العضلات وأعصاب تن - إنها ترتجف .. لكن أمواج الخوف لا تسحبها نحو أغوار
هذا المثلث الآن ، بل تدفعها إلى شاطئ أمين .. هو حضن شقيقتها .

شعرت بشفتي (مها) وهما ثقيلاان شعرها المبلول فسرت في جسدها وعشة
طفلة بسنوات عمرها التسعة تجد الخوف رمزًا رومانتيكيًا مثل إصرار

أختها على أن يسكنوا في منزل له شرفة تطل على القمر ، ومثل كفها الرقيق وهي تدهن شعرها بزيت الزيتون ، ومثل طغم الـ (هافانا) الذي لم تعد لها ترتديه لكنها لا زالت تحتفظ به على سبيل الذكرى . ومثل نعومة حركاتها (كيك) وهو يغير من جلسته في حجرها .

الخوف ، الخوف ، الخوف .

إنه هو ذلك الكيان الأبيض المدهش الذي ظهر في لحظة واختفى في لحظة ، والذي خرج من دخان القلق الدائر هنا ليدفعها في حضن أختها ، فتعجب بأدب لهذا الخوف الذي منحها كل هذا الدفء والأمان .

كم من الوقت ظلت (مارينا) بين ذراعي شقيقتها ؟ لم تعرف آيا متعبا . ربما دقائق ، وربما ساعات ، لقد أظلمت الحجرة مما رجح الاحتمال الثاني ، لكن الواقع أنه عندما رفعت (مها) أختها إلى صدرها لتحضنها من ... منه ! وبينما ظلت هذه الأخيرة تقف على ركبتيها على الفراش ترتجف بين كفها (مها) ، لم يستغرق هذا أكثر من ثلاث دقائق فقط .

هل كان ما رآته (مها) حقيقيا ؟ إنه لم يستمر لأكثر من ثانية فظنت أنها تهذي ..

هل ما شعرت به (مارينا) حقيقى ؟ ربما .. على أية حال فقد ظلت (مارينا) ملازمة للفراش طيلة الأيام الخمس التالية لهذه الليلة ، ارتفعت حرارتها ، ونست

(مها) كل شيء عن الشيء الذي رآته يهاجم أختها (أو هكذا تخيلت وقتها) لأن
الأمير قد ازدادت عمراً بمرض (مارينا) ، خاصة بسبب أمها التي ظلت تلح
والدعا لتركيهم في ظروف كهذه ..

وإلى جوار فراش (مارينا) جلست (مها) بين جلد شقيقتها الساخن والدواء
المر والأقراص البيضاء والمندبل المبتل ، وسط كل هذا أمضت (مها) الوقت ،
بين ثمل سحب الشتاء خلف النافذة المغلقة وبين محاولة أن تجد شيئاً من
ثبته في الصفحات الأولى لـ (أنا كارينينا) ، الزوجة تكشف خيانة زوجها مع
طالبة فرنسية ، لم تجد ما يدفعها لمواصلة القراءة ولكن عندما قرأت على
هذا (الأمير) (ستيفان) : أنها لن تصطحب عني .. إن الذنب كله ذنبي أنا ، خطر
خطر ، أنا أمها سوف تنهرها الآن عن مواصلة القراءة ، وأيضاً فكرت أنه سوف
يكون رائعاً لو أن هذا الزوج الخائن - الشجاع - كان أبوها ، لكنها نهت هذا
لفظ بسرعة عن عقلها ، وكذلك نحت الرواية المملة وعثرت أصابعها على
لغة مرجعة لـ (برام سوكور) هي (مصر الشعبان) ، عرفت أنها لن تمل بسرعة ،
بكت البداية شائقة ، بالرغم من أنها لم تكن مثيرة للהלج كما في (كونت
ديب) ، لولا التي قرأتها بعد أن شاهدت الفيلم ، الحقيقة أنها تقريراً شاهدت عدداً
من كالمه عنها ، كلها بالأبيض والأسود وتقريراً حفظت ملامح كل من قاموا بدور
على الدماء الرهيب - طبعاً عندما يتألقون ويتبادلون العجالات مع ضيوف
الحش وليس عندما يروفي لهم احتساء مشروب أحمر اللون ، ففي هذه الحالة
أبداً الألباب وتصبح الشفاه في لون الدم - سوداء اللون على الشائقة ، لكنها
الطائفة كأحمر شفاه قالى كالذي تستعمله غائيات باريس ، كما راق لها أن
تتأمل وهي تتأمل المرأة التي حاول الرسام أن يجعلها مثيرة لكنه فشل ، على

غلاف (سافو) - والتاب الأبيض دائما يلمع قبل أن ينغرز في رقاب الحسان .
لا تسقط قطرة دم واحدة ، لكن أحمر الشاه أعطاها الإيحاء بأن الدم يسيل
من رقبة الفتاة أو من فم الكونت النهم . كل مصاصي الدماء سواء ، لكنهم
بين السادة لكل منهم وجه مختلف حسب من يؤدي الدور . (كريستوفر)
(ريجي نادر) ، (فرانك لاندبلا) ، (فرانيس ليدبرير) ، (بيلا لوجوس) ، حفظ
أدق تفاصيل علائقهم والاختلافات الشخصية في حركاتهم . بالرغم من أنها
لم تعرف اسم أي منهم . وجدت أنه لمن المثير للإعجاب حقًا أن ترى أن
بإمكان الرجل أن يبدو وسيما مهذبًا يادي الرقى . يتكلم بهدوء الأرستقراطي
ويتصرف بأخلاق الجنتلمان . بينما هو قادر على أن يحكم قبضته على من
الليل وأن يجعل من رجال العلم تابعين ، وأن يفتن الفتيات البرينات معدويات بظواهر
الحيلة .



يأخذها الخيال فتتمنى لو كان لوألدحا كل خصال الكونت الرهيب . وفي
منطقة أبعد تجد أنه لا بأس أن تكون هي نفسها ضحية مصاص الدماء الجميل
الغامض ، وقادها (ممر التعبان) إلى (مقبرة الفئران) ووجدت متعة لا توصف في
هذه النوعية من القصص التي وجدتتها في أغراض خائها الذي سافر إلى الخارج
كأنت بينها كتب غليظة الحجم نوعًا ، (شجرة الجازورينا) ، (أشياء تدعى) ، (أن
تملك وأن لا تملك) ، (يد الله الأكيدة) وغيرها . وقد أحببت أن تقرأ كل هذه
الكتب يومًا لكنها كانت سريعًا ما تمل عند الصفحة الخامسة في أي منها ولم
تفهم - بأعوام عمرها الستة عشر - المقصود من بعض تراكيب الأحداث ، ولم
تجد الإمتاع الذي منحه لها قصص أخرى أقل عددًا في الصفحات - مثل قصص

(يذكر) و(أثر كونان دويل) - في هذه القصص مغامرة تبدأ وتنتهي .. وهناك المزيد من الرعب ! ممنوع أن يرتجف جسدها وهي تقلب الصفحات التي ترى فيها ليدى (أرابيلا) تتحول إلى دودة بيضاء هائلة على سطح البرج أمام عيني السيدة الهشة (ميمي) ، فكانت هي نفسها (ميمي) الساذجة ..

فهل كانت الدودة البيضاء العملاقة هي فقط ليدى (أرابيلا) ؟

من فوق روايتها ألقت نظرة على وجه (مارينا) الشاحب .. هل ما تشعر به هي تقرأ هذا الآن هو حقا تجربة جديدة عليها ؟ .. هل تتعرف على الغول للمرة الأولى ؟ .. هل كان ما رآته منذ أيام هو مجرد حلم ردىء تراءى في بقلتها ؟ .. مجرد خيال متعجب ليس إلا ؟

إنها لا تعرف إجابة أى من هذه الأسئلة .. كل ما تعرفه هو أنها تقرأ - فقط - لتسعيد ذكرى الخوف الذي لم تفسر وجوده .. تحاول أن ترى الشيء مرة أخرى بين صفحات القصص .

وفي الليلة التالية لعرض شقيقتها رأت (ميا) الشيء مرة أخرى ..

كنت - كالיום السابق - مع أختها الراقدة على الفراش طوال اليوم . استطاعت للمرة جيدة لتقرأ ، أو لعلها وجدت القراءة نفسها فرصة للهروب من

المزاج السيئ لأنها ، إنها تطلب منها أشياء كثيرة مرهقة لا تريد معطفا في الحقيقة ثم تنفجر في وجهها صارخة بلا داع ، لكي يعم على الأرض السلام كانت تغلق الباب عليها وعلى (مارينا) وتفوض في المقعد (الفوتيل) المجاور للفرش وتقلب بين الروايات بحثا عن واحدة لم تقرأها . اكتشفت أنها في هذا اليوم قد انتهت من جزء كبير من قصة (ستوكر) - (تحت غروب الشمس) ولكنها دون سبب واضح قررت أن تبدأ (أنا كرانيا) من جديد ، كأنها تبحث عن حالة تناسب الجو المحيط بها ، وهذه المرة شعرت بأنها تفهم ما يحدث ، بدءا من (إن العائلات السعيدة كلها تتشابه أسباب سعادتها ، أما العائلات النعيسة فإن لعاسة كل منها سببا خاصا يختلف عن أسباب لعاسة غيرها) وحتى حل موعد الحفلة الراقصة الكبرى ، (كورسانكي) الوسيم يدعو (كيش) إلى الرقصة الرباعية الأولى ، وعندما أحاط خصمها الرقيق ، وضعت (مها) شريط الأسيرين الفارغ بين الصفحات لتحديد موقعها من الكتاب قبل أن تنهض ذاهبة إلى الحمام لكي .. لكي تغسل وجهها .

بالرغم من أنها قد اعتادت على أن تترك أمها الصالة مظلمة ، فقد انقبض قلب (مها) عندما فتحت بابا الحجرة لتواجه الجو المعتم إلا من الضوء الأزرق المتموج المصاحب لأصوات من زمن مضى تراه أمها الآن من خلال فيلم عرس قديم على شاشة التلفاز في حجرة المعيشة مفتوحة الباب في نهاية الصالة . قبض الوجوم قلبها ، كأن هذا الظلام هو - وحده - خطية العالم الكبير التي لن يغفرها إلا الله ، لابد أن الدنيا قد أظلمت على هذا النحو عندما قتل (هيرودس) أن يقتل الأطفال خوفا على عرشه .

الحق أقول لكم أن ركبتى (مها) فى هذه اللحظة كانتا عبارة عن نوع من
الاميل الذى لم يمكث طويلاً فى السلاجة ، وبدأ لها أن ياب الحمام فى
نهاية الأخرى من الصالة هو باب جهنم أو الباب الذى سوف تفتحه على
نم كيريس لن تراه حتى لو عاشت لثمانين عاماً .

فماذا ترتفعان كأنها تتقدم على حافة سفينة بينما هى لا تجيد السباحة ،
ثم إن الغول بانتظارها خلف باب الحمام ، كان أعضاء مجلس (السنهديم) سوف
يراقبون عليها حكماً ظالماً الآن .

لأن فقد ذكرت - رغم أنها لم تنس قط - الكائن الشيع الشكل الذى
يبدو أن وجوده خلف شقيقتها من قبل .. فما هى تتقدم الآن لتفتح باب الحمام
الذى إلا لراه واقفاً بطول المكان مستعداً لالتفامها (وربما لفعل ما هو
المعروف).

وبالذات (الطريق) الأسطوري إلى الحمام فى هذه اللحظات (التي مرت
عزراً وكأنه جسر التهديدات الذى كانوا يسوقون عليه المحكوم عليهم بالإعدام
المعنى مدى الحياة من قصر (دوجيه) إلى جسر (فينيسيا) القديم .

لكن الكائن الرهيب الذى يشبه نعباناً هائل الحجم الآن بانتظارها خلف
باب الحمام .. (مافيش حاجة تقدر تبعدنا عن بعض) : الأصوات تأتيها من
الظلمة البعيد حيث يحتضن (شكرى سرحان) كنفى (فانن حمامة) ؛ لكن هذا
الذي جعلها من أن تسمع صوت فحيح الشئ خلف الباب .

لكن لم تكن أن تعود ادراجها إلى حجرتها ، نعم ، سوف تعود وتجلس على
الطبل المريح بجوار سرير (مارينا) ثم تقنع بنفسها بأنها ليست فى حاجة إلى

دخول الحمام الآن (ربما ولا في هذه الليلة) ثم تستكمل قراءة (أنا كارلينا) من حيث توقفت . نعم . ربما كان هذا لن يبعث على الراحة . لكنه بالتأكيد أكثر أماناً ..

لكنها يجب ألا تصدق في وجود عالم الغيلان والنفاريت وما إلى هذه الأمور . كما أنها فعلاً في حاجة إلى دخول الحمام الآن . والإرهاق والضغط النفسى والجلوس لساعات في جو الحجرة البارد والوسادة التى وضعنها على معدتها وهى نхра . كل هؤلاء يؤكدون أن فداء الطبيعة يجب أن يلى العلم من خوفها تتقدم كالمخدرة . أكثر وهنا من أن تنفض عنها المخاوف . أكثر ضعفاً من أن تتخذ قراراً بالرجعة .

بعد لحظات سوف تحدث المأساة .. سوف يظهر الشيء ليفتح فمه الذى يشبه مقبرة لابتلاعها .. سوف ..



عن ماري الدموية وتناسخ الأرواح

ارافى شنكار) طفل هندي بدأ يحكى لدكتور (إيان ستيفنسون) أستاذ الطب النفسى بجامعة فيرجينيا الأمريكية ذكريات غريبة حدثت له وهو فى الثامنة من عمره مثل لعبة غير مفهومة القواعد ، وفيل مصنوع من الخشب ، وكرة من نازك المطاط فى مكان ما ، وبالإضافة لذلك أنه قد قتل من قبل ! وعندما حاول أن يأتى بذلك دكتور (إيان) من هذه الذكريات بالذات ، أكد الطفل أنه مات مذبوحاً !
 إن هذا فقط لقد وصف قاتليه بمنتهى الدقة وألقى القبض عليهما لم اعترف أحدهما بتنفيذ الجريمة . أما الألعاب التى ذكرها الطفل فيؤكد الوالدان أنها كانت بالفعل ، ولكن موضوع الذبح من الرقبة فقريب عليهما بعض الشيء ..
 الواقع لم يكن غريباً تماماً فهو منذ ولادته توجد علامة غريبة حول عنقه .
 حدث هذا الكلام عام ١٩٦٤ من خلال عشرين حالة درسها (د. إيان) فى دراسته عن تناسخ الأرواح ، وبعض النظر عن المناقشات الدينية أو العقائدية الخاصة بالموضوع ، فهو به من الغموض ما يكفى ليستحق البحث والتحري .. وقصة (ابن الثورية) التى يعرفها الكثيرون ليست بغريبة تماماً .. لا تعرفها حقاً ؟
 حسن ، سنحكيها باختصار ..

عاشت (باسكال لافارج) حياة عادية جداً لدرجة الملل حتى مارس عام ١٩٨٨ عندما اكتشفت قدرتها على الاستبصار ورؤية الحياة الماضية ، وهكذا تحولت باسكال العشيقة الجوية فى يوم وليلة إلى عرافة ، ربما هو تراكم قراءاتها المستمرة فى علم النفس والدروس الروحانية التى كانت تحضرها بشكل منتظم عند الوسيط (ريمون ريان) .. وفى الثامن من الشهر المذكور أخذت (باسكال)

خطوة للأمام فضمت إليها عددًا من المضيفين والمضيفات (جان بول لينيه) و (آن ماري لوبلان) - صديقتها الحميمة - و (الويزا جامارتيو) ، ووافق الجميع
 رغبة في خوض تجربة جديدة ولو بدافع الفضول .

التف الأصدقاء الأربعة حول منضدة صغيرة وأمسك كل واحد بيد جاره
 ليكون هناك نوع من الاتصال ، وأغمض كل منهم عينيه وغاب بالفكره عن
 كل شيء ثم غابت الأفكار ذاتها في حالة من صفاء الذهن وسرعان ما تخلص
 الجميع عن إمساك الأيدي وبدأت (ياسكال) في حالة تركيز بالغ ثم بدأت تحكي
 أشياء وتفاصيل راح زملاؤها يدونونها بسرعة . قالت (ياسكال) بصوت جديد
 عليها : « إن هذا الجو يعود بي إلى أيام الثورة الفرنسية ، عام 1848 تحديدًا ،
 وفي شارع اسمه بوريه أو بوديه . إنه شارع مرصوف ومبسط بالحجر في اتجاه
 متصاعد وبه بوابة خشبية تمر بها العربات . وخلف هذه البوابة توجد ثلاث
 بنايات صغيرة تشكل في مظهرها نصف دائرة ، وعلى مسافة قريبة يوجد محل
 لا يزيد ارتفاعه عن ٨٠ سنتيمتراً وفوقه تبدو نوافذ من زجاج تفصلها قوائم
 خشبية لها لون بني مكتوب عليها حروف ورموز باللون الأسود » .

راقت التفاصيل لكل من (جان بول لينيه) و (آن ماري) و (الويزا) فعاشوا بحسب
 رؤيتها للألوان والأسماء والنقوش على قوائم النوافذ الخشبية وأبدوا استعجاباً
 ببعض الكلمات التي لم ترد عليها . وتابع بلهجة أكثر حدة : « مهلاً ! إنهم لم
 يحاولون اغتيال رجل يبدو على مظهره الوفاق ويحمل في يده أوراق هامة .
 هذا الرجل رئيس تحرير صحيفة هامة فيما يبدو ، ويمارس دوراً خطيراً في
 سياسة الحكومة الفرنسية » ثم وصفت اقتراب سيدة من المحل سالف الذكر

لدى يعقوبيا حادث اغتيال الرجل وسرقه الأوراق التي كان يحملها . إنها تدفع
نجوم تحاول منع الجريمة ، وترى في يدها علم فرنسا ، وتعرف أنها ثورية
إن اسمها (ماري) ، تعقص شعرها بطريقة عملية ، وتعرف أشخاصا نافذين
من الحكومة من بينهم (ماري فرانسوا) .. أم هي (ماري فرانسيس) . الاسم لا
يضع تعاقبا في رأسها .

إن هذه المرأة تقوم بدور العميل المزدوج في هذا الوقت .

بعد هذه الزيارة العقلية الخاطفة لحياة ماري تعود (باسكال) إلى المحل
حيث ترى هناك كتابا أحمر ذو غلاف سميك مكتوبا عليه اسم (ماري) . وهنا
تلفت (باسكال) عن القصص . وقالت (آن ماري) : « يوجد بالفعل شارع في
باريس اسمه (بوريه) » .

تلفت الحكاية عند هذه النقطة ، وقرر الأصدقاء الأربعة التحقق من
الحق . وبالفعل وجدوا شارع بوريه في الحي التاسع عشر بباريس . وهو كما
يسمى (باسكال) تعاقبا . الرصيف والبلاط والمحل المعروف .

دخلوا المحل ووجدوا أطنانا من الكتب القديمة . وبعد عدة ساعات من
البحث والتفتيش عثروا على الكتاب الأحمر وعليه اسم المؤلف (ماري) ودخل
الكتاب لوحة توضيحية لامرأة تحمل علم فرنسا وتنطلق في الشارع في أيام
الثورة الفرنسية . فكيف رأت (باسكال) هذه التفاصيل الدقيقة في الحلم !

لثقت (باسكال) الكتاب وتصفحته جيدا وهو يحوزنها ، ووجدت صورة
عقل لوصافيا لرئيس التحرير الذي تعرض لمحاولة الاغتيال واسمه (لويلان)
فعل بالفعل رئيسا لتحرير صحيفة ما . ويورد الكتاب قصة الرجل الذي كان

عائداً ذات ليلة من الصحيفة ليتعرض لمحاولة اغتيال ، وعثر عليه قنبلاً عازقاً في دماثة بالقرب من منزله .

المشهد عينه الذي رآته (باسكال) بالتفصيل في جلسة تحضير الأرواح . وبعد المزيد من البحث عرفوا أن الرجل كان صديقاً مقرباً من نوبلان الذي وجد هو الآخر مدفوناً في مقابر الأب لاشيز .

اتجه الأصدقاء الأربعة لزيارة المقبرة ، ولفت نظر باسكال هناك منظر شاهد قبر رمادي مهيب وقد نقش عليه خمسة أسطر . بينما تابع الأصدقاء بحثهم عن المقبرة . وقجاة دار رأس (آن ماري) وشقه صدام رهيب ، فأندesh الجميع وشعروا بالهلع ، عدا باسكال التي بدا عليها أنها قد فهمت السر . وأشارت لهم ليروا السماء المكتوبة على شاهد القبر : (نوبلان - ماري)

إذن فقد كانت ماري عشيقة لنوبلان ودخلت معه في نفس المقبرة . هنا توجس الجميع خيفة وشعروا أن هذه المصادفات بين الرؤية الغامضة والماضي والحقائق المخيفة التي تتضح شيئاً فشيئاً أكثر مما يمكن احتمالها .

أما الصديقة المرتابة (آن ماري) فقد هاجرت إلى الولايات المتحدة بعد أن صارت حياتها سلسلة من الوسوس التي لا تنتهي !

لهب بارد

(قصة قصيرة)

يزع القمر في السماء أصفر باردًا .

لكن هنا في منطقة الفيلات ببورتوفيق خنقت عاصفة قرابية ساء فبراير ،
وقدعت الريح بعنف إلى الشارع الرئيسى فاستسلمت لها أشجار الزيتة على
جانب الطريق . وكسوة السيارات القليلة التى وقفت منفردة أمام أبواب الفيلات
والبيوت ذات الطابق الواحد معلنة عجزها بلا مقاومة .

كان (رشدان) : حارس المنطقة ، قد احتجز في كوخه ذى السقف الصفيحي
والجدران الخشبية على بعد سبعة أمتار من أقرب فيلا إليه ، وقد تجملت
على العتيفة غير المعقورة .

إنه ينظر العاصفة هنا ويتسلى بالعبث في مفتاح المذياع المربوط بأسنك
مطبخ منزله من سروال قديم ليثبت به البطاريتين الجافتين من الخلف
للأصوات تأتي منه متقطعة مغبشة ، وفي الخارج تهب الريح وتتحول
إلى صراخ ، فينظر (رشدان) في توتر ثم يعود إلى المحاولات الغرقاء مع
مطبخه .

إنها الريح رغم كل شيء !
لكن الريح لا تخدش الأبواب .. ولا تترك ظلالاً مستطيلة على الأرض !!
يظهر من مكانه ، رجلاً ضخماً البنيان ، يديًا ، يرتدى كثره صوفية زرقاء حال

لونها وزى رجال الأمن الرسمي ولفافة تبغ تتدلى من ركن فمه ، ووجهه الذى يحمل سمات أهل الريف تضيئه الانعكاسات البرتقالية من مصباح الكيروسين المعلق من السوق . يعود الخدش من جديد . لا أحد يربى الكلاب هنا ! فما هذا ؟

ثمة كلاب معدنية باردة من الخوف تقبض على قلبه ، كان هذا موسمًا سيئًا فى السويس هذا العام .

قبل أن يقرر ما يجب عمله حيال هذا الصوت ، يستطيل الظل أكثر أمام باب كوخه . هناك صوت لرنظام كأنما شىء ثقيل بشكل يضرب الجدار خلف ظهره .. يتراجع .. يضرب الجدار من جديد .. يرنجف الجدار الخشبي خلفه حيث ألصق بوستر مهترئ الأطراف لفريد الأطرش ونهب نسمة باردة ثلجية من السقف الصفيحي .

يتجمد (رشدان) فى مكانه غير فاهم ما معنى هذا .

الظل الذى يكسو الأرض أمام كوخه ، والضرب على الجدار الذى بدأ يصدح ظهره ! يحاول العبث فى جيوبه بحثًا عن خرطوش البندقية وأن يدعم اللوح الخشبي وراءه فى الوقت نفسه ، لكن قبل أن يمد يده إلى المقعد الذى يجلس عليه ، ضرب الشىء المجهول الجدار بقوة غير معقولة ، مهتمًا إياه من أعلاه إلى أسفله . يتعاسك الجدار لحظة .. يهتز رأسًا .. يدخل الشق الناتج فيه رأس أبيض عملاق وعيناه الصفراوان فتوهجان بين جبين أزرق ووجنتان كالعينين الأزرقين .

هل كان هذا أكبر كلب رآه (رشدان) فى حياته ؟

هل كان هذا أكبر وحش رآه (رشدان) في حياته ؟

ويرجع فيما يشبه كلام البشر إلى درجة مربعة !

يتهاوى الجدار أخيراً ، يتحطم ، يستسلم .

وفي لحظة أصبح الشيء المريع بالداخل .

في ركن الكوخ كانت هناك علبة الخراطوش بين أدوات أخرى .. التقطها

(رشدان) وأمسكها .. علبة من الكرتون البني ، مدعمة بإطار معدني أسود

مكتوب عليه أرقام كثيرة وكلمات إنجليزية .. يمزق الورق المقوى بأسنانه ، بينما

الكائن ينفق طريقة بالداخل ويعوى .. عيناه الصفراوان تتوهجان صوب الرجل

المعاصر في الركن .. أبيض كأنه مخلوق الجليد .. وكأنه عاصفة ثلجية تدخل

من الباب الذي نهشم في منتصفه .. يشب وهو يعوى ، بينما (رشدان) ينتزع

الطوائف الحمراء كلها من العلبة .. تنعوى الرياح وتعوى .. يبدأ الصراخ ..

ها الشيء خارج .. يوخز مخالفيه في بدن الرجل ويهم بعض عنقه .. الكائن

الضعيف يملأ الكوخ ويتكاثف بالداخل كالخان السيك .. (رشدان)

يغفل السيطرة على جهازه العصبي .. يزحف إلى بندقيته التي سقطت ..

يسرط عليها المعدني البارد ويبدأ في سحبها بين أصابعه .. الأنياب كالشفرات

التي تعرج عنقه .. اللعنة .. أي مخلوق هذا ؟

يقف على طرف ماسورة البندقية رغم الألم والرعب .. تستقيم في يده ..

في يده الأخرى الخراطيش مضمومة إلى صدره فيما بينه وبين الفول الذي

سبح عليه من حيث لا يدري .. يضرب بكعب البندقية مصباح الكيروسين الذي

سبح من أعلى .. ينهشم ويسقط فوقهما ، يبلل الكيروسين صدره إذ ينزل

عبر ملاهيه الصوفية .. وتفعم أنفه الرائحة العطرية المميزة للسائل الجافز
للاشتعال .. الفتيل الملهب يلحم الشعلة في قماشة الثوب فوق صدره ..
الأنياب تنغرس في جانب عنقه .. والنار تولد فوق قلبه مباشرة .. تصل إلى
علبة الخرطوش ..

الأنياب كالإبر ..

رائحة الوفود ..

اللهب الحارق ..

و ..

ينفجر كل شيء ، ويتلعه قلب الوردة الجهنمي ..

في الخارج ظل عويل الريح مهتاجاً منتشياً لا ينقطع .. كل شيء هو الشتاء
الأسود والليل القاتم .. سواد مداهم لا تضيئه سوى شعلة ضخمة كانت منذ
دقائق كوخ الحراسة الذي ينعم فيه (رشدان) بحياته ، على الأقل ..

من هنا وهناك

في مركز الأبحاث التابع لجامعة (أوهايو) قام فريق من الباحثين بصنع جهاز له القدرة على إعطاء معلومات دقيقة عن ارتفاع درجة الحرارة وزيادة نبض القلب وارتفاع ضغط الدم وكل هذا عن طريق خط التليفون ، وذلك من الممكن المرضى الذين يعانون من مشاكل في القلب والأوعية الدموية من الاعتماد على أحوالهم الصحية دون الحاجة إلى الذهاب إلى الطبيب المختص مرتين في الأسبوع كما هي العادة . وكل هذا يتم عن طريق جهاز صغير في حجم علبة الكبريت يتم وضعه في الجزء الأعلى من خلايا الصدر ، ويعمل جهاز أمر حاس عبر الوريد ليستقر في البطن الأيمن للقلب وعند الضرورة أو معاناة الاستفسار يعطى المريض إشارة معينة للجهاز عن طريق عصا معقمة أطلق عليها مصمم الجهاز اسم العصا السحرية) وبذلك يعطى للجهاز إشارة البدء ، فيبدأ هذا الأخير على نقل المعلومات الحيوية التي حصل عليها من قلب المريض عبر رقم (03) الذي يرسل هذه المعلومات من خلال الهاتف إلى جهاز الكمبيوتر في مكتب عيادة الطبيب المعالج . وهكذا فإن الأطباء يتمكنون بسرعة من التدخل في الحالات الطارئة ، ليس هذا فقط بل يتمكنون مع حدوث مضاعفات غير مرغوب في حدوثها ، لأن الجهاز الجديد قادر على اكتشاف التغيرات الجديدة على المريض قبل أن يشعر بها هو نفسه . يؤكد المحققون متطوعاً أن الجهاز يعمل بكفاءة تامة دون التعرض لأي أعراض جانبية ، وأعلن مبتكرو الجهاز أنه سوف يتم استخدامه على نطاق واسع خلال ثلاثة أعوام على الأكثر .

قام (بيدرو موناخاس) خبير الإلكترونيات بتجربة بالغة الطرافة إذ درس
ولعدة عام الاختلافات الطفيفة بين صرخات الأطفال ! وبعد عامين آخرين
ابتكر الجهاز الذي أطلق عليه (واى كراى) - (Why Cry ?) - معناها (لماذا
يكون؟) وهو جهاز صغير فى حجم كف اليد، يقوم بقياس ذبذبات بكاء الطفل
الرضيع وقياس درجة قوته وخلال خمسة وعشرون ثانية تظهر على شاشة الجهاز
إحدى خمس صور وضعها (بيدرو) كاحتمالات بكاء الطفل وهى : الانزعاج أو
الضغط أو عدم الراحة أو الجوع أو النوم . وهنا كل ما عليك هو أن تضع الجهاز
أمام طفلك الذى يصرخ ليقس شدة بكاءه ويقدم لك السبب بنسبة صحة
تصل إلى (27%) بعدها تلمس الجهاز لتقرأ على ظهره النصائح التى يقدمها
لك (بيدرو) لكل مشكلة من المشكلات الخمس . الجهاز بدأ تداوله بين الآباء
والأمهات بالفعل ، ويخشى خبراء سيكولوجية الطفل من أن يحل هذا الجهاز
محل الأم أو الأب فى حياة الطفل !!

اكتشف عدد من العلماء بجامعة (ميريلاند) جينا خاصا موجودا فى اللون
الأسود والكائنات الحية سوداء اللون ، وبدراسة هذا الجين اثبتوا أن الشعر
الأسود أو الفرو الأسود يقى من كمية كبيرة من الأمراض وتم استخراج هذا
الجين من الأرانب السوداء وبدأ المحاولات فى استخدامه كعلاج لبعض الحالات
المرضية، الأمر الغريب هو اكتشافهم أن جين الفرو الأسود فى النمر الأمريكى
يستطيع مقاومة مرض الإيدز نفسه . وقد أثبت العلماء فعالية هذا الجين فى
القضاء على فيروس الإيدز !!

إجريت البحوث في (هامبورج) عدداً من التجارب على قاندي السفن الذين
 قد اعتادوا معاقرة الخمور ، وقاموا باختبارات للدم للكشف عن الكحول ووجدوا
 أن مدمنو الخمور يقعون في أخطاء كبيرة للإشارات المائية الملونة ومن ثم وفروا
 العديد من الحوادث بين السفن ، وأكد الباحثون أن تناول الكحوليات يسبب
 في الألوان وذلك نتيجة تأثير الكحول على الأعصاب وإتلاف خلايا المخ .

قد اعتدنا على أن يخرج علينا خبراء تربية الأطفال بأبحاث عديدة تؤكد
 في ظاهرة إدمان الأطفال لألعاب (الفيديو جيم) معللين أنها السبب الرئيس في
 زيادة نسبة العنف الموجودة لديهم ، لكن الغريب أن يكون لدى الباحثين في
 جمعية البحث العلمي على الأطفال بجامعة (روشستر) الأمريكية بنيويورك رأياً
 مختلفاً ، إذ أعلنوا مؤخراً أن ألعاب الفيديو جيم تسمى عملية الإدراك البصري
 لدى الطفل بشكل كبير وتقوم بدور مهم في إحداث تغيير جذري فيما يتعلق
 بخلقة الانتباه البصري لدى الطفل ، لاحظ كيف يتحرك الطفل بجسمه وهو
 يلعب بصره الأحداث السريعة على شاشة الفيديو جيم ، وهو يراقب الكواكب
 المسننة الفضائية المهاجمة مثلاً بينما عقله يعمل للتفاعل مع اللعبة من خلال
 أطراف أصابعه ومجموع قبضته ، وأكد الباحثون أنهم قد أجروا أربع تجارب
 أثبتوا من خلالها أن الأطفال الذين يمارسون ألعاب الفيديو باستمرار يمتلكهم
 إدراك معلومات مرئية وبيانات معقدة - بالنسبة لسنهم - أكبر من الذين لا
 يمارسونها .

تقرير خريف وضعه جهاز الصحة العامة بالولايات المتحدة الأمريكية ،
 المسجل في (XVI) من الأمريكيين يعانون من البدانة المفرطة ، ويعتبرهم

يتعرض لأخطار مرض السمنة مثل مشكلات القلب والربو، ويُرجع خبراء التغذية الأمريكيون السر في بدانة الشعب الأمريكي إلى كمية الأطعمة غير الصحية التي يتناولونها والتي تحتوي على كمية كبيرة من الدهون والكربوهيدرات (نشويات وسكريات) ونسبة اللحوم العالية في وجباتهم وقلة تناولهم للخضر والفاكهة وممارسة التمرينات الرياضية ١

و(نيوزيلندا) تقدم تقريرًا مهمًا تحذر فيه من إهمال الأميات لتغذيتهن الصحيحة في فترة ما قبل الحمل وخلال الأيام الأولى للحمل وأكدت أن ضعف تغذية الأم الحامل قد يكون سببًا قوياً في الولادة لأطفال مبتسرين (قبل الميعاد) ، وكان السبب في إجراء هذه الدراسة هو ملاحظة زيادة ظاهرة إنجاب الأطفال المبتسرين في أنحاء مختلفة من العالم (وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية) بسبب اهتمام بعض السيدات برشاقتهن عن طريق تبلي حمية خاصة تصل إلى الرجيم القاسي أحياناً ١١ .

واقعة طريقة من نوعها حدثت عندما أعلنت السفارة الأمريكية في لبنان عن رغبتها في إذاعة فيلم تسجيلي قصير عن التليفزيون الرسمي بلبنان ، وهذا الفيلم الهدف منه - كما أعلنت السفارة - هو محاولة إثبات اندماج العرب والمسلمين الذين يقيمون في الولايات المتحدة مع المجتمع الأمريكي ، ولكن قبولت هذه الدعوة بالرفض من جميع الجهات المسئولة (بالإضافة إلى القنوات الخاصة) حتى إن قناة المستقبل التي يملكها رئيس الوزراء اللبناني (وليفيق الحريري) والتي وافقت على الأمر بصفة مبدئية ، أعلنت هي الأخرى

تقدم (دانيال ليسكيند) بمشروع فاز به في المسابقة التي أعلنتها إدارة نيويورك وهو عبارة عن تشييد مجموعة من المباني التي تتكون من سبعين طابقاً وإضافة رأس برج مديب يصل طوله إلى (٥٤٠ متراً) في مكان مركز التجارة العالمي الذي تم تدميره في ١١ سبتمبر ، وفي وسط هذه المجموعة والتي أطلق عليها (حديقة الأبطال) توجد كتلة من الصلب تمثل أعلى مبنى على وجه الأرض وقد وافق على هذا المشروع عمدة نيويورك (مايكل جلوبيرج) ومحافظة لوزية (جورج باتاكي) . ومن المتوقع أخذ آراء أقارب الضحايا الذين لقوا حتفهم في حادث تفجير مركز التجارة العالمي ، وذلك بغرض إجراء التعديلات اللازمة على البرج ، وطبقاً للتقديرات المبدئية فإن هذا المشروع سوف تبلغ تكلفته ثلاثة وثلاثين مليون دولاراً !!

بعد أن أطلقت محطة الفضاء الأمريكية (ناسا) صاروخها الأخير والذي حمل على سطحه إنساناً آلياً لجمع عينات مختلفة من تربة سطح كوكب المريخ ، أثبتت دراسة أجراها باحثون أمريكيون نظرية معروفة تؤكد أنه توجد أشكال بنية للحياة على سطح الكوكب الأحمر الغامض وذلك بعد أن أعلنت (ناسا) بمورد (كريستالات) على سطح المريخ جاءت ضمن العينات التي أحضرها (الروبيوت) ، هذه الكريستالات لها صفات كريستالات البكتريا العائية التي توجد على سطح الأرض ، كما تطابقها شكلاً لدرجة مذهلة !!

يمكنك أن تجالس (دافيد هارت) وأن تداعبه وتلاعبه وتحدث إليه طويلاً كأنك كل ذلك من خلال غلاف رفيع معقم من البلاستيك يحمله من الناس بالكرسيات ، ذلك ! لأن (دافيد) مصاب بعاقة نادرة منذ مولده ، إذ إن أطرافه

العصبية شديدة العصبية للمص ، فيصاب بالآم شديدة لو لمسته أي يد مهما بلغت رقتها ونعومتها ، كما أن مناعة (دافيد) للأمراض لا وجود لها بالمرء ، ولا يحتمل زيارة أي ميكروب له ولذلك فهو يعيش بأسلوب خاص ، فيتلقى دروس عن طريق دائرة تليفزيونية مغلقة ، ويستقبل زملاء الدراسة عن طريق الهاتف ويحاول أن يعيش حياة طبيعية قدر الإمكان ولكن ، بدون لمس !!

قام البحار الإنجليزي (إيريك بيترز) بعبور مسافة طويلة من المحيط الأطلنطي داخل برميل طوله (١٩٧سم) في رحلة استغرقت ٤٦ يومًا ، بدأت من جزر كناريا في شمال غرب إفريقيا ، إلى جزر جراديلوب في شمال أمريكا اللاتينية ، أما الطعام الذي كان يتناوله يوميًا فهو عبارة عن ٢٢٥ جرام من زيت الزيتون و ٢٢٥ جرام من اللوز ونصف لتر ماء ... ويبقى أن تعلم أن وزن البرميل كان ٥٠ كيلو جرامًا .

أثناء رحلة صيد (هارودل باترسون) عام ١٩٣٦ أصيب برصاصة في وجهه ورفض الطبيب المعالج استخراجها بحجة أن خروجها قد يسبب من المخاطر ما يفوق وجودها ، رغم أنها صنعت فجوة صغيرة أسفل الرأس ولأنها لم تكن تسبب أي ألم فقد تركها الطبيب في رأس (هارون) وتجاهل أمرها تمامًا .. في عام ١٩٦٠ انتابت (هارولد) نوبة سعال حادة فذقت بالرصاصة خارج فمه !!

توجد في (فرانكفورت) ساعة صممها مهندس ألماني شهير ، كان فيها باب صغير يفتح فيخرج منه فارس على صورة جواده يعلن عن عدد الساعات بطلقات مدس في يده ، ويعلق مصممها على ذلك قائلاً : (إن هذه هي أفضل طريقة لقتل الوقت) !!

ثلاث قصص

مترجمة عن خ. ل. بورخيس

«بركة الخبر»

يقولون إن أكثر حكام السودان قسوة في التاريخ هو «يعقوب المريض» ،
والذي ترك بلاده فريسة لجامعي الضرائب المصريين هذا الرجل مات في إحدى
غرف قصره في الرابع عشر من قمر برمديات عام ١٨٤٢. وثقة من يؤكد أن
هذا الرحمن المعهودى هو الذى قتله مستخدماً في سبيل ذلك السم أو
خبره . وربما هو قد مات ميتة طبيعية على الرغم من ذلك كله . إذ كان
له (المريض) ، وقد قابل القبطان (ريشارد ف. بيرتون) هذا العزاف في
عام ١٨٥٩ سارداً الحكاية التى أوردتها كما يلي :

« كان صحيحاً أنه نتيجة المؤامرات المديرة بأمر أخى (إبراهيم) بالتعاون

مع الخونة عديسى النفع فى بلاط الرؤساء السود بكرديان ، والذين قادوه نحو

القتال ، أن قامت الأسر بقلعة (يعقوب المريض) ، وقد قتل أخى على ظهر

الحافة حمراء الدم ، إلا أننى أثقت بنفى بقوة وحرارة على قدمى المريض

لكن ، وأخبرته بأننى عزافاً ، ولو أنه أنقذ حياتى ، فإن باستطاعتى أن أريه

لكن لا تترك العجب ومظاهر تفوق ما يمكن أن يراه فى الصباح السحرى

حتى فطلب الطاغية البرهان القوي . طلبت فلماً ودواة ، ومغطاً وورقة من

اللون الخبيس وقصب وبعض الفحم الحى فى طبق . بعض بذور الكنيرة

قيلبة من الجارى واللبان . قطعت الورقة ستة شرائط . على الخمسة الأولى

أكتب تعازيم ورفى . وعلى الأخيرة كتبت هذه الآية من القرآن الكريم :

ثم لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . ثم
 إنني سمعت قائلًا سحرًا إلى كف العقوب البصني . وطلبت منه أن يجوفها .
 وفي المنتصف تمامًا صببت بقعة حبر . سألته إن كان يرى نفسه واضحة
 منعكسة فيها وأجاب بأن نعم . أخبرته أن يثبت هكذا ولا يرفع رأسه . سكبت
 بذر الكسبرة والجاوي واللبان في الطبق . وعلى الفحم المتقد أحرقفت الرق
 ثم أعلنت له أن يسقى الصورة التي يجب أن يراها . نظر إلى لحظة وهو
 يفكر ثم أنه قال : « جواد ... جواد يرى ... من تلك الجياد البديعة التي
 قرعى على حدود الصحراء » . ثم نظر إلى نقطة الحبر . رأى العشب الأخضر
 المستوى الرائع . بعد لحظات رأى الجواد يتسحب . مقتربًا بخطوات رشيقة
 كالنمر ، بعلامة بياض شامق على وجهه . وعندها طلب مني قطع جياد من
 نفس النوع الأصبل . وعلى الأفق البعيد تبدت أمامه غيمة من غبار . ثم جاء
 القطيع . لاحظتها فقط عرفت أنني قد نجوت بحياتي ومنذ ذلك الوقت وللأمام .
 عندما يزرع الخيط الأول للفجر ، يدخل جنديان إلى زلزانتي ويذهبان بي إلى
 حجرة نوم المريض حيث الحبر المعلق والطبق المجفوز والبخور . وطلب مني
 أن يريني وأريته . كل ما يمكن رؤيته في هذه الدنيا . إن هذا الرجل ، والذي لا
 زلت أكرهه ، وجد في راحته كل ما يراه البشر ، الموتى منهم والأحياء : مدن ،
 أجواء ، سمالك الأرض مقسومة عليها ، الكتوز المخفية في باطن كهوفها ، سفن
 تجوب البحار ، أدوات الحرب المتقدمة ، آلات موسيقية ، معدات للجراحة
 الدقيقة ، فتيات حسناوات ، مجرات ونجوم ، الألوان التي استخدمها الآثميون
 ليدهنوا بها صورتهم القبيحة . معادن ونباتات بأسرارها العلاجية وخواصها الثمينة
 لم تكتشف بعد وظلت تسكنها : ملائكة نورانيون ، لا غذاء لهم ولا شراب إلى

ثم أصبح يحمد الله ومجده : هبات وعطايا منحت في الهيئات العلمية ، أزلهم
 ظهر ، والملوك المدفونون في قلب الأهرامات ، الثور الذي يحمل الدنيا في
 رقبته ، والسكة التي تسبح تحته : فلاة الله الواسعة وأشياء وصفها مستحيل
 ثم الطرق التي تضاء بمصابيح الغاز ، والحوث الذي يموت إذا سمع صرخة
 إنسان . وذات مرة طلب مني أن أريه تلك المدينة التي اسمها أوروبا . فجعلته
 يرى الشوارع الرئيسية بها ، ورأى في نهر النهر العظيم - حيث كلهم يشح
 بالسواد ومعظمهم يضع العوينات على وجهه - رجلاً ذا فناع هنا منذ البدء
 نوح - بعباس سودانية أحياناً وفي حلة نظامية أحياناً أخرى ، لكنه دائماً
 ولعجب على وجهه - منذ ظهر وحتى الآن وهو يلزم كل الصور التي تراها .
 ثم يتخلف عن الحضور أبداً ، ولم تجسر على تحديد علامته . إن الصور
 في مرآة الجبر كانت في البداية تبقى ثابتة بجسود أو زائلة كالزئبق . لكنها
 الآن صارت مركبة وأكثر تعقيداً . تتشكل لتكوين ما أطلبه منها دونما إبطاء
 حتى يراها الطاغية في منتهى النقاء . وبالتالي كان عتف المشاهد المتتامة
 يعطى في حالة من الإرهاق الروحي الشديد . فكل ما كنا نراه هو التعذيب
 العلني وتنفيذ الأحكام بالإعدام وعمليات البتر ومسرات الجلادين ومباح
 لقادة محاكم التحقيق . وهكذا ، حتى جاءنا فجر الرابع عشر من قمر برمهاة ،
 لم يكن نقطة الجبر في راحة الطاغية . وأحرقنا التعاويذ فوق دخان الجاوي
 بالبيان . ما من مخلوق سألنا نحن الاثنين . أمرني المريض أن أريه عذاباً قانونياً
 فوالله للاستغاف ، في جسده ذلك اليوم شهوة لمشهد إجراء إعدام . جعلته
 في أقدم الدين نجسوا لرؤية الحدث العظيم ، فارعى الطبول وجلد العجل
 الحضور . يظهر الجلاد ناصراً سيف العدالة ياهر المنظر ، أخبرني (يعقوب)

باسمه : « ذاك هو (أبو قير) الذي أعدم أخوك (إبراهيم) . والذي سوف يختم
على قدرك عندما أوجب العلم باستحضار هذه الصور كلها دون مساعدتك »
يألني أن أحضر المجرم في الواجهة ، وحين تم له مطلبه . رأى أن الذي سينظر
فيه حكم الإعدام المدان . هو ذلك الرجل الغامض ، فأسقط في يد الطاغية
وشحب وجهه .

أعطاني الأمر بكشف الحجاب قبل تنفيذ ما اقتضته أحكام العدالة ، عندها
رميت بنفسى تحت قدميه ضارعا : « يا ملك الملوك وسيد الزمان ، هذا الشبح
لا شبيه له بين الآخرين ، إننا لا نعرف اسمه أو اسم أي من آبائه ولا حتى اسم
المدينة التي ولد فيها . وإللى لا أجسر على العبث بالصورة ، أخاف أن أتعرض
لخطيئة تفيدنى بالوصف » .

ضحك المريض وأقسم أن يتحمل هو مغبة ذلك وأن يأخذ الذنب على عاتقه .
لو أنه كان هناك ذنب من الأصل - أقسم على السيف وعلى القرآن بهذا .
عندئذ طلبت من المحكوم عليه أن يتجرد ، وأن يوثق إلى جلدة العجل ،
وأن يزيح القناع عن وجهه وتم تنفيذ هذه الأوامر ...

وأخيرا ، اصطدمتا عينا يعقوب بالوجه - كان وجهه
فاعم الرعب والجنون كيانه ، كانت يدي ثابتة ويده ترتعش ، أمرته أن
يواصل مشاهدة الاحتفال بصوته

والحق يقال ، لقد سحرته المرأة لدرجة لا توصف حتى إنه لم يحاول أن
يعيد ببصره أو يسكب الحبر ، وعند رؤيته السيف ينهال على رأسه المذنب ،
خرج من حلقه عواء لم يحاول أن يجعله مثيرا للشفقة ... ثم إنه سقط على
الأرض كالحجر ، ميتا .

قرص

أنا حطاب ... اسمي لا يهم .

الكوخ الذى ولدت به وأموت فيه عما قريب ربما يكون على حدود

الغابة ..

يقولون إن الغابة تمتد أبعد من البحر الذى يطوق الأرض كلها ... من ثم ما

يجرى على كوخى يجرى على بقية الأكواخ العشبية الأخرى ...

لا أعرف إن كنت رأيت البحر أو جانب الغابة الآخر ...

عندما كنا أطفالاً جعلنى أخى الأكبر أقسم ما بيننا أن نقطع الغابة كلها حتى

لا نلقى ولا شجرة واحدة .

من أخى ...

الآن ما أفتش عنه الآن - وسوف أستمع فى البحث عنه - هو شيء آخر

من جهة الغرب يجرى جدولاً أعرف كيف اصطاد فيه بيدي ...

فى الغابة توجد ذئاب ...

الذئاب لا تعينى ...

فأسى حقيقة معى باستمرار

من عمرى ... لا تسأل ...

له كبير بما يكفى ، لكن عيني فقدنا الإبصار ..

فى القرية ، لم تعد لدى أى مغامرة ، لأننى حتماً أضل الطريق ... واشتهرت

بأنى البخل ... ولكن ... كم من الكنوز يمكن لحطاب مثلى أن يجدها !

ولكى أتفادى الثلوج ، أغلق باب بيتى بإحكام بواسطة صخرة ...

فى أمسية ما مرت على ، سمعت خطوات مكدودة تقترب ...

دقه على الباب ...

فتحت ...

دخل غريب ..

عجوزاً وطويلاً كان ... ملتفّاً فى حرام رث ... على وجهه ندبة .. يبدو على

سنته أنها منحه السطوة أكثر من الوهن ...

لاحظت أنه غير قادر على الحركة دون الحاجة إلى العكاز ...

تبادلنا عدة كلمات لا أذكر عنها حرفاً ...

فى النهاية قال :

« لا مبيت لدى .. أنام حيث أكون ... ترحلت فى طول وعرض بلاد

السكون » .

هذه الكلمات امتحنت عمرة ...

سمعت عن بلاد السكون من والدى ...

هذه البلاد التى يسميها الناس اليوم إنجلترا ...

أطعمته خبزاً وسمكاً ، ولم نهس ببيت شقة أثناء الطعام ...

بدأ المطر فى الهطول ...

وفى المكان الذى مات فيه أخى على الأرض وضعت له حشية وبعض

الجلود ...

وعندما هبط الليل نمنا .

وحين تركنا الكوخ كان أول خيط للفجر قد ظهر ...

كف المطر وتغطت الأرض بثلج سقط أخيرًا .

سقط عكازه وطلب منى أن ألنقطه ..

سأله :

« ولماذا يجب أن أطيعك ؟ »

رد :

« لأننى ملك ! »

إنه مجنون حتمًا ؛ هذا ما اعتقدته وأنا ألنقط له العكاز وأناوله إياه ..

والآن تحدث بصوت مختلف :

« اسمى (إسيدن) من شعب الأردن »

قلت :

« أنا لا أعبد أودن ، بل المسيح » .

تابع :

« أنا ملك الكسون ، جلبت لشعبي النصر بعد معركة حامية الوطيس ،

لكننى فى الساعة المحتومة خسرت مملكتى ! »

نظرت إلى وجهه وهو يقول :

« أدخلت عبر صبرات المنفى .. لكننى لا زالت الطلح ... لأنه لا يزال لدى

الطيرى » .

ثم صمت لحظة وأردف :

« هل تحب أن تراه ؟ »

فتح راحة يده التحيلة ... لم يكن فيها أي شيء .. وقتها فقط تذكرت أن يده كانت مغلقة دائماً .

نظر إلى محققاً وقال :

« يمكنك أن تلمسه .. »

بشكل لا آخر له لمست بطرف إصبعي راحته .

احسست بشيء بارد ورأيت وميض ..

أغلقت اليد بإحكام ...

لم أقل أي شيء

مضى الرجل بقيادة صبر يقول :

« إنه قرص أودن ... له جانب واحد ... في العالم كله ليس هناك من

شيء آخر له جانب واحد ... »

ثم قال بلمحة مختلفة :

« وما دام القرص معي فأنا العلك ا »

سألته :

« هل هو من الذهب ؟ »

أجاب :

« لا أعرف . إنه قرص أودن وله جانب واحد فقط »

عندها ، وهناك ، شعرت بجشع لا يقاوم في امتلاك القرص .

لو كان عندي لأمكنني استبداله بقالب من ذهب وأصبح ملكاً .

قلت للمتشرد الذي أصبحت أبغضه الآن :

« في كوفي دفنت صندوقاً من العملات ... كلها من الذهب وتلمع كذا

من ... لو أعطيتني قرص أودن . شاباً ذلك الصندوق » .

قال محنقاً :

« لا أريد ... »

هتفت :

« إذن اعرب عن وجهي » .

أدار ظهره لي ...

ضربة واحدة بالفأس على رقبته من الخلف كانت أكثر من كافية ليلقي ربه ...

وبنمنا كان يسقط انفتحت يده ...

رأيت الوعوض في الهواء ...

كأن سمعت أن أحد المكان بفأسى ..

سحبت الجثة إلى جدول الماء ...

وهناك دميت به ...

وفي رحلة العودة إلى الكوخ رحمت أفتش عن القرص ...

لم أجده ...

كأن ذلك منذ سنين ...

ولا أزال أفتش

مسألة ،

نفرض مثلاً أن أحد سكان (توليدو) قد عثر بالصدفة على ورقة مكتوبة بخط عربي ، وعندما يبحثها علماء النقش يجزمون أنها مكتوبة بخط سيدي (حمد بن علي) الذي منه اقتبس (سيرفانتس) دون كيشوت .

ونقرأ المکتوب : أن البطل كما هي الحكاية - يحول غير ربوع ألبانيا ، معه السيف والرمح ، يتحدى كل من يقابله ولأى سبب . وعند نهاية إحدى معاركه التي لا تحصى ولا تعد ، يكتشف أنه قد قتل رجلاً .

عند هذا الحد تنتهي القصة وينتهي النص ... وعلينا أن نخمن كيف تصرف دون كيشوت .

وحسبما أرى فإن هناك احتمالات ثلاثة للحل :

الأول : حل سلبى ... لا شيء على الإطلاق ...

أعنى لا شيء على وجه الخصوص ...

فالقتل فى عالم دون (كيشوت) الهلاسى ليس أقل شبروعاً من السحر .

ومسألة أن يقتل رجلاً لن تثير ريبة شائص يقاتل - أو يعتقد واهماً - أنه

يقاتل الشياطين وأهل السحر .

والثانى : حل مشير للدموع .

لم ينجح دون (كيشوت) فى نسيان أنه كان ظلاً لـ (ألونزو كينشيانو) ،

قارى الحكايات الخرافية . عندما رأى الموت أدرك أن حلمًا يدفعه لأن يعترف

بجريمة قابيل ، فاستيقظ من ترف الجنون ... ربما للأبد .

الثالث : أجدر بالتصديق .

بعد قتله الرجل ، لم يتمكن دون كيشوت من الاعتراف بأن هذه الخطيئة قد
في إلا هذان سخونة المرض ، وحقيقة التأثير تفرض عليه الصداقة مع السبب
والصدق . وبهذا لا يحيد دون كيشوت عن جنونه .

ويبقى حل آخر ، بعيد عن عالم أسبانيا ، وعالم الغرب بالكامل . يتطلب
بعضاً مستحيلاً ، أكثر سواداً وتعقيداً ، وأشد إملالاً : أن دون كيشوت الذي لم
بعد دون كيشوت بل ملكاً من أراضي الهندستان ، يعرف بالقطرة ، حالماً بطف
أمام عدوه – جثة عدوه – أن القتل والميلاد ، طقسان سحريان لهما قدسية
خاصة ، وأنهما يتجاوزان الشرط البشري .

لقد عرف بأن الرجل الميت ، وسفه العلوث بالدم في يده ... وكل حياته
لعائقة ... والأرباب العملاقة ، والكون ..

وهم !

عند موت (ميلا نكتون) أخبرتنى الملائكة إنهم قد أمروه بضلين بدور مثل
التي عثت بها في الدنيا ...

هذه الأمور تحدث للمستجدين على الخلود فور وصولهم على أية حال ! إذ
يكونون جاهلين بموتهم ، ويعتقدون إنهم لا زالوا في دنياهم أحياء ..

كل الأشياء في حجرته تشبه التي كانت قبلاً ...

منظدة ، مكتب كامل الأدراج ، أرفف بالمكتب التي عليها ...

وبمجرد أن يستيقظ (ميلانكتون) في مستقره الجديد يجلس إلى مكتبة
مستقر في أدبيات العمل الذي انشغل به لأيام عديدة كان يكتب عن

البرد بالإخلاص مجردًا ... ولا كلمة عن المحبة ... هذا الحذف كانت تلمظه الملائكة فما كان منهم إلا أن أرسلوا إليه من يسأله فأجاب « إنى أثبت رغم كل شيء » 1 « قالها في تصميم » لأنه لا شيء في المحبة يؤسس للروح ، وكى تجنى الخلاص يكفى الإخلاص .

بتصميم وثقة قالها غير عالم أنه من الأعوات وأنه من المقدور لهم أن يرفدوا خارج السماء ، وإذ جاء رده إلى الملائكة تركته على عجل .

بعد مضي أسابيع قليلة بدأ الآثار يبهت في حجرته ثم يختفي ، حتى لم يبق له في النهاية سوى مقعد بسند ، الورق والمجبرة على المنضدة . تساقط الجير من على جدران حجرته وتبدت الأرضية كالزجاج المصنقر وازدادت هلاسه خشونة .

أدهشته هذه التحولات لكن لم يكف عن الكتابة عن الإخلاص ناكراً للمحبة ... وظل ثابتاً على مبدأه حتى نقلوه إلى إصلاحية تحت الأرض حيث قابل هناك لاهوتيين مثله ...

بعد أيام من الحبس بدأ يشك (ميلا نكتون) في تعاليمه ، من أجل ذلك سمحوا له بالعودة إلى حجرته السالفة ...

كان الآن يرتدى جلدًا بفرو ... لم يفهم لكنه حاول أن يقنع نفسه أن ما يحدث له لا يزيد عن هلوسات حادة فعاد من جديد يقرط في تمجيد الإخلاص مستهتراً بالمحبة ...

ذات مساء ، شعر (ميلا نكتون) بالبرد ...

بدأ يتفقد المنزل فاكشف أن الحجرات الأخرى لا تماثل حجراته في داره القديمة بالدنيا ...

في حجرة عنها عشر على أدوات لم يعرف أي شيء عن طريقة استعمالها ...
حجرة أخرى تضاءلت حتى إنه لم يستطع تبيان مدخلها ...

الحجرة الثالثة بقيت على حالتها لم تتغير ...

لكنها انفتحت نوافذها وأبوابها على ركाम رملي ممتد ...

أحد الحجرات الخلفية احتشد فيها أناس يسجدون له ويرددون أنه ما من
أقربى حبيب مثله ظهر في الوجود ...

أطوبه الإطراء ...

لكنه لاحظ أن بعض مريديه كانوا ممحوي الأوجه والبعض الآخر موتى ،
بذلك النهاية أن مقتهم من أعماقه وساور قلبه الارتباب فيهم ... وعقد العزم
في هذه اللحظة على أن يكتب شيئاً يخص المحبة ...

أما العفة الوحيدة أمامه كانت أن ما يكتبه اليوم ليس مقدراً له أن يرى ما
يكتبه ...

والسبب كان أن الصفحات تكتب بدون اقتناع ...

لأن حديث العهد بالموت جاءوه فشعر بالعار من مثواه العهد ولكن
بعدهم بأنه يسكن السماء استأجر ساحراً هادى بهم وعندما يذهب الزائرون -
وطبائخ أحياناً - يشحب الاحتفال ويبقى الجير المقشر ...

آخر ما سمعته عن (ميلا لكتون) ، أن الساحر وأحد الرجال ممحوي الوجوه
الأملاء بعيداً إلى نل الرمال حيث يقوم الآن بخدعة الأرواح .

طقوس شامانية

بعد فترة من الزمان (تطول أو تقصر) ، يعود الميت مرة أخرى ليقتض مضاجع الأحياء . هكذا كانت التصرفات القرية في أماكن مثل جبال الهيمالايا وبين قبائل الليبو والثرابا تعزى جميعًا إلى عالم خاص ، عالم مجهول شديد الغموض .

الميت العائد حسبما يؤمن القوم في شعب الليبو ، هو الإنسان عندما يموت ميتته الطبيعية فإن الشاماني (الذي يؤدي شعائر الدفن) يذهب في صحبة هذا الميت إلى العالم الآخر ، ويعتقد أهل الليبو أن هذا العالم يقع إلى الغرب من عالمهم إلى جانب الشمس والقمر ، وبالرغم من هذا فإن ضوءهما لا يخفى هذا العالم ، بل إن ضوءهما يسطع خافتًا إلى جوارده . وفي نهاية رحلته يصل الشاماني بالميت إلى منطقة البحيرات ، ليغرقه في بحر الدموع ، الذي يمتد وراءه أول حد لقرية الموت . وهناك يتأذى على الأسلاف البادية ظلالهم على الضفة الأخرى ، ويطلب منهم أن يعتنوا به . وفي هذه الأثناء ، تتعلق به بعض الأرواح ، وتصحبه إلى عالم الأحياء . . عالمنا .

على أية حال فإن هذه الطقوس ليست سرية تمامًا بالنسبة للأحياء هناك ، إذ إن هذه الشعائر تؤدي أمام أهل القرية الذين يتجمعون في منزل الفقيد ، ويعيش كل سكان القرية في منازل صغيرة ، ويقيم حديثو الموت في مساكن تشبه مساكن الليبو هذه الأيام ، أما الموتى منذ فترة طويلة فإنهم (بطبيعة الحال) يعيشون في منزل كبير نسبيًا. وفي المقابلات التي توالى إجراؤها مع

فيخ القبيلة هناك وأشهرهم لاراييه الذي ادعى أنه قد بلغ قرية الموتى هذه في عالم الأحياء ، وإمعاناً في تصديق ما يقول يروي الحلم بتفاصيله الدقيقة ، يقول : « إن الموتى هناك يلبسون عمامة ورداء من القماش زاهى اللون ، أما الرجل فسوداء اللون تماماً !! » وبالطبع ، فإن هذه الأقوال تضاربت إلى حد كبير في كل شيء .

فلماذا يعود هؤلاء الموتى لتنعيص حياة الأحياء ؟

لعل تفسير هذا يمكن في كون بعض هؤلاء الموتى لا يستطيعون بلوغ قرية الموتى هذه إطلاقاً وإنما يبقى معلقاً في رحلة الـ « ما بعد » الذي لا يستطيعون انتقالها إلى قرية الموتى .. في « ليبانج » ظهرت إحدى الحالات ، وذلك عند ناس أهل الدار قطعة داخل الدار التي أغلقت في ليلة التواجد على جثمان الجدة المتوفاة ، هذه القطعة راحت تتمسح في الجسد النعجي . فعلة هذه القطعة لجست الجسد المتوفى ، مما جعل هذه الجدة لا تصل أبداً إلى مرحلة النكاح . ونادراً ما تحدث مثل هذه الحالات ، فقد جرت العادة أن الميت يصل إلى متبناه في قرية الموتى ، وذلك بفضل الأحياء الذين يوفون بالعهد دائماً .

الشاماني في زعم البدائيين هو كالعراف أو الطبيب ، إلا أن الفارق هنا ، دور الشاماني يبدأ بعد أن يموت المريض أو الشخص المعنى بالعناية ، والنشاط الشعائري ليس هو النشاط الوحيد الذي يعارسه الشاماني ، فهو يحتاج منتهك في التطيب ليكسب قوته كأي فرد في المجتمع ، وفي الحقيقة فإن تطهير التقاليد هناك تتطلب ألا يطمح الشاماني في الريحية طالما أن روحه مغفرة تطالبه بأن يكون زاهداً ، أما بالنسبة لمركز الشاماني الاجتماعي فقد انحصر على مرور الزمن خصوصاً بعد اعتناق الإسلام .

والشاماني مثل العديد من المهن يمكن أن يكون رجلًا أو امرأة ، فالشامانيون في شعوب الأوزبك والتاجيك يغلب عليهم أن يكونوا من النساء ، وبالنسبة للقوزاقيين ، والتركمان ، والقرغيز ، والكاركلياك ، والأوكر فيغلب عليهم أن يكونوا رجالًا ، ومرة أخرى فإن دخول الإسلام - الذي حدد من انتشار النشاط الاجتماعي للشامانية هو الذي أدى إلى أن يقتصر النشاط الشاماني تقريبًا إلى محيط المرأة .

أما الأدوات التي يستخدمها الشاماني ، فإنه يرتدى لباسًا بيضاء غالبًا (على الأقل أثناء تأدية الشعائر) وبعض الشامانيين الرجال يحبون ارتداء أزياء النساء (وهذه العادة كانت منتشرة في واحة خوارزم ووادي فبرجانا) ، ويمكن تفسير عادة التخضف في الثياب هذه (والتي يعود تاريخها إلى الفترة السقراطية) بالمعتقد القديم الذي كان سائدًا في آسيا الوسطى بأن الروح الحارسة للشاماني كانت أتت في الأصل ، لهذا فإنها تحب أن ترى نفسها وهي محتواة في الشاماني (في المظهر الخارجي على الأقل) ، هذه الفكرة يعارضها باحثون مثل «بوجوراس» و«سترانبرج» الذي يعتقد بوجود علاقة جنسية بين الشاماني وروحه الحارسة . والشاماني يحتاج في عمله إلى آلة موسيقية ، إنها آلة تشبه الطبل ، تخترق جلدًا فتحات صغيرة لاستقبال الأرواح التي يستدعيها الشاماني أثناء أداء الشعيرة . ويستخدم الشاماني أداة تشبه السوط يستخدمها في طرد الأرواح التي سبب أذى للمكابدين ، أما العصا والخيرزانه التي كان يستخدمها الشاماني من قبل فلم يعد يستخدمها إلا الدراويش .

ومع شعائر معينة يستخدم الشاماني مرآة ، ودلو ممتلئ بالماء ، كما أنه يستخدم في بعض الأحيان - كنتيجة لتأثير الإسلام - المسابح وكتب الصلوات

التي لا تقرأ ، بل ولعلها لا تفتح من الأصل في أغلب الأحوال .

والشاماني يقيم مذبحة صغيرة يحتفظ فيه بأدواته والأطعمة التي يقدمها إلى
الأرواح ، ولذلك يحجز منطقة شديدة الخصوصية في حالة طهارة شعائرية وذلك
في استخدام الأرواح التي يعتقدون إنها ترتبط بمصير عائلته الشاماني .

وسجلات الرصد البحثية تجد أن لجلسة تحضير الأرواح الشاماني معنى
إنها بالنسبة للمشاركين فيها ، لأنها تمثل رحلة الشاماني إلى العوالم الأخرى
مع روح المكابد ، أو زيارة روح يتوقعون منها المساعدة ، أو في البحث
عن روح شريرة والمحاولة في التخلص منها .

والمعلومات المتاحة الآن تؤكد وجود حاجات اجتماعية معينة كانت
تجلب في ظهور الشامانية ، وليس على خصائص نفسية معينة لعدد محدود
من الأفراد ، واختيار المرشحين محدود بصفات معينة مثل أن يعرف كيف
يخفي وكيف يدق على الطبل وأن يملك كامل السيطرة على جسده ، وأن
يتم بالحساسية وخفة اليد وثقة زائدة بقدراته الخاصة وأن يكون متأكدًا من
سلطة الروح الحارسة له قبل أن يضع هذه القدرات موضع الاستخدام .

والشاماني يبدأ مهمته بالسقوط في غيبوبة هي أقرب إلى حالات الهياج ،
وإن الشيخ يعتقدون أنها تطور طبيعي ومنطقي من إملاء الروح الحارسة ، ثم
بالتجالات الشامانية وهي مزيج عجيب من الموسيقى والشعر والتفانيات ،
وإن الأندريك أن موهبة الشاماني الفطائية هي من تأثير الأرواح ، وأن منشأ
الشعر الشعبي «ماناس» هو الذي يعلمه هذا الفن في الأطلال .

ولا ينبغي النظر إلى النجاح غير العادي للشامانية المدفونة على أنه أمر محدود بدوره الطبي كما يقول الباحث «جان بيرشوميل» ، فمن الواضح أن الشامانية قد أصبحت الآن جزءًا من الحياة السياسية لمعظم دول أمريكا اللاتينية ، فالعديد من المرشحين للوظائف الهامة يتقدمون ويفوزون بها (جزئيًا على الأقل) على أساس أنهم على علاقة (حقيقية أو غير حقيقية) بالشاماني المعروفين .

ففي مايو ١٩٩١ دعى البرنوف فوجيموري رئيس بيرو شخصيًا إلى ليما المعالج البرازيلي الشهير لعلاج «فوجيموري» من كسر كان مؤلمًا للغاية ، وقد امتلأ ستاد ليما الكبير بعشرات الآلاف من المرضى الذين جاءوا للعلاج بجانب رئيسهم ، وعلى الرغم من أن معجزات البرازيلي كانت محيطة إلا أن خزائنه كانت تحوي معجزات أخرى : إذ إن تماثيل من تماثيل العذراء في ميناء كاليو بالقرب من ليما، بدأ في البكاء وبعدها كان آلاف المؤمنين المحيطين من صانع المعجزات البرازيلي قد اندفعوا ليتجمعوا أمام التماثيل الباكين ، وكان من بينهم الرئيس فوجيموري ، وقد اعترف فيما بعد بأنه طلب من العذراء المساعدة في إعطاء الأمل للشعب .

وإن أكثر الكلمات شيوعًا في الاستخدام لتسمية الشامانية قد اشتقت في الأصل من المصطلح التركي (كام kam) ، حيث تدين أشكال الشامانية في وسط آسيا في ما يتعلق بتجانسها النسبي إلى تقليد عام مشترك وإلى تأثيرات الديانة الإسلامية ، التي تتميز في اتجاهين واضحين يتوافقان مع مجموعتين عرقيتين تسكنان هذه المنطقة، المجموعة الأولى تتحدث التركية ، والأخرى تتكلم الإيرانية .

والواجبات التي يشترك فيها كافة الشامانيين في منطقة وسط آسيا هي
تحديد أسباب المرض وعلاجها ، البحث عن الأشخاص المفقودين ، الكشف
عن الأتباء المصروفة ، وهذه الواجبات التي يقيمون بها قد تقلصت إلى حد
كبير عندما بدأ العرافون والمعالجون بحلول محلهم ، والانتشار الشعبي هنا ليس
بالضرورة في صالح الشاماني ، لأن العرافين والمطبيين يجرون بدورهم مراسم
تظال تشبه بدورها طقوس الشاماني . ومثله فإنهم يحاولون الاتصال بالأرواح .
لما البداية البحثية الحقيقية لمحاولة إثبات أن كل هذا هو محض هراء ،
فكانت عندما بدأ «تايلور» (1871) يؤكد أن الشاماني ليس إلا وارتاً لتكره من
الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع ، وقد سارع كثير من الباحثين الروس
وسهم خاروزين وميخائيلوفيسكي وأنوكسين ويوتالين وكاجاروف وكسينوتوف
بمخرجهم إلى متابعة هذه الدعوى ، كما استمر البعض منهم (فيتشباين
ونكسف وميخائيلوف وسميتشوف) في دعم وتأييد هذا الجدل ، حتى بالرغم
من أنه قد ثبت بالفعل خطؤه بعد تفنيده منذ زمن طويل .

واعتقاداً على المعلومات التي جمعت من منطقة وسط آسيا ، يعتبر حامل
الأرواح التي يتم التحرر منها من خلال الممارسات الشامانية محملاً بالعلل والأسباب ،
والعقيدة أن هذا المرض يعتبر أمراً لا بد منه ، ويرى فيه الأوزيك والفرغيز عروفاً
للعجل وعلامة على رضا الأرواح ، وحتى وإن كان واضحاً بالنسبة للجميع أنه
يتم استدعاء الشاماني لكي يتأكد من التشخيص الصحيح ، ويعتقدون أن الأرواح
تلك وأن تحمل الشاماني الصغير إلى العالم السفلي وأن سبب المرض يكمن في
كونها تغيبه هناك في خلال أغصان شجرة الحياة وأن توفر له القوة وأن تحيطه
بالحنان والحنان يفرض إعادة خلق هذا الشخص المختار .

إنها تقطع جسده إربا وتطهوه حتى تستطيع أن تأكل اللحم ، ثم إنها بعد ذلك تقوم بتلفيق أعضاء معينة من الجسد مع بعضها البعض وذلك قبل أن ترده إلى الحياة مرة أخرى .

ويحدثنا «رادولف» (١٨٩٣) عن شامانية من الأوزيك اسمها «أوتشيل» من منطقة «سمرقند» ، هذه المرأة كانت روحها الحارسة (حسب أقوال رجل عجوز صالح هناك) أنها كانت لرجل تقى أمرها أن تصبح شامانية حتى تنفذ البشر . لقد جنت هذه المرأة وصار سلوكها مشيراً للخزي والعار ، حتى بلغ بها الأمر إلى حد إلقاء ابنها من سطح الدار ، حتى طفح الكيل بزوجها فقيد يديها ورجليها وحبسها في غرفتها .

ويقول القوم إن تلك المرأة التي حبسها زوجها في الدار خشية أن تستمر في ممارساتها المخبولة قد تمكنت من الفرار رغم القيود ، وذلك أن روحها الحارسة قد أطلقت سراحها عبر المدخنة ، وهذه الروح ، أتت من رجل تقى صالح في زعمهم ، فاصطحبها معه إلى الجبال المحيطة ، وهناك تولى مهمة تعليمها وتعريفها بالأزمة الخوالية ، وعلمها الكثير من الممارسات الشامانية : « ابتلى من أجل الحياة الحاضرة ، ومن أجل الحياة الآخرة ، ابتلى من أجل الناس ، ابتلى من أجل السعادة والعمر المديد ، ابتلى من أجل الرخاء والخصوبة » .

وفي هذا ما يدل على نوع من التعليم ثم تلقينه من خلال الأحلام وهذه الأحلام لا تعلب دوراً مهماً في الممارسات الشامانية فحسب بل أن لها دوراً هاماً جداً في الإدراك بكافة المعارف الخاصة بالشعيرة الشامانية .

ولي الواقع ليس هناك تقليد معين لتلقى الشخص المختار تعاليمه عن طريق شاماني ذو خبرة ، فهذا الاتجاه مشكوك في صحته ، ولكن هذا لا يمنع طبيعة الحال الإنسان الطموح من السؤال الاستفسار عما يعن له ، الحقيقة أن الأمر كله يتوقف على استعدادده لاعتناق دوره ..

إلا أن معظم المعلومات الأثنوجرافية التي تشكل حثيات الأحكام في بضع شخصه الشاماني إنما أتت من مجتمعات تطبعت ثقافياً أو - على الأقل - تم بعلية تحول ثقافي عديد التمارع - مثل منطقة سيبيريا أو هي إحدى لمناطق المحقق وجود الشامانية بها) كانت في غمار مرحلة تحول ثقافي في القرن الذي بدأت فيه أول البحوث ، والأمر ذاته بالنسبة لأمريكا الجنوبية ، من هذا المنظور يمكن اعتبار الشاماني بأنه شخص هامشي ، شخصيته غير مستقرة ، يعاني من عدم القدرة على الاندماج والتوافق لهذا فهو يتزع إلى العزلة والنسوف ، ويوجد في الشامانية وواجباتها حللاً لمشكلاته الشخصية وأزمات النفس ، إلا أنه في بعض الأماكن في أمريكا الجنوبية يكون للشاماني ثلثاً اجتماعياً أكبر ، إذ إن استعداده ليؤدي الشعائر الشامانية يتم عن طريق الجماعات وليس الأفراد ، وحتى في أثناء تلك الشعائر التي يؤديها فإنه يتحول إلى تعبد حي لكل قيم جماعته .

ومثل جميع الشعائر الأخرى فإن شكل هذه التجربة ومضمونها وقيمتها الباطنية والعادية تحتشد في أنماط ثقافية ، هذه الأنماط يجب أن ينقلها الشاماني المخصص في النهاية إلى الشاماني المبتدئ والذي سوف تحكم جماعته على قدراته في نهاية الأمر ، وهذا التدريب على الشامانية يتطلب

قدرات غير عادية مثل الصوم والتسك والاعتزال والإسك عن الممارسات الجنسية ، هذا بالإضافة إلى المجهود العقلي الذي قد يكون أكثر صعوبة ، حيث يجب أن يظهر الشاماني قدرًا هائلًا من البراعة الحرفية ، ولابد أن يمتلك الشاماني سعة الخيال والقدرة على الابتكار ، وأن يكون قادرًا على ارتجال التراتيل وخلق مساهمات شخصية إلى التراث الجمعي للطفوس المقدسة .

وفي حقيقة الأمر فإن اختيار الشاماني يتحكم فيه بالدرجة الأولى المجتمع الذي يكافح تحت وطأة تغييرات اجتماعية وثقافية لا ترحم ، ونصرفات الأفراد الذين يعانون من هذا التغيير ، وصنع الشاماني هنا يعتبر استجابة للقلق الاجتماعي والنفس من جراء هذا التغيير ، وفي هذه الحالة فإن تبنى دور الشاماني (والذي يتحقق بدرجات متفاوتة من النجاح) يتم السعي وراءه وتبريره كدفاع ضد أحداث لا يمكن السيطرة عليها ، كما يؤكد «ليفى ستراوس» في نص شهير له لكي يضرب مثلًا على الدور الذي تلعبه الشامانية في مواجهة نزعات علم النفس المرضى ، فإنه إذا كانت نسبة حدوث العصابيات والذهانيات تحت تأثير الاحتكاكات الحضارية ، فتجه إلى الارتفاع في الجماعات التي لا تلعب فيها الشامانية أي دور ، بينما في المجتمعات الأخرى فإن الشامانية نفسها هي التي تتطور ، وإنما بدون نمو مناظر في المشكلات العقلية .

الذين تمكنوا من حضور بعض جلسات الشاماني ، قد استطاعوا تسجيل شيء من التراتيل التي تعتبر جوهر هذه الجلسات ، والكلام عن هذه الجلسات وما يدور فيها شرحه يطول لذلك سوف تقتصر هنا على تحديد الملامح الرئيسية لتلك الجلسات .

إن أساس هذه الجلسات كان يتجلى في هذه الفترة التي كان يتمتع فيها
 الناس بالقدرة على تجسيد الأرواح ، كما أن تلك الجلسات المحدودة قد
 كان بالطبع من التأثيرات المسرحية الأخرى على غرار قرع الطبول والرقص
 والتزيين السحرية بغرض تهيئة الحاضرين ، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال
 الشاماني وأيضاً تجري حواراً مع المشاهدين وتلقى بعض النبؤات بالمستقبل ،
 تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم)
 يضع الشاماني أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم «السيمبدي»
 برأسه بالطريقة التي تغطي وجه العروس ، وهذا يعني انفصاله عن
 العالم ، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفافة جاهزة لاستقبال كل ما فيه
 الروح التي تنغمس جسده ، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطريقة ويبدأ في
 العودة إلى حالته الطبيعية .

وكان المثلث للنظر بشكل مشير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد
 من الكلمات والتعابير الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمديّة لجواز المرور بين
 العالم - الرفيق الموثوق به - آلاف من الرجال الروس ، مصدر كل الآلات الثقة في
 حركت الفوارب) الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات .

في أية حال فإن الحدود التي توضع معالم المجازات والتصورات الذهبية
 في موضوع الشامانية دائماً تميز مجالاً تتور فيه تساؤلات معينة لا بد من
 التفتت عليها من خلال طريقة معرفية يصبح فيها ما يقبله العقل واقعاً في
 عالم الحقيقة . ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لا بد أن ترتبط العقل بالواقع
 السياسي والأنثروبولوجي وأيضاً السياسي ، فهو مع انتشاره يعد موضوعاً
 أخلاقياً في نفس الوقت .

وإذا وجد أن موضوع الجنون بكافة تعبيراته الاجتماعية يمثل جزءاً متمماً للتصور البشرى أو تمثيلها في المجتمعات الشامانية على الأقل ، يمكننا وفيها أن نقوس الجنون في التصنيفات المرضية لهذه المناطق، أي أنه عندما يتم الربط الصريح بين الجنون وبين أنثروبولوجيا هذه المجتمعات فإن تطورها (كجزء من التطور العام للبشرية) سوف يتم تفسيره بمجموعة من التجليات المرتبطة بأسلوب وجود المجتمع بأكمله .

وبينما تنتظر بعض هذه المجتمعات وبعض الباحثين كذلك اليوم الذي سوف تأتي أرواح أخرى وآلهة أخرى لتغلي ترانيمها وترقص بين الناس ، وتنتظر أيضاً بعد كل هذا وفي حينه التهليل والتبجيل بين الجموع ، فإن تلك الأصوات التي تلهي ألهمت الشاماني لأزمان قد أصبحت اليوم تمتعة خافتة لا تكاد تسمع .

كما أن كافة الإيهامات التي تضاعفت كثيراً جداً قد وقعت في المازق الضائعة المعروفة بين الإيمان والمعرفة ، لكونها تشتمل على الادعاء بما يؤمن به الآخرون ، وتصديق ما يدعيه آخرون غيرهم، هذه الإيهامات سوف تختفي إلى هي الأخرى بلا جدال .. هكذا يتحدث العقل، وهكذا يقول صوت مجتمعاتنا عقد الصلح مع نفسها ومع الطبيعة منذ زمن طويل ، وأن آخر جنود الهذيان الإثنولوجي والسياسي قد دفن أحقاده منذ زمان أطول .

زائر فوق العادة

قصة العدد

أهل .. هذه هي إجابتي الوحيدة إذا سألتني : ما الذي نحتاج إليه الآن حقاً؟
معنا الكثير ورأينا ما هو أكثر ، ومن هذا وذاك تعلمنا كل شيء ، أو هكذا
كانن في أعوام دراستنا الأخيرة ، عندما طويلاً آخر صفحة في كتاب أسباب
المرض وأنواع العلاج والعامل مع المضاعفات وبدأنا نقرأ سطوراً بلغة غامضة
من لغز الحياة و الصوت مكتوبة على كل جدار وكل باب وكل زجاجة دواء في
مستشفانا العتيق . شاهدنا الروح تخرج من الجسد لتلثى بارئها كفراشة محبوسة
في قفص جوار ثم تحورت وعرفنا أننا لم نعرف كل شيء . راقبنا لحظة الميلاد
لجنين مبتل يغادر نبرافانا الرحيم ، وعرفنا أننا لن نعرف أي شيء . لكننا لم تكف
عن السؤال ولم يكف أساتذتنا عن منحنا الإجابات التي أسعفتنا قبل مرطانات .

مر العمر سريعاً ، كأيبرة محقق تتزعجها من وريد طفل ، احتشدت سنوات
الخبرة بالرأس ، واستقرت نظرة العينين بعد حيرة البحث عن تشخيص صحيح ،
العلن ضربات القلب الذي اطمأن إلى كل وصفة كتبها اليد الوائقة ، تكدمت
عكسي بمراجع (ناراسكون) و(نيتلر) ، واودحت صالة الانتظار في عيادتي
المرضى و تلاميذتي من الأطباء حديثي التخرج ممن جاءوا عرفاناً أو لطلب
المشورة . لم يعد يزعجني أن يدق أحد الجيران باب شقتي في وقت متأخر
من الليل اعتدت السهر طويلاً أقرأ ما يصلني كل يوم من الدوريات الطبية ثم
أجلس في شرفتي أتأمل النجوم وأسرارها التي لا تنتهي كالغزل العجائن المعقدة
مسيرة الفهم .

ورغما عنى يلج على في كل ليلة (وربما في كل وقت) السؤال الذي المجد
 في عيون طلابي من دارسي الطب وأطباء الامتياز ولم تنطقه السننهم قط : ما
 الذي نحتاج إليه ؟ أخبرنا بالسلاح المناسب لنحمله معنا في معركتنا الخالدة مع
 المرض ، أعطنا المفتاح الذي ندخل به الحجرة الرهيبة التي ينتظرون بها المريض
 وأسرته وأصدقائه وعلى الزوايا بين جدرانها يتسج الألم خيوطه ، وعلى أرضها
 بساط الفناء مفروود . وإجابتي على السؤال واحدة: الأمل هو كل ما يريده
 الطبيب . ربما وجم بعضكم في فنوط و غمغم : هذا فقط ؟ . نعم ، هذا هو كل
 ما لدى لكم ، لن أرشح لكم قائمة من الكتب الضخمة لأنكم سوف تفعلون هذا
 وحدكم ، لن أنصحكم بأسلوب تعامل محدد مع مرضاكم فهذا سوف تكتسبونه
 مع الأيام ، علاجات معينة ؟ عقاقير بالاسم ؟ كلا : كل هذا تعرفونه جيدا . ولكن
 تذكروا الملاحظات الثقيلة التي مرت عليكم في غرفة العناية المركزة أو في مسرح
 العمليات الجراحية ، تذكروا العيون الممتلئة لذوى المصاب وهي تبحث في
 ملامحكم عن الشيء الغالي الذي بدأت به كلامي ، تذكروا الأمانة المعلقة في
 أعناقكم وسوف تعرفون أنكم طوال هذا الوقت كنتم تعيشون بمبضع دقيق ، خطر
 بقدر ما هو ضروري ، سلاح ذو حدين : أحدهما الأجل ، والآخر هو الأمل .
 ولكن دعني أقص عليك موقفاً عابراً حدث لي في بداية حياتي العملية .
 كنت قليل الخبرة والتجربة ، أحمل معي حصى علم دام لأعوام مضافا إليها
 عشرات الملاحظات التي لم أقرأها في كتاب وإنما من حجرة الجراحة أخذتها
 من حضانات الأطفال تعلمتها ، في عنابر أمراض العظام رأيتها .

الخريج يعتقد أنه مصنوع من زجاج . كان هذا عنوان لقصة قصيرة كتبها
 (جورج) ، تصف هذه العبارة حالي وقتها ، هش كقنينة من بلور حفظوا
 بها مئات المعلومات وآلاف الأعراض وملايين المصطلحات ، وإن أية حركة غير
 مبررة أو ارتجالياً في غير موضعه سوف يجعلني أتشم ويصبح كل ما درست
 بمثابة إلى أحلامي مجرد شظايا .

لكنى - كأي خريج - كانت لدى ثقة هائلة فيما أعرفه وبأننى لن أعجز كثيراً
 ليام معظم الحالات ، وعمما قريب سوف أعيده أمجاد العظيم (ويليام أوسلر) .
 لكن يجب أن أتواضع الآن وأقبل الاستمرار فى مستشفى الحكومى المتواضع .
 بدأت ألقى التحية مع شروق الشمس على الممرضة التى تبدأ اليوم بتسوية
 الفراش وإعداد أدوات الكشف وصوت أم كلثوم ينبعث من المذياع ليسعد
 باح السامعين . وأرتدى معطفي الأبيض وأنتظر فى عبادة متابعة حالات
 المرضى الباطنة ، وهذا النوع من العيادات خصصوا له الأطباء الصغار لقلة
 خبرتهم النسبية ، ويدخل على مريض التهاب المفاصل الروماتزمى الذى زارنى
 من قبل مراراً ليخبرنى بالجديد فى حالته ، وأتأمل أنا الانتفاخات التى انتشرت
 على أصابعه ، فأنصحه بارتداء ثياب بلا أزرار ، أفحص عينيه المحمرتين وأشدد
 لسان يبتاع عبوة جديدة من الدموع الصناعية ، ثم أطمئن إلى دوائه على
 اتصال (البريديزون) و(الميثوثريكسات) .

وقبل أن يتركنى فى سلام ، يتمزق هدوء المكان بخناجر الصغارة الحلزونية
 سيرة الإسعاف ، وخرجنا ثلاثتنا ، يسلم المريض وحوقل وحيد الله على الله
 غلبت حتماً إذا ما قورن بالكارثة التى جلبتها العربى المشنومة وهزول خارجنا

يتعثر في الممرضة التي أريد وجهها كارهة أن تكون بداية اليوم على هذا النحو ، بينما تقدمت إلى الممر الضيق الذي سارت عليه المحفة المصحوبة على عجلات يجريها اثنان من العمال وإلى جوارها تركض ممرضة شابة تحاول أن تأخذ فكرة أولية عن حالة المصاب قبل أن تحضر الأدوات اللازمة . وهرعت بين ركن الحق بالموكب بينما راحوا يفتحون لنا باب غرفة الإسعافات على الفور . بدأت أدس رأسي بين المعاطف البيض أشرك في الفحص المبدئي عندما تناهت إلى سمعي صرخات ملتاعة من الخارج حجبها عنا الأبواب التي أغلقتها إحدى الممرضات . رأيت في المحيطين بالفراش بعضاً من زملائي ووجوه أخرى أعرفها وطبيب أكبر سناً . كانت المصابة امرأة في أواخر الأربعينيات ، لطح الدم المتجلط بعض الشعيرات البيضاء في رأسها ، هزيلة الجسم ، شاحبة ، وأخذ الوجه يبدو أنها قد فقدت كمية كبيرة من الدم . بقعة زرقاء داكنة أسفل جلد أبيض الفخذ الأبيض تشير إلى كسر مضاعف . ضغط دمها منخفض بشكل مرعب وكما وكذلك درجة حرارة جسمها وسرعة تنفسها ، الاستثناء كان نبضها المتسارع . سحبنا منها عينة دم للحصول على صورة كاملة وتحضير كمية جديدة تعوض ما فقدته ، يؤبؤ العين يستجيب ، حمداً لله ، ولكن هل هو ارتجاج أم .. ؟ أرسلنا خاصه في استدعاء أخصائيو الأعصاب والعظام لتقرير ما لدينا ، وجاء الدور على أناس أصحاب المسكنة الغارقة في اللاوعي لإجراء فحصاً على المخ . بالخارج تعلقت بنا الوجوه الملتاعة تسأل . رجل في الخمسينيات جاحظ العينين ، حرق القلق أطراف أعصابه وابنتان إحداهما مراهقة والأخرى طفلة وكلتاها تبتكي بحرقة ، هي أسرتها في الغالب ، هربت من نظراتهم ومن سؤال الزوج بهزة رأس مطمئنة ، وأسرعنا بالسيدة العصابة إلى حجرة الأشعة المقطعية .

إمام الجهاز الذي يرسم على الشاشة السوداء قطاعات مختلفة من مخ
مصابة مانت طيبة الأشعة عما إذا كانت هذه العرأة الهزيلة سوف تتحمل
في صداع متلازمة (ما بعد الارتجاج) ، فقوت بفأرة الكمبيوتر وهي تهرز رأسها
بما من ركن شفيتها غمغمت بشيء من السخرية :

« إنه ارتجاج من الدرجة الثالثة ، لا تتفائل كثيرا ، كما أن هذا ليس هو
الحال الميم الآن » .

أعرف ما الذي تعنيه . وحتى تحمض الفيلم لعرضه على طبيب المخ
والأعصاب ، نقلنا المصابة إلى قسم العناية الفائقة وهناك نقلنا لها لثرا وتصدًا
في القدم ، وأخبرنا الرجل الذي هدأ نوعًا عندما علم أن زوجته لم تنزل على قيد
الحياة ! إنها تعاني من ذاء السكري فتم تعليق معاليل ملحية عبر خط وريدي
لغير كسر الساق ثم تحرير ورقة علاج .

لم تكف أي من الفتاتين عن البكاء العار الذي لا تعرف كيف تتصرف
فقط . خاصة وأن تلك الدموع الملهية تتفجر بغزارة من عيون تتابع كل كلمة
تخرج من بين شفئك تقرر جديدًا في حالة الأم الغائبة عن الإدراك ، وكأنك
ول تنطق الحكم بالإعدام أو لبشرهم بالنجاة . وفي الحقيقة أنت لا تعرف

أنجب

الغصن الأبيض في لون الثلج وبرودته لا يقاوم الليل الذي زحف كجبل مسدود
في الخلف . كما عجزت زجاجات الدواء والمعاليل في خزائنا أمام كل هذا الألم ،
يدخل من أنرها سوى رائحة كثيفة معيضة لا تزكم أظفك وتطلقها وتخرج بل
تدخل إلى روحك ذاتها وتقاخك بكيان أسود ثقيل يجثم على صدرك ويكتم

أنفاسك . الخراطيم البلاستيكية تخرج وتدخل من فتحتى أنف مريضتى البائسة
ومن قمها . معدلاتها الحيوية ارتفعت بشكل مقلق ما جعلنا نتعامل بحذر
مع المحلول الملحي وأضفنا المانيتول لأوديميا الصغ . وتولت (سامية) - البنت
الصغرى كما عرفت اسمها فيما بعد - وضع الكمادات الباردة على جسد الأم ولا
الساخن ، كانت تعمل فى هدوء مضطرب وحزين وقطعة من الليل اليائس
سكنت ملامحها ، نفس التعبير بعمق أخطر وبحدة أكثر رأته على وجه أختها
(حنان) التى استحلقتنى بكل غال ألا أكذب وأن أخبرها بحقيقة ما بهجرى .
وفى عينيها المبتلئين نظرة مذعورة تقول : بالله لا تنطق بحرف ، أعرف أن
أنى نموت ! هربت من دموعها وأنا أتساءل أين الزوج يا ترى ؟ وفى طريقي
إلى حجرة الأطباء سمعت نمتحة فى ركن قصى من أركان الممر الرخامي خارج
حجرة الرعاية . كان يصلى بالقرب من إحدى النوافذ .

فى الحجرة الضيقة المكثفة بملفات المرضى ودواليب العلاج جلست أمام
صورة الأشعة لعم المرأة ، أسيراً لكأبى وحيرتى وعجزى ، نمت مرهقا فوق
اللوحة السوداء على المكتب ، واسم الله فى دعاء الرجل لزوجته بالشفاء كان
آخر ما أدركته قبل أن أغيب عن الوجود .

تذكروا أن الطبيب لا يجب أن تطول غفوته وإلا كان العقاب أسطورياً
أيقنت أن شيئاً من هذا القبيل كان وشيك الحدوث عندما شعرت بيد غليظة
تدق كتفى تحاول إيقافى .

وقف أمامى بقامته المديدة فى معطفه الأبيض ، وشعره الأشيب الوفور
ونظرات عينيه الحادة تنفرس فى وجهى المربك .

« عظيم جدًا ! منذ متى يترك الأطباء مرضاهم وينعمون بالأحلام الوردية ؟ »
 بهدوء لا يتعاشى مع حاجبيه المنعقدين قالها ، وبصرامة استحفها سمعتها .
 نهجته حازمة وثيقة كمن اعتاد إلقاء الأوامر طيلة عمره . لأبد وأنها النهاية إذن !
 هو وإليك رئيس هذا القسم يصر على مرضاه في هذه الساعة تحديدًا لحسن
 طبي ! لقد ضعت !

فست من مكاني وأنا من الحرج في نهاية . جلس إلى المكتب يحك لحيته
 ليضاء الصغيرة يفكر في شنقي أو خنقي أو حرقى أو .. وفي النهاية قال آخر
 له يمكن أن أفكر فيه :

« دنيا ! »

حدثت في وجهه غير فاهم عم يتكلم بالضبط ، فتظر إلى عيني مباشرة
 ذلك نفس الهدوء الحثيث :

« السيدة (دنيا الرحيمي) » .

يا إلهي ! إنه اسم المرأة المصابة ، نزيلة الطوارئ الوحيدة لهذا اليوم ،
 أغشينا هنا بنفسى ، وكنت تذكر علاجها بأصابع قفازي الطبي الملونة بها
 ذلك من دم فكيف نسيت ؟

« أجل يا سيدى ، إنها تلك المريضة بالارتجاج المبتوس منه ، ولقد حاولنا أن .. »

فقطع عبارتي بحدّة سيف مسنون :

« هراء ! متى تكفون عن قول ما لا تعلمون ؟ تماطلون في التفكير
 فكسبون في العمل والأمل بالخالق ثم تتسلّمون للقنوط بسرعة البرق » .

حاولت أن أقول شيء ما لكنه أخبرني بقبيلة أخرى :

« كيف تأكدت أنه ارتجاجاً يا بني ؟ وإن كان ، فمن منا يجزم بأنه ميتوس

منه ؟ ثم أخبرني ما هو الذي حاولت أن تفعله بالضبط ؟ »

لم أعرف بم أجيب ، فابتسم ساخراً وأشار إلى الباب :

« اذهب إلى مريضك ، إنها في انتظارك ، وأهلها كذلك ، امنحهم الأمل ،

وأعطها ما تركه الله ديناً معك من علم وعمل . أما أنت فيجب أن تؤمن بصدق » .

أسرعت بالخروج لكنه استوقفني بلهجته الآمرة ، قالتفت إليه ورأيتني بتناول

صورة الأشعة التي تحتاج إلى إعادة فحص و يمدّها إلى :

« لا تفس هذه . خذها معك » .

أخذتها منه وانطلقت خارج العجيرة لا ألوي على شيء .



الأطباء الصغار متحمسون ويعرفون الكثير ، لديهم من العلم ما يملأ مكاتب

العالم ، وأستطيع أن أبرهن على أن أكثر من طبيب حديث التخرج استطاع أن

يتحدى أستاذه وأن يثبت له أنه على خطأ ، وأن الارتجاج من الدرجة الثالثة هو كارثة

ميتوس منها بالفعل وأنه مهما حاولنا فإن تقدمنا محدود ، لكنه لم يكن كذلك !

ويجب الاعتراف أن الأكبر يعرف أكثر ، وأتانا مرة أخرى - لم نعرف كل شيء .

بعد ثلاثة أشهر من هذه الليلة تقريباً كنت مدعوّاً إلى حفل زفاف (حنان)

البت الشاب ، ولم تكن الدموع تلمع في عينيها هذه المرة ، وأخذت مجلسي

بين الزوج وابنته الصغرى والسيدة (دنيا الرحيمي) .

شيء آخر اعتقد أنه غير ذي بال في هذه القصة : في الصباح التالي لليلتي الموعودة قصصت ما حدث لأحد زملائي في العمل ، فاعتقد أنني أمزح ، فلم يكن الأوصاف التي حكيتها عن الرجل تشبه عن قريب أو من بعيد رئيس القسم الذي أقسم الجميع عند سؤالي أنه لم يأت في هذه الليلة على الإطلاق ولم يدخل من أي باب .

شعرت بالغربة ، لكنني لم أفكر كثيرًا في الأمر ، شغلني تيار اليوم المشحون بالعمل المنهك بالمستشفى ، وخمنت أنه رئيس رئيس القسم أو هو صاحب مقام أعلى ، وارتحت إلى هذا التفسير ، ثم تراجعت الحادثة بالكامل إلى غلى اللاوعي . إلا أنني في لحظات ليست بالقليلة أتقدم ببطء فوق العمر الرخامي تحت الضوء النيون البارد ورائحة الدواء المختلطة وأقف بجوار نافذة التي تسلل منها الليل يحاول الدخول ، لكننا نقاوم . وأفكر في أنه على الرغم من أن كل ما لدينا وكل ما نعرفه لا يزال جل ما نحتاج إليه هو إيمان .. وأمل .

تمت بحمد الله

لتحميل المزيد
من الروايات الحصرية
هاني حجاج
hag@riwaya.ga

www.riwaya.ga

زالر فوق العادة

هات يدك في يدي ولنحك معا : فلا يوجد ما نخاف منه
سوى الخوف ذاته ! دعنا نواجه الأمر ولا نهيم هنا وهناك ..
وانت معي سوف نثرثر بجوار المدفأة عن آخر فيلم رعب رأيت
(هادئ متوجس في قلعة رومانية أو عصرى شنيع مليء
بالمصارين والعيون المقلوعة) .. سوف نمارس في جولاتنا الأولى
بعض الطقوس الشامانية ونتعرف أكثر على تناسخ الأرواح
وماري الدموية ، لماذا لا نبيع أرواحنا لمقيستو الشيطاني
بالمرة 11؟

و. هكالي مجتهد

 www.rewayatmasreya.com

 facebook.com/rewayatmasreya

 الخط الساخن
19350

الخط الساخن متاح من الساعة 10 صباحاً إلى الساعة 10 مساءً

